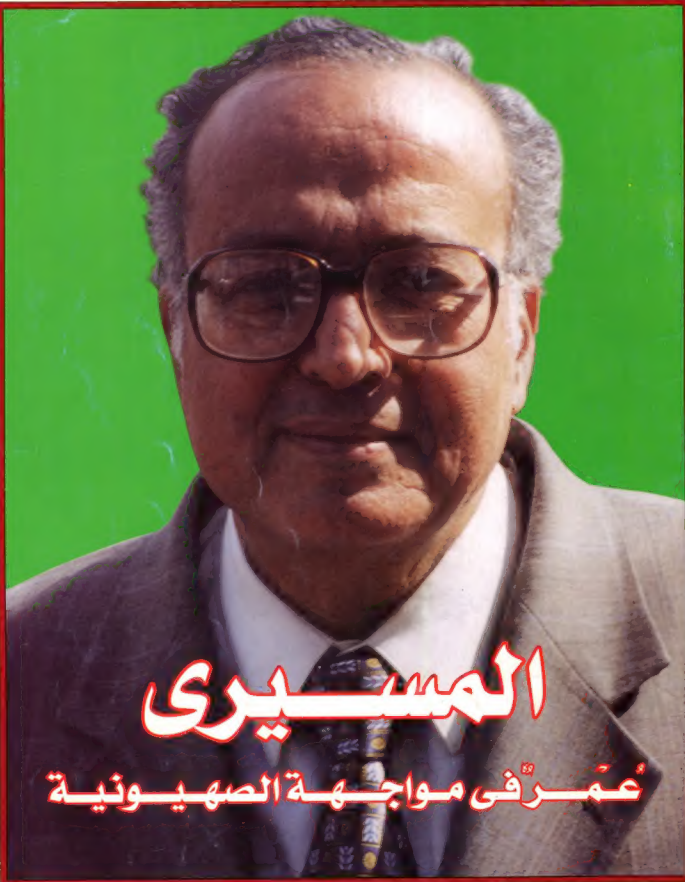


المكتبة وجهاً لنظر

في الثقافة والسياسة والفكر

Weghat Nazar - Volume 10 - Issue 115 - August 2008

مجلة شهرية، العدد المائة وخمسة عشر، السنة العاشرة، المجلد ١٠، الثامن عشرة جانيها



المسيحي

عمر في مواجهة الصهيونية

خدمة الرقم المختصر مش بس الأسهل لعميلك دلوقتي الأوفر ليك



animation ADVERTISING

عرض المصرية للاتصالات للرقم المختصر

* خصم ٢٥% على الاشتراك للسنة الأولى.

وكمسان

* خصم ٥٠% على ربط أي فرع جديد
على الرقم المختصر.

هذا العرض ساري حتى ٢٠٠٨/٨/٣١

للاستعلام اتصل بـ ١١١ بسعر المكالمة المحلية



المصرية للاتصالات
Telecom Egypt

شبكة واحدة .. بتقربنا كلنا



تصدر عن:

الشركة المصرية

للنشر

العربي والدولي

رئيس مجلس الإدارة

إبراهيم المعلم

رئيس مجلس التحرير

سلامة أحمد سلامة



محتويات العدد:

- ٤ فضل مصطفى النقيب.....
«صهيونية، المسيحية... دراسة في المنهج
موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، نموذج تفسيري جديد،
تأليف: عبد الوهاب المسيري
١٢ عبد الوهاب المسيري.....
«بريتس، الهولوكوست
أفكارهاسام يسورج.....
١٦ سؤال الخير والنشر... والحب والكراهية.. هم أم نحن؟
Voincre Hitler: Pour un judaïsme plus humaniste et universaliste
تأليف: افراهام بورج
٢٢ ديننا حشمت.....
عودة إلى الإسكندرية، «الكوزموبوليتانية،
The Alexandria Quartet، تأليف: لورانس داريل
٢٨ مصطفى السيد.....
انغام إيرانية
٣٢ سامية أبوزند.....
الكتابة على الهواء
٣٦ عبدالرؤوف الريدي.....
حرب شارل ولسون
٤٠ أنطونيو باديني.....
يوميات عربية.. أكيلي لاو.. ريجان.. أبو العباس.. عندما قالت إيطاليا لا
٤٤ ناييف حواتية.....
عرب اليسار
٥٠ نذير جزماتسي.....
تقنيات: احتضار فكر أم أمة؟
٥٢ حسان الزين.....
خرافة العزلة
من كتاب: ميلاد المثابة العمانية، تأليف: حسان محمد الزين
٥٥ أحمد حجاج.....
قراءة في وثيقة أمريكية سرية.. «الحج، المصرية، والقنبلة، الإسرائيلية
٥٨ ناجي عويجان.....
ترجمات: تطور صورة الشرق في الأدب الإنجليزي
تطور صورة الشرق في الأدب الإنجليزي، تأليف: ناجي عويجان
٦٢ أحمد علي الجارم.....
ما بين الجارم ومبارك.. مناقشات أدبية
٦٨ رسائل.....
٧٠ إصدارات جديدة.....

رئيس التحرير
أيمن الصياد
رئيس التحرير الفني
حلمي الترسوني



كتاب العدد:

١. أحمد حجاج.. أمين عام الجمعية الأفريقية.. القاهرة.
٢. أحمد علي الجارم.. الأستاذ المتفرغ بكلية الطب جامعة القاهرة وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
٣. افراهام بورج.. الرئيس الأسبق للوكالة اليهودية وتكتيكات الإسرائيل.
٤. أنطونيو باديني.. سفر إيطاليا السابق في القاهرة.
٥. ديننا حشمت.. صحفية ومترجمة.
٦. حسان الزين.. صحفي لبناني.
٧. سامية أبوزند.. صحفية مصرية.
٨. عبد الرؤوف الريدي.. رئيس المجلس المصري للشئون الخارجية.
٩. عبد الوهاب المسيري.. أستاذ الأدب الإنجليزي غير المتفرغ بجامعة عين شمس (راحل).
١٠. فضل مصطفى النقيب.. أستاذ في جامعة الأزهر كندا.
١١. مصطفى الكياد.. كاتب مصري.
١٢. ناجي عويجان.. أستاذ اللغة الإنجليزية وأدائها بجامعة سيدة الزين.. لبنان.
١٣. ناييف حواتية.. الأمين العام للجمعية الديمقراطية لتحرير فلسطين.
١٤. نذير جزماتسي.. كاتب سوري.

رسوم العدد للفنان

محمد حجي



يحظر النسخ أو الطبع أو التصوير على دعوات ورقية
أو عبر الحاسبات لكل أو بعض الفئات المنشورة أو أجزاء
منها، بغير إذن كتابي مسبق من الناشر.



المراسلات:

الشركة المصرية للنشر العربي والعربي
٣ ميدان طلعت حرب، القاهرة، جمهورية مصر العربية
ت: ٢٩٠-٢٩٢ / ٢٩٢-٢٩٣ / ٢٩٣-٢٩٤ / ٢٩٣-٢٩٥ / ٢٩٣-٢٩٦ / ٢٩٣-٢٩٧ / ٢٩٣-٢٩٨ / ٢٩٣-٢٩٩ (٢٠٢)
البريد الإلكتروني (التحرير): e-mail: info@alkotob.com

الاشتراكات:

السنة الواحدة (ثلاث عشرة عدداً) شاملة أجرة البريد: داخل مصر: ١٠٠ جنيه مصري - اتحاد
بريد عربي: ٦٠ دولار أمريكي - أوروبا وأفريقيا: ٧٠ دولار أمريكي - أمريكا وكندا: ٨٠
دولار أمريكي - باقي دول العالم: ١٠٠ دولار أمريكي.
إدارة الاشتراكات: شارع ميناوية القصر، ص. ب. ٢٤ البازنار، مدينة نصر
هاتف: ٢٢٢٢٩٩ - فاكس: ٢٤٠٤٥١٤ - subscription@weghatnazar.com

ثمن النسخة:

في مصر ١٠ جنيهات مصرية، السعودية ١٥ ريالاً، الكويت ١٠٥ دينار - الإمارات ١٥
درهماً، مملكة البحرين ١٠٥ دينار - قطر ١٥ ريالاً، سلطنة عُمان ١٠٥ ريال - لبنان ٥٠٠
ليرة - سوريا ١٥٠ ليرة - الأردن ديناران ونصف - ليبيا ديناران - الجزائر ٣٠٠ دينار - المغرب
٢٠ درهماً - تونس ٤ دنانير، اليمن ٣٠٠ ريال - فلسطين ٣ دولارات.
Austria, France, Germany and Italy: EURO 6 - United Kingdom £3.0 - USA \$ 5.

طبع بمطابع الشرق بالقاهرة

■ هذا المقال هو جزء من دراسة بعنوان «رحلة عبد الوهاب المسيري»^(١). تتناول فيها الكاتب تطور فكر المسيري منذ أن كان تلميذاً في المدرسة الثانوية ببنسرتك في الظواهر الطلابية ضد الاستعمار البريطاني إلى أن أصبح مفكراً قادراً على تكريس خمس وعشرين سنة من حياته في تأليف موسوعة «اليهود واليهودية والصهيونية»، وقرى الدراسة أن القضية الحقيقية للموسوعة لا تتأني من كمية المعلومات التي تضمها مجلداتها الثمانية، ولا من الحبب الزمنية التي تتعرض لها (ويشدد من الأمانة القديمة إلى إيماننا الراهنة)، وإنما من كونها مبنية على أساس متين من النضاد المعرفية التي تستخدم منهجية تفكير جديدة مبتكرة. ونطلق الدراسة من الاعتقاد بأن فهم تلك المنهجية لا يتم بشكل سليم بدون تحديد مكانها في تطور الثقافة المصرية العربية في تفاعلها مع الثقافة الإنسانية. وفي هذا المجال فإن الدراسة تبحث في تطور منهجية التفكير المصري في سياق المحاولات التاريخية الثلاث لصياغة مستقبل مصر الحديثة.

المحاولة الأولى التي تمت في مناح مشرو محمد علي، وقادها رفاعة رافع الطهطاوي (١٨٠٢ - ١٨٧٣) واستمرت من بعده على يد الإمام محمد عبده (١٨٤٩ - ١٩٠٤) وجمال الدين الأفغاني (١٨٣٩ - ١٨٧٩) وكانت تدعو لنشر التعليم واكتساب المعارف والعلوم الأوروبية وتنظيم المجتمع وفق تعاليم الدين المتحرر من خرافات الجهل والتأخر، ويهدى الصفحات المضيئة من التاريخ العربي الإسلامي. وكانت ترى أن ذلك سيعيد مصر من استعادة قوتها التي كانت تتمتع بها في الماضي.

والمحاولة الثانية التي تمت في مناح ثورة ١٩١٩، وانطلقت من الاعتقاد بأن نقل أساليب العلم والمعرفة من أوروبا لا يقود للنهضة المرجوة بدون بناء مجتمع جديد يوفر البيئة المناسبة لازدهار العلوم والإبداع والتجديد، وقد عبر عن هذه المحاولة ثلاثة تيارات فكرية. التيار الأول هو تيار الحداثة الأوروبية الذي يدعو إلى محاكاة الحياة الأوروبية بشكل كامل، وفيه من يدعو إلى اقتباس النموذج الديمقراطي الليبرالي الأوروبي مثل طه حسين (١٨٨٩ - ١٩٧٣)، ومن يدعو إلى اقتباس النموذج الاشتراكي المادي الأوروبي مثل سلامة موسى (١٨٨٧ - ١٩٥٨). أما التيار الثاني الذي مثله محمد رشيد رضا (١٨٢٥ - ١٩٣٥) فقد عارض التيار الأول إذ رأى في دعوته إلى اقتباس

موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: نموذج تفسيرى جديد (ثمانية مجلدات، دار الشروق، القاهرة ١٩٩٩)

الصهيونية والحضارة الغربية الحديثة (دار الهلال، كتاب الهلال، القاهرة ٢٠٠٢)

النماذج الأوروبية دعوة إلى تحطيم الأسس الأخلاقية للمجتمع وتكريس ضعفه ويقالته تحت سيطرة الاستعمار الأوروبي. ودعا ذلك التيار إلى بناء المجتمع وفق الأسس الحقيقية للدين الإسلامي التي اتبناها السلف الصالح والتي لا تختلف في جوهرها عن المبادئ الأساسية التي قامت عليها الحضارة الأوروبية، وبين هذين التيارين، تيار الحداثة وتيار السلفية، كان هناك تيار ثالث في الوسط يدعو إلى الانفتاح الكامل على الحضارة الأوروبية مع الالتزام التام بالانتماء العربي



«صهيونية»

المسيري

دراسة في المنهج



فضل مصطفى النقيب



كان أحمد أمين والزيات
يمثلان تياراً ثالثاً يدعو
إلى الانفتاح على الحضارة الأوروبية
مع الالتزام بالانتماء
العربي الإسلامي



موجودة في فراغ، وأنه يجب تبني المنهج العقلاني القادر على خلق البيئة الثقافية التي تنمو بها العلوم وتتطور وترتفع، وجاءت المحاولة الثالثة لتوضيح وتشرح وتبين أنه لا يوجد منهج عقلاني محايد، فالمنهج هو نتاج التاريخي والتفاهي، وأن ما خلفها من اتجاهات تاريخية والثقافية، وأن ما يطرحه أي منهج من مفاهيم وأطروحات ما هي في واقع الأمر إلا «إجابات» على «أسئلة» تطرح نفسها في مجتمع معين وفي حقبة زمنية معينة. وأن استعارة «الأجوبة» والأسئلة من الخارج تقود دوماً إلى التيهي وإلى التأخر.

كانت سنوات شورى برليوس في الخمسينيات والستينيات هي سنوات الحماسة، التي تم فيها طرح أسئلة حقيقية في السياسة والاقتصاد بشجاعة، وبعد انحسار العهد النوري والنصار الثورة المضادة، وانتشار ممارسات استيراد «الأجوبة» من الخارج ثم صياغة «الأسئلة» التي تتناسب مع تلك «الأجوبة» تابع بعض المنحازين للشورى طرح الأسئلة الحقيقية والبحث عن الإجابات الحقيقية. وقد تميزت إسهامات عبد الوهاب المسيري في أن طرحه لأسئلته وحجته عن «الأجوبة» كان دوماً يتم في العمق بشكل يتجاوز مجال السياسة المباشر ويخلق في فضاء الفكر والفلسفة. والمقال التالي يخصص توجه المسيري الفكري في موضوع دراسة الصهيونية.

.....

يقول محمد حسين هيكل بأن الحركة التي قام بها الضباط الأحرار في الجيش المصري صباح ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ لم تتحول إلى ثورة حقيقية إلا في عام ١٩٥٥ عندما اهدت قيادة الحركة على تحدي احتكار السلاح والإقدام على شراء السلاح من الاتحاد السوفيتي بتوقيع صفقة الأسلحة الشهيرة باسم صفقة الأسلحة التشيكية. ولاشك أن في هذا القول مقداراً كبيراً من الصحة على أساس أنه يشكل عام تحدث «الثورة» عندما يتمكن الثوار من إحداث تغيير جوهري في علاقات القوى التي تتحكم في الوضع القائم، ومن هذا المنظور نرى أن كل التغييرات التي قامت بها الحركة قبل إبرام صفقة الأسلحة من خلع الأسرة العلوية وإعلان الجمهورية إلى تطبيق قانون الإصلاح الزراعي إلى محاربة الفساد في الحكم قد تمت جميعها دون أن يصاحبها تغيير جوهري في وضع القوى المتحكمة في الوضع القائم. لقد تمت في نطاق شرعية ذلك الوضع.

في عام ١٩٥٥ عندما بدأت الحركة تحاول القيام بإصلاحات تنموية جذرية كبناء السد العالي وتشجيع قاعدة الصناعة الوطنية أخذت إسرائيل تقوم باعتداءات متكررة على الجيش المصري في قطاع غزة. كان على الحركة حينئذ البحث عن السلاح لصد الاعتداءات الإسرائيلية والبحث عن مصدر دولي لتمويل مشروع بناء السد العالي. وبسرعة اتضح أن الموضوعين مرتبطان

بعضهما بشكل عضوي. كان الموقف الأمريكي - البريطاني - الفرنسي يتطلب من مصر الاعتراف بإسرائيل وتوقيع معاهدة صلح معها والانضمام إلى شبكة الحلفاء العسكرية التي تقيّمها الولايات المتحدة ضد الاتحاد السوفيتي. وبعد ذلك يتم تزويد الجيش المصري بأسلحة خفيفة تؤمن له القدرة على حماية النظام الحاكم من المظاهرات وأعمال الشغب، كما اتضح أن البنك الدولي (زراع البيت الأبيض الاقتصادية) لن يقوم بتقديم أي قرض مالي لمصر يساعد في تمويل بناء السد العالي إلا وفق الشروط

الأمريكية التي تمنى توقيع الصلح مع إسرائيل وتكريس النمو الاقتصادي في مصر على أساس الزراعة والصناعات الخفيفة بشكل يبقى فيه الاقتصاد المصري مرتبطاً بشبكة العلاقات الاقتصادية الاستعمارية.

لقد اختارت قيادة الحركة الحضي في نهج الإصلاح والتنمية المستقلة والاصطدام بإسرائيل وفوق الاستعمار وعندئذ خرجت من إطار شرعية الأمر الواقع وراحت تناضل لتأسيس الشرعية الثورية.

عندما تحولت حركة الجيش إلى

مشروع تغيير ثوري حقيقى انقسم المجتمع المصري. بحكم طبائع الأمور، إلى ثلاثة تيارات سياسية هي: التيار الثوري، وتيار الثورة المضادة، وتيار خصوم الثورة. وبشكل طبيعي تكونت هذه التيارات من الإحصاءات التي أحدثتها حركة يوليو في التيارات السياسية التي كانت موجودة قبل الثورة (السلفية والحدادة الأوروبية والوسط العربي الإسلامي).

لم يعبر التيار الثوري عن إرغاصات تيار السلفية أو تيار الحدادة الأوروبية (بشقيه الليبرالي أو الاشتراكي) مع أنهما

كانا يملكان أحزاباً سياسية منظمة (شباب الوفد، الإخوان والشيوعيين) وكان لهما أصوات سياسية وفكرية عادية. لقد جاء تغييرا عن التيار الوسط الذي لم يعثله حزب سياسي وليس له صوت مرتفع. وهكذا كان المناخ الفكري للتيار الثوري هو الأطروحات الإيملاخية لتيار الوسط الذي مثله أحمد أمين وأحمد حسن الزيات وأخذ يتحول تدريجياً لتيار ثوري من جراه اصطدامه بالمشروع الصهيوني. فادت قيادة حركة الجيش بسرعة ذلك التيار في معركة صراع شامل يهدف إلى تحطيم نظام الاقتصاد السياسي الذي قامه الاستعمار في مصر وبناء نظام جديد يمثل مصالح الأغلبية الفقيرة من العمال والفلاحين مدركاً في نفس الوقت أن نجاحه في ذلك الصراع مرتبط بشكل عضوي بشدته على تكريس انتماء مصر للأمة العربية عن طريق التحالف مع كل حركات التحرر الوطني العربية وخوض كل معاركها. أما تيار الثورة المضادة فكان يعمل على إعادة عقارب الساعة إلى الوراء والصودة إلى ماكان عليه الوضع قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وكان يضم أحزاب الأقلية وكبار الإقطاعيين في حزب الوفد. ويمثل أيديولوجية أقصى اليمين في تيار الحدادة الأوروبية. وعلى العكس من ذلك كان التيار الثالث الممثل لخصوم الثورة لا يعمل على العودة بعقارب الساعة إلى الوراء على أساس أنه كان معادياً للوضع الذي كانت عليه مصر قبل ٢٣ يوليو وإنما كان يختلف مع تيار الثورة في فكر وأسلوب بناء المستقبل. وضم ذلك التيار شباب الوفد والجنار الاشتراكي في تيار الحدادة الأوروبية (الشيوعيون) وغالبية التيار السلفي (الإخوان المسلمون).

كان عبد الوهاب المسيري في تلك الفترة ينتمى لتيار خصوم الثورة بحكم انتمائه للحزب الشيوعي حتى عام ١٩٥٩ وتسمكه بالأطروحات الماركسية الفكرية والسياسية بعد ذلك. كان يؤيد الاتجاه السياسي للثورة في النهج طريق التنمية المستقلة ومحاربة الاستعمار والصهيونية ويهاض توجهها الداخلي، غير الديمقراطية.

ابتداءً، الثورة، عند اصطدام حركة الجيش بالمشروع الصهيوني وانتهت عندما اختار أنور السادات مهادنة المشروع الصهيوني فلقد فادت تلك المهادنة إلى تحقيق كل أهداف «الثورة المضادة» في تقويض كل مكتسبات العمال والفلاحين التي حققتها لهم الثورة ثم تقويض كل مرتكزات المشروع التنموي المستقل في بناء الصناعة الوطنية والالتزام بأولوية التعليم. وتقويض كل إنجازات الثورة في بناء العمل القومي المصري وفي هذه الأثناء انزلق الكثيرون في معسكر خصوم الثورة إلى مواقع الثورة المضادة، بعضهم عن وعي وبعضهم عن غير وعي. أما عبد الوهاب فعلى العكس من ذلك تابع المسير وفق النهج

الثوري إذ اختار الحضي في





بشهرش بشهادته أمام لجنة بيل الموصو
بها التحقيق في الصراع الدائر على أرض
فلسطين وقال: «أنا لا أرى أن للكلب الحق
في الزريبة التي يعيش فيها حتى ولو

السياسي، وهو يرى أن الحركة الصهيونية قد نشأت في القرن التاسع عشر، كما نشأت الحركات القومية الأخرى، كتعبير

أثبت هذا النموذج المعرفي قدرته على

فما صا وفق علاقات واضحة حتى تصبح



اصطدام المسيرى بحقيقة أن معظم الأبحاث الفكرية حول اليهود واليهودية والصهيونية تحدم أهدافاً سياسية وأيديولوجية



حققه النظام الرأسمالى الذى لا يعترف إلا بقيم الرحمة والخسارة والتقدم الهائل الذى حققته النظام الإمبريالى الذى لا يعترف إلا بقيم القوة العارضة. هذا التقدم كرس الظاهرة التى يسميها المسيرى بظاهرة «الحوسلة» أى تحويل كل شيء، بما فى ذلك، الإنسان إلى وسيلة. وقد نتج عن ذلك أن الدول الغربية أصبحت تعيش فى تناقض فاضح فهى من ناحية تعيش على مستوى معيشة عال جداً وترعى مؤسسات علمية متقدمة جداً وتنظم فيها شؤون الحياة وفق معايير الكفاءة العلمية. وهى من ناحية أخرى تعيش فى وضع أخلاقى متآخر تمارس فيه العدوان والتمييز وزادوا على العايرين. إنها مجتمعات تتلذذ «بوسائل متقدمة وأهداف متآخرة». وهذا التناقض يشهد بقدر طبعى إلى الحرب العدوانية وإلى المجازر وما يدور الآن فى فلسطين والعراق وأفغانستان ليس منقطع الصلة بالذى كان يدور فى الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضى على يد الفاشية والنازية والستالينية.

إنى أعتقد أن من أهم إنجازات المسيرى الفكرية هو اكتشافه وبشكل مبكر أن الأساس الفلسفى الموجود فى نسج الحضارة الغربية المعاصرة والذى يقود إلى حروب الإبادة والاضطهاد والتمييز والتعسف هو مقولة «نهاية التاريخ».

بدا القارئ العادى يسمع فى وسائل الإعلام عن مقولة «نهاية التاريخ» عندما صدر للكتاب الأمريكى فرانسيس فوكوياما كتاب «نهاية التاريخ والإنسان الأخير» فى عام ١٩٨٩.

تتلخص أطروحة الكتاب بأن الإنسانية قد وصلت فى نظام «الديمقراطية الليبرالية» أو «الليبرالية الجديدة» الممول به إلى الولايات المتحدة عند نهايات القرن العشرين إلى نظام ليس بالإمكان استبداله بنظام أفضل منه. ولذلك فإنه سيكون نظام الإنسانية الأخير. وهو يقول بأن نهاية الفترة تظهر فى ذلك النظام. بين الفترة والأخرى. بعض النواقص والعيوب الناشئة بشكل طبعى عن صعوبة إيجاد التوازن المناسب بين متطلبات «الكفاءة» ومتطلبات «العدالة» ولكنها ستكون مشاكل من الممكن حلها فى إطار النظام نفسه وليس عن طريق استبداله بنظام آخر.

كان فوكوياما عندما أصدر الكتاب من القادة الفكرين لتيار «المحافظين الجدد» فى الولايات المتحدة الذى كان يطالب بإحداث تغيير جوهري فى توجه السياسة

خمس محاولات للإستيكان اليهودى فى فلسطين فى الفترة الممتدة من سنة ١٨٨٢ إلى سنة ١٩١٤ قد فشلت لأنها تمت من قبل جماعات تبنت أفكار ومفاهيم القرن التاسع عشر بينما نجحت المحاولة السادسة التى تمت بعد أن تم تحالف الأحزاب العمالية اليهودية مع الحركة الصهيونية بشكل تشكلت فيه تلك الأحزاب لبادئ الاشتراكية الأممية تدعو للتضامن العمالى فى كل القوميات وتبنت مفاهيم «احتلال العمل» أو «العمل المبرر» الذى يقوم على أساس تحالف العمال اليهود مع البرجوازية اليهودية من أجل «أخذ العمل فى الاقتصاد من العمال العرب وإعطائه للعمال اليهود».

إن النموذج المعرفى الذى صاغه المسيرى لا يترك مجالاً للشك فى أن الحركة الصهيونية لم تكن حركة خاصة بين الحركات السياسية فى القرن العشرين. لقد كانت، فى واقع الأمر، حركة رائدة فى تكريس ممارسات الإلغاء والإقصاء والتمييز التى مارستها بعد ذلك الفاشية والنازية والستالينية.

والمسيرى لا يتوقف عند ذلك فتنبؤجه العرفى يوضح أيضاً أن الفاشية والنازية والستالينية لم تكن حالات خاصة من مسيرة الحضارة الغربية. لقد كانت هذه الحركات تعبيراً عن تطور تلك الحضارة فى اتجاه ما يسميه بالعمالة الشاملة أو العمالية العميقة. فالمسيرى يفرق بين مفهومين للعمالية الأول هو العمالية الصهيونية التى تحنى فصل الدين عن الدولة وهو لا يرى أى مشكلة فى ذلك. أما المفهوم الثانى فهو رؤية شاملة لتكون قبيل سنوات عديدة من الأخلاقية عن الحياة العامة وقد تم هذا الفصل من جراء التقدم الهائل الذى

الانتقال وفق المنطق الاستعماري القائم على أساس حق الجنس الأقوى والأرقى على السيطرة على والتصرف بمقدرات الجنس الأضعف.

أما المقولة الثانية فهى تؤكد أن الطرف الآخر سيلتزم بقواعد اللعبة بشكل كامل ولن يتعاون إلا مع الطرف الأول ودون أى اعتبار لرغبات أهل البلاد الأصليين. كما أن «إلغاء» وجود الشعب الفلسطينى فى المقولة الثالثة يفسره نموذج عبد الوهاب بشكل منقطع إذ إن دراسة التاريخ لجماعات الوظيفية أظهرت أن أعضاء الجماعة الوظيفية يصلون إلى مرحلة يخترقون فيه العالم بأسره والواقع بكل تعقيداته إلى ميدان واحد هو الوظيفة نفسها التى يقومون بها. وعندها تصبح الجماعة فى مرجعية ذاتها فيمكنها «أن تلقى الآخر وترآه غالباً أو ترى حضوره بدون معنى» وأخيراً فمضمون المقولة الأخيرة هو نتيجة انفصال أعضاء الجماعة الوظيفية عن التاريخ الحقيقى وتلقفهم بالتاريخ الخفى الذى يخصهم وحدهم. وليس فيه مكان للآخر.



إذاً ليس صحيحاً أن الحركة الصهيونية مثلت حالة خاصة تختلف عن الحركات الفاشية والستالينية والستالينية فى أنها لم تتبع أسلوب حل المشاكل من طريق «إلغاء» أحد أطراف تلك المشاكل. فالحقائق التاريخية تؤكد أن الحركة الصهيونية قد بدأت باتباع ذلك الأسلوب قبل سنوات عديدة من ولادة الحركات الفاشية والنازية والستالينية. علينا فقط أن نتذكر أن

عاش فيها مدة طويلة جداً. أنا لا أعلم بأن هذا الحق. وعلى سبيل المثال أنا لا أعلم بأن ظلماً قد حصل للنهود فى أمريكا أو السود فى أستراليا. أنا لا أؤمن بأن ظلماً قد لحق بيهولاء الناس من جراء حقيقة أن جنسا من صف أرقى قد جاء وحل محلهم.

❖ فى عام ١٩٤١ قال موسى شاريت مدير الدائرة السياسية فى الوكالة اليهودية بأنه «لا يحتاج إلى الذهاب إلى العرب للحصول على اتفاقية بشأن فلسطين وذلك لأن الكلمة النهائية حول الموضوع ليست لهم ولكن للبريطانيين والأمريكان».

❖ فى عام ١٩٦٨ قالت جولدا مائيرسون رئيسة وزراء إسرائيل: «ليس هناك شعب فلسطينى».

❖ فى مطلع الثمانينيات من القرن الماضى بدأ قادة إسرائيل يصفون القدس بأنها عاصمة إسرائيل منذ ثلاثة آلاف سنة.

من الواضح أن نموذج «الصهيونية كحركة خاصة من الحركات القومية والأشتركية فى القرن التاسع عشر» يعجز عن تقديم أى تفسير لآى من هذه المقولات الأربع. فليس هناك فى كل مدارس الفكر القومى والأشتركى فى القرن التاسع عشر ما يبرر مساواة حقوق أى جنس من البشر بحقوق الحيوانات كما لو ذلك المقولة الأولى. كما أن المقولة الثانية تتناقض كلياً مع أوثايت المذهب القومى فى حرية تقرير المصير وعدم شريعة تحكم شعب بمصالح شعب آخر. أما حل مشكلة الشعب الفلسطينى باتباع أسلوب «إلغاء» وجوده كتعب فى مقولة تخص فكر النازية والستالينية كما وصفه برلين وليس الفكر القومى والأشتركى للقرن التاسع عشر. أما المقولة الأخيرة فهى منتهمة لمتى سيقفها فيعد إلغاء وجود الشعب الفلسطينى لا بد أيضاً من إلغاء تاريخه.

فى الختام، لرى أن نموذج عبد الوهاب المسيرى الجنسى على أساس الحركة الصهيونية كحركة انتقال بالجماعات اليهودية الوظيفية إلى الدولة الوظيفية، يقدم تفسيراً مغفلاً لهذه المقولات الأربع وبشكل يفتى ويضع فهمنا الماهية وتاريخ الحركة الصهيونية.

فى نموذج الوظيفية يوجد طرفان: الطرف الذى يوظف والطرف الذى يقوم بأداء الوظيفة. وهى مطلع الثلاثينيات من القرن العشرين كان الطرف الأول هو بريطانيا العظمى التى التزمت عام ١٩١٧ بوعده بظهور فى العمل على مساعدة الطرف الثانى على الانتقال إلى مرحلة الدولة الوظيفية. ولهذا كان على تشترط تسليم هذا



القدرة على الدراسة المتأنية الصبورة مكنته من إنجاز موسوعة «اليهود واليهودية والصهيونية»



تللك القوانين وإعادة صياغة حياة الإنسان وفق رؤى جديدة.

إن هذا الوهم هو المسؤل عن الكوارث التي جلت في القرن العشرين من عمليات الإبادة والتطهير العرقي والمجازر الجماعية.

إذا توقفتنا الآن وقارنا بين القدرة التفسيرية للنموذج المعرفي في كتاب فوكوياما الصادر عام ١٩٩٨ والنموذج المعرفي لكتاب المسيري الصادر عام ١٩٧٢ يكتفى أن نلاحظ أن فوكوياما اضطر قبل أشهر (أذار عام ٢٠٠٧) إلى أن يصدر كتابا جديدا باسم «أمريكا عند مفترق الطرق: الديمقراطية، القوة وتركبة المحافظين الجدد» تراجع فيه عن الأطروحة التي تضمنتها كتابه الأول وتخلي فيه عن تأييد موافق تيار المحافظين الجدد وذلك بعد فشل سياستهم في العراق. كما تخلى عن تأييده لقولة «نهاية التاريخ» بعد اقتناعه أن المفهوم مبني على أساس خاطئ وهو الطبيعة البشرية ثابتة لا تتغير بينما أثبتت الاختراعات التكنولوجية الجديدة وخاصة في مجال الهندسة الوراثية وكيفية تغيير تلك الطبيعة. وفي المقابل إقام عبد الوهاب المسيري عام ١٩٩٧ بإصدار كتاب بعنوان «الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ» وقد استعمل فيه كل ما توصل إليه في كتابه الأول في موضوع «نهاية التاريخ» الذي صدر عام ١٩٧٢ دون أن يكون مضطرا لتراجع عن أي رأي أو أطروحة فيه.

إني اعتقد أن سبب إخفاق فوكوياما هو أنه أخذ مقولة «نهاية التاريخ» كما هي موجودة في فلسفة هيجل ووظفها بشكل يخمد هدفه في إظهار تفوق نظام «الليبرالية الجديدة». وفي المقابل فإن سبب نجاح المسيري في فهم حقيقة المقولة وتقييم دورها الحقيقي في الحركات الصهيونية هو أنه لم يأخذ بمفهوم واحد لها وإنما قام بدراسة تطورها في الفكر الديني وفي الفكر الفلسفي الثاني والفكر الفلسفي المادي التي تمكن من فهم حقيقة الدور الذي قامت به عبر التاريخ. وقد استعمل فوكوياما مقولة «نهاية التاريخ» من أجل خدمة أيديولوجية معينة أما المسيري فقد درس مقولة «نهاية التاريخ» من أجل فهم الأيديولوجيات المختلفة.

القدرة على الدراسة المتأنية الصبورة مكنت المسيري من إنجاز موسوعة من ثمانية مجلدات عن «اليهود واليهودية والصهيونية»، ففي خلال أكثر من ربع قرن كان يدرس ويؤلف ويناقش. ولو كان يعمل من أجل خدمة أيديولوجية سياسية معينة لأفقدت مقالاته وكتبه قيمتها بعد سنوات، أو لن تقل بعد شعور من صدورها. ولكنه كما يكتب بديع

وما هو الضرر في إلغاء وجود اليهود؟ إذا كان وجودهم عبثية في طريق إقامة نظام الرابع الثالث لأرضي جنس بشرى.

وما هو الضرر من إلغاء الفلاحين؟ إذا كان وجودهم عبثية في طريق إقامة أول مجتمع للثقوبين غير طبقي.

وما هو الضرر من إلغاء وجود الفلسطينيين؟ إذا كان وجودهم عبثية في طريق حلول الله في أرض إسرائيل وتشييد مملكة «الفردوس الأرضي».



درس المسيري بشكل منهجي كل التصورات المختلفة لقولة «نهاية التاريخ» كما جاءت في الفكر الديني والفكر الفلسفي منذ عصر النهضة الأوروبية إلى ما أصبح يعرف بفكر ما بعد الحداثة. ويخلص من تلك الدراسة إلى أن المقولة تشكل أساسا محوريا لكل الحركات الشمولية غير الديمقراطية. فالقولة في جوهرها مبنية على أساس تكريس فهم واحد لحقيقة الكون والإنسان والتاريخ بحيث تعتمد حقيقة الكون، أو فهمه مبنية على أساس الفكر الشمولي فإنه مبني على أساس أن «حقيقة الكون، حقيقة جماعية. كما أظهر المسيري أن خطورة القولة تكمن في أنها توهم المؤمنين بها أنهم الحويدين الذين عندهم المعرفة الكاملة بالقوانين التي تحرك التاريخ وأنهم الحويدين القادرين على التحكم في

سياسي. اقتصادي. اجتماعي نهائي هي مقولة تتناقض بشكل كامل مع منطق العلم الحديث إذ أن هذا المنطق يؤكد أن العلم لن يصل إلى حقيقة نهائية وبالتالي فإن التقدم العلمي سيستمر ما دام الإنسان موجودا. وهذا يعني بالضرورة أن التقدم التكنولوجي سيستمر أيضا. ومن الطبيعي أن نشأ عن ذلك التقدم أوضاع اقتصادية واجتماعية جديدة تتطلب بالضرورة أنظمة سياسية جديدة. وهذا يعني أنه لن يكون هناك نظام نهائي. ومع ذلك نجد أن أقصى اليسار واليمين يتفقان على تبني تلك المقولة. فأقصى اليسار يرى أن التاريخ يتحرك بفعل صراع الطبقات وعندما تنصهر الطبقة العاملة وتنجم في إقامة مجتمع «لا طبقي» ينتهي «التاريخ» الذي كان متحركا بفعل صراع الطبقات. بينما يرى أقصى اليمين أن التاريخ يتحرك بفعل صراع الأجناس البشرية وعندما تتم سيطرة الجنس الأبيض المتفوق ويخضع سيطرته المطلقة على بقية الأجناس ينتهي الصراع وبالتالي ينتهي التاريخ.

وجد عبد الوهاب المسيري أن الخطر ما في مفهوم «نهاية التاريخ» هو أن المؤمنين به يرون تلك «النهاية» على أنها الجنة الواعدة أو «الفردوس الأرضي» وهم يرون أن رسالتهم هي إقامة الحياة في تحطيم أي عبثية وإلغاء أي مشكلة تقترض مسيرتهم من أجل تأسيس ذلك الفردوس وإنشاء عالم الصراعات والكوارث والألام.

ما هو الضرر في إلغاء وجود اليهود؟ الحبر إذا كان وجودهم عبثية في طريق بناء أعظم حضارة عرفها التاريخ.

الخارجية الأمريكية، إذ أنه كان يعتقد أن سياسة أمريكا الخارجية يجب أن تتغير من كونها ملتزمة بالدفاه عن «المصالح الأمريكية» وتصبح ملتزمة بالدفاه عن «القيم الأمريكية» على أساس أن «المصالح» مفهوم ضيق لا يليق بالقوة الوحيدة في العالم القادرة على نشر قيم الديمقراطية والعدالة والسلام.

قبل صدور كتاب فوكوياما بسبعة عشر عاما، صدر كتاب للمسيري بعنوان «نهاية التاريخ: مقدمة لدراسة بنية الفكر الصهيوني» وفيه تعرض إلى التصور اليهودي للوقت الذي سينتهي فيه الصراع الإنساني عندما يؤسس الإنسان «الفردوس الأرضي» الذي سيحقق عندما يتم «حلول الله في الأرض» وعندما يحدث ذلك ينتهي الوجود التاريخي، للإنسان اليهودي ككائن فرد له صفاته البشرية ويحل محله الوجود الخالد الجماعي للشعب اليهودي. ووجد أن هذه الفكرة الدينية لها في الفكر الصهيوني وجود محوري حتى عند الصهاينة غير الدתיين وحتى الملحدين منهم لأن لها مردافا فلسفيا يحتل مركزا محوريا في المخ الفكرية لكل الحركات الشمولية في القرن العشرين.

وجد عبد الوهاب أن مقولة «نهاية التاريخ» التي تعني بالنسبة لليهودي مملكة صهيونية موجودة أي في فلسفة ترى أن «التاريخ» يتحرك بفعل قوة واحدة من أجل تحقيق غاية واحدة على أساس أنه من الطبيعي أن يؤدي تحقيق تلك الغاية إلى توقف صمم تلك القوة وبالتالي توقف التاريخ كما هو معروف ويدعي مرحلة إنسانية جديدة يصح تسميتها «غير تاريخية» لأنها تختلف جذريا عن كل ما سبقها في التاريخ البشري.

وجد عبد الوهاب أن أوضح وجود للمقولة هو في فلسفة هيجل. فالتاريخ وفقا لتلك الفلسفة هو صراع بين ما يشد بالإنسان إلى أوضاع العبودية والأسر وما يدفع به إلى رحاب الاستقلال والتحرر. وهيجل يعتقد أن الدينامية التي تحرك ذلك الصراع نحو مزيد من الحرية هي قوة العقل الإنساني المسكون بروح الله. وعندما تتم سيطرة العقل على العالم، أي عندما يصل روح الله في العالم، يفوز الإنسان بالحرية الكاملة وينتهي الصراع وبالتالي ينتهي «التاريخ» كما هو معروف منذ الأول. «تبدأ الإنسانية في العصر «غير التاريخي» بمعنى الحياة بدون صراع.

من الواضح أن مقولة «نهاية التاريخ» أي وصول الإنسانية إلى نظام

عبد الوهاب المسيري



موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، رؤية نقدية
(مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة ١٩٧٥).

هذا العمل هو بداية الجهد الموسوعي للمسيري، إذ اكتشف ما سمى «جيتوية الصهيونية»، وهي أن كل المصطلحات، بل المفردات، التي ترد في الكتابات الصهيونية لها معنى محدد يختلف عن معناها الضمني الأخرى. فـ «الحزب السياسي» في الكيان الصهيوني يختلف عن «الحزب السياسي» في الدول غير الاستيطانية في بنيتها ومفهومه، وكلمة «الشعب» كما ترد في المعاجم السياسية يختلف معناها عن معنى كلمة «الشعب» كما ترد في الهجوم الصهيوني. وهذه الموسوعة محاولة أولية لحصر المصطلحات والمفردات والمفاهيم الصهيونية وتعميد معناها ومضامينها واسترجاع الابع العربي/النقدي لها.

وتقوم الموسوعة بتقديم تعريف مستفيض لعظم المصطلحات الصهيونية الشائعة حتى تاريخ صورها، ابتداءً بـ «الصهيونية العنصرية»، على سبيل المثال، وانتهاءً بـ «الكيبوتس».

وقد بدأ الدكتور المسيري في كتابة موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية عام ١٩٧٦، كمحاولة لتحديد موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية.

الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ، رؤية حضارية جديدة
(دار الشروق، القاهرة ١٩٩٧. طبعة ثانية ١٩٩٨. طبعة ثالثة ٢٠٠١ - طبعة رابعة ٢٠٠٥).

يتناول الكتاب الظاهرة النازية انطلاقاً من مستوى تحليلي حضاري معرّفي يتجاوز السرد التاريخي والسياسي، كما يتجاوز منطق مراكمات المعلومات والحقائق. ويستخدم منهج دراسة الظواهر التاريخية الحضارية من خلال المنهج التفسيري. يبدأ الكتاب بتصريف إشكالات وتوقّفات الإشكالية المرتبطة بها. ثم يتناول ظاهرة الإبادة في سياقها الحضاري والأثافي، وبعض الإشكالات السياسية والفلسفية التي تثيرها إبادة يهود أوروبا على يد النازي، مثل إشكالية الفصل العلم عن القيمة، وتوظيف الإبادة واحتكارها وإنكارها، وإشكالية الحل النهائي، وقضية عدد ضحايا الجريمة النازية، وملاحقة مجرمي الحرب النازيين، ويشير الكتاب واحدة من أهم القضايا الخلافية وهي قضية التعاون بين أعضاء الجماعات اليهودية (وخصوصاً الصهاينة) مع النازيين. ويتناول الكتاب كذلك المكافحة التي تشهدها الإبادة النازية في الوجدان الفلسفي والأدبي الغربيين.



اليهودية: دراسة في الحركات اليهودية الهدامة والسرية
(دار الشروق، القاهرة ١٩٩٨. مكتبة الأسرة، القاهرة ٢٠٠٠. دار الشروق، القاهرة ٢٠٠١).

يتناول المسيري في هذا الكتاب ما يسمى «المقلبة» الشامرية، التي تنظر إلى العالم من خلال النموذج الأخلاقي ذي البعد الواحد، ومن ثم تسقط في العصرنة، التي تبسط الواقع، وتجعل التعامل معه والتنبؤ به مسألة صعبة، إن لم تكن مستحيلة. ويحرق المسيري عقاب هذا ما يسميه «النموذج المركب»، بعد استخدمه في حالات للدراسة منها: اليهودوكالات، التعمود، السحر، الماسونية، الهياثية، الفرانكية، السبئية، الجاسوسية اليهودية، الجريمة اليهودية، اللوبي اليهودي والصهيوني، كما تناول الكتاب إشكالية المقبرة اليهودية واللوبي اليهودي الصهيوني. وقد ضم هذا الكتاب بعض المواد التي وردت في كتاب الجمعيات السرية في العالم (من إصدار دار الهلال، القاهرة ١٩٩٢) بعد إعادة صياغتها وتطويرها وإضافة إليها. وأضاف المسيري إلى الكتاب ملحقات

المصالح الأمريكية، وأمريكا تدعم عملية التوسع الصهيونية، ولذلك فإننا نجد أن من أهم نتائج معاهدة السلام المصرية - الإسرائيلية هو تسارع التوسع الصهيوني والدليل على ذلك أنه في فترة العشر سنوات التي امتدت من احتلال إسرائيل للضفة الغربية وقطاع غزة إلى زيارة السادات لإسرائيل لم يتجاوز عدد المستوطنين في الأراضي الفلسطينية ٤٠ ألف مستوطن أما في فترة العشر سنوات التي تبعتها الزيارة فقد زاد عدد المستوطنين على ربع مليون.

قامت اتفاقية أوسلو منظمة التحرير الفلسطينية إلى تغيير ميثاقها، فانقلبت من حركة تحرر، وعنى إلى حركة تعمل على بناء حكم ذاتي محدود وفق الإملاءات الأمريكية وهذا يعني، مرة أخرى، القبول بالصور والوظيفية لإسرائيل في خدمة المصالح الأمريكية مقابل تأييد التوسع الصهيوني. وهذا ما حصل بالفعل، فلقد بلغ معدل النمو السنوي لسكان المستوطنات اليهودية في الضفة الغربية بعد أوسلو ضعف ما كان عليه قبلها. فتمت توقيع اتفاقية أوسلو كان عدد المستوطنين اليهود في الضفة الغربية وقطاع غزة ٧٦٦. ٣٦٨ مستوطن أما في عام ٢٠٠٦ فقد بلغ عدد المستوطنين في الضفة الغربية وحدها ١٧٥. ٧٠٠.

وتظهر القوة التفسيرية لنموذج «الجماعات الوظيفية» الذي صاغه المسيري من خلال دراسة اليهودية الصهيونية عندما نتوقف عند الذي حدث قبل أسبوعين من انعقاد مؤتمر أتلانوليس (٢٧ نوفمبر ٢٠٠٧). لقد تم انعقاد المؤتمر برعاية أمريكية وبحضور عرسي مميز، وتوصل المؤتمر إلى الاتفاق على العودة إلى العملية السلمية وعلى استئناف المفاوضات المتعلّقة منذ ست سنوات بين منظمة التحرير وإسرائيل. وبعد مرور أقل من أسبوع واحد على انعقاد المؤتمر أعلنت إسرائيل عن عزيمتها على بناء مئات الوحدات السكنية الجديدة في مستعمرة جبل غول غنيم في القدس وقد أحدث ذلك الإعلان دهشة كبيرة عند كثيرين من السياسيين والمعلقين لأنهم رأوا في توسيع الاستيطان اليهودي في الأراضي الفلسطينية ما يتناقض بشكل كامل مع المناخ الذي خلقه المؤتمر. أما الذين نظروا للموضوع من منظور نموذج المسيري عن الدور الوظيفي لإسرائيل فإنهم لم يعاصروا بالدهشة على الإطلاق، وعلى العكس كانوا يبدون بأن أولى نتائج المؤتمر ستكون التوسع الاستيطاني، اليهودي في الضفة الغربية».

لاسترداد النص الكامل ينشر في دورية «أوراق فلسفية».

البحث هو حقائق الأشياء مدركاً أن للظواهر الإنسانية وجوداً مركباً معقداً وأن تفسيرها بشكل كامل هو عملية مستحيلة. وكما يقول كان يعمل، من أجل محصر بعض العناصر التاريخية والثقافية والاقتصادية التي قد تساهم في تفسير جوابات كثيرة مما حدث وفي إلقاء الضوء عليه دون أن نزع أن أننا بالتفسير النكلى ونهائي للظاهرة... ويغفل هذا المفهم «العلمي» مهمة البحث العلمي وحدوده ويغفل سعيه الدائم لتجنب الاشتراك والتحيز، لشكن المسيري من أن يراكم في نشاطه الفكري المنادج المعرفية التحليلية ما مكّنه من التقدم يوماً بعد الآخر على طريق بناء موسوعة كاملة.

لقد كتب عبد الوهاب «الموسوعة، كتعبير عن تجربة وليس فقط كتعبئة للبحث، ولهذا جاءت الموسوعة تمتع بصينتين لأن اجتماعها في عمل قافى واحد، فهي من ناحية موسوعة معلومات عن كل نواحي الموضوع، وأكثرها غير معروف للناظر العربي، ستدق الكثيرين إلى إعادة النظر في كثير من المفاهيم والمسلّمات السائدة؛ وهي من الناحية الأخرى موسوعة الأفكار على أساس أن عبد الوهاب تسلم من التجربة أن «المعلومات، وسدّها لا تكون معرفة، كما أن «الحقائق» وسدّها لا تكون الحقيقة» فالحقائق هي معطيات مادية متناثرة لا يربطها رابط، أما الحقيقة فهي نتاج جهد إنساني عقلي، تتكون حين يقوم العقل الإنساني بالربط بين الحقائق ثم تجريده لنموذج تفسيري منها، والموسوعة عملية بهذه المنهج التي توظف المعلومات من أجل الوصول إلى أكبر قدر من المعرفة. فموسوعة المسيري إذن، ليست دائرة معارف فقط، إنها أيضاً منهج التفكير.

ولقد ثبتت كفاءة هذا المنهج الفكري في قدرته الفائقة على تفسير المحطات الرئيسية في تاريخ الصراع العربي - الإسرائيلي.

لناخذ على سبيل المثال اثنتين من أهم تلك المحطات، وهما زيارة الرئيس أنور السادات إلى إسرائيل (نوفمبر ١٩٧٧) وتوقيع اتفاقية أوسلو للاعتراف المتبادل بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل (سبتمبر ١٩٩٣).

قامت زيارة السادات إلى إسرائيل على إنهاء حالة الصراع بين البلدين وتوقيع معاهدة السلام المصرية - الإسرائيلية وقد تم ذلك بعد حدوث انقلاب كامل في توجه السياسة المصرية قبلت بموجبه مصر بالهزيمة الأمريكية على المنطقة، وبالتالي قبلت بالصور الوظيفية التي تقوم به إسرائيل في المنطقة، هي تخدم

المسيرى والصهيونية

اما الفصل الرابع (موجز تاريخ الصهيونية)، فيحاول أن يقدم خريطة متكاملة لتطور الفكر الصهيوني. ويتناول الفصل الخامس (الاستعمار الاستيطاني الإحلالي الصهيوني)، الظاهرة الصهيونية، ويحاول أن يحدد العلاقة الخاصة، ويشرح تعريفها، يبدأ من التعريفات الغربية المتحيزة ذات المقدرة التفسيرية الضعيفة. ويتناول الفصل السادس والأخير (أزمة الصهيونية)، مصادر أزمة الأيديولوجية والتجمع الصهيوني، ومدى تأثيرها في مستقبل إسرائيل.



موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، نموذج تفسيرى جديد

(ثمانية أجزاء، دار الشرق، القاهرة ١٩٩٩).

وهي عمل المسيرى الأبرئ، الذي استغرق من عمره ما يقرب من ثلاثين عاماً لإنجازه. وهذه الموسوعة لاكتفي بالتحليل، أي نقد المصطلحات الصهيونية، وإنما لتشكل إلى التأسيس، أي محاولة طرح رؤية عربية بديلة لتطوّر اليهودية والصهيونية والإسرائيليه، ووضع مصطلحات جديدة لوصف هذه الظاهرة وتتناول الموسوعة كل جوانب تاريخ العبرانيين في العالم القديم، وتواريخ الجماعات اليهودية بامتداد بلدان العالم، وتعداداتها ونزعاتها، وسعاتها الأساسية، وهياكلها التنظيمية، وعلاقات أفراد الجماعات اليهودية بالجماعات التي يوجدون فيها وبالدولة الصهيونية. وتغطي كذلك أشهر الأعلام من اليهود وغير اليهود ممن ارتبطت أسماؤهم بتاريخ الجماعات اليهودية، في شتى المراحل التاريخية والمواقع الجغرافية والانتماآت الحضارية. كما تتناول هذه الموسوعة كل الجوانب المتعلقة بتاريخ اليهودية، وفروعها واكتشافات الدينية، وطقوسها وشعائرها، وأزماتها في العصر الحديث، وعلاقتها بالصهيونية ومعاداة السامية (معاداة اليهود)، كما تغطي الحركة الصهيونية ونشاطاتها ومدارسها وأعلامها، وبعض الجوانب الأساسية للدولة الصهيونية.

وتهدف الموسوعة إلى توفير وتحسين الحقائق التاريخية والمعاصرة عن الظواهر اليهودية والصهيونية والإسرائيلية، وإلى تقديم رؤية جديدة لموضوعات التي تغطيها، وهي تحاول إنجاز ذلك من خلال طرق:

- تقديم تاريخ عام للمقيدة والجماعات اليهودية ولحركة الصهيونية.
- التمييز الدقيق للمفاهيم والمصطلحات السائدة، والتأريخ لها من منظور جديد، وإبراز جوانبها الإشكالية.
- إسقاط المفاهيم والمصطلحات المتحيزة، وإحلال مفاهيم ومصطلحات أكثر حياداً وتفسيرية محلها.

وقد حصلت الموسوعة على جائزة أحسن كتاب في معرض القاهرة الدولي للكتاب عام ١٩٩٩.

البروتوكولات اليهودية والصهيونية

(دار الشرق، القاهرة يناير ٢٠٠٣ - طبعة ثانية أبريل ٢٠٠٣ - طبعة ثالثة مايو ٢٠٠٣ - طبعة رابعة يناير ٢٠٠٥).



يرى المسيرى أن البروتوكولات وثيقة مزيفة، وذلك استناداً إلى بعض الحقائق التي نُشرت عن أصولها ومن خلال تحليل النص من الداخل، وهو يبين في هذه الدراسة أن «الفكر البروتوكولي» التأمري فكر اختزالي، ليست له مقدرة تفسيرية ولا حتى تعبوية، لأن كره اليهود، الذي يتخلل نصوص هذه الخطاب، يصب في واقع الأمر في الخندق الصهيوني، فمن يكره اليهود يقوم باضهادهم والتحرش ضدهم، مما يطردهم إلى الخروب، من بلدهم ليتحولوا إلى مستوطنين في بلادنا! كما أننا، بصرفنا أن اليهود هم «السبب» فيما يخلق بنا من مصائب نتجها الدغم الأمريكي الشامل والمستمر لجلب الصهيوني، وهو الدعم الذي يضمن له الاستمرار والبقاء والصهيونية، كما يقول المسيرى، في دعوة لتخليص أوروبا من اليهود وتصديرهم إلى مكان خارجها ليوظفوا لصالحها. ويتبن الدراسة أن الجذور الحقيقية للصهيونية هي الاستعمار الغربي ومعاداة السامية، وتخص الدراسة إلى أن ترويج البروتوكولات يثبت روح الهزيمة ويقوض روح الجهاد، وأن الإصرار على أن اليهودية عبارة عن مجموعة من الصفات الثابتة التي يتوارثها اليهود جيل بعد جيل يتنافى وتعاليم الإسلام التي تنهت إلى أن الرذيلة، مثل الاستقامة، مسألة اختيار وليست مسألة ميراث. وتختتم

به دراسة تفصيلية عن النموذج الاختزالي والنسوج المركب وعن المؤثر الاختزالي والمركب.



اليهود في عقل هؤلاء

(دار المعارف، سلسلة أقراء، القاهرة ١٩٩٨، دار العين، القاهرة ٢٠٠٨).

يضم هذا الكتاب عدة دراسات، واحدة عن اليهود في عقل الأدياء أعضاء الجماعات اليهودية الذين يرفضون الصهيونية أو لا يكتسرون بها (أيزاك بابل - فرائز كاشكا...إلخ)، وعقل الأدياء الذين يهتمون بالصهيونية ويرون فيها حلاً للمسألة اليهودية (جورجون ويرنر). كما يضم دراسة في فكر جمال حمدان الاستراتيجي، الذي وضع مصر (ومن ثم فلسطين) في المركز وفي منتهجه الذي لا يرفض العام ولكنه لا يكتفي به، إذ يضل إلى الخاص ويعبر عنه. وأخيراً يضم الكتاب الدراسة التي كتبها المسيرى بمناسبة زيارة المفكر الفرنسي روجيه جارودي القاهرة وتقديمه للحاكم، ويبين فيها الفرق بين الأسطورة بالمعنى الإيجابي والأسطورة بالمعنى السلبي، ويحاول أن يبين منمنطقية، تحول جارودي للإسلام، فهو يبحث عن نظام يؤكد مقدرة الإنسان على تجاوز عالم المادة وسوق السلع، وقد وجد ضالته في التوحيد الإسلامي (مقابل «واحدة السوق»).

الجماعات الوظيفية اليهودية، نموذج تفسيرى جديد

(دار الشرق، القاهرة ٢٠٠١ - طبعة ثانية ٢٠٠٣).

يحدد المسيرى مفهوم الجماعة الوظيفية بأنها جماعة يستورها المجتمع من خارجها أو يحددها من داخله، تُعرف في ضوء وظيفتها، لا في ضوء إنسانيتها الكاملة، ويكفل المجتمع إليها وظائف لا يستطيع بها عادة أعضاء المجتمع، إما لأنها مشيئة (البغاء، الربا)، أو مستمرة وتتطلب خبرة خاصة (الطب والترجمة)، أو أمنية وصكورية (الخصيان، الماشيك)، أو لأنها تتطلب الحداثة الكامل (التجارة وجمع الضرائب). ويتسم أعضاء الجماعة الوظيفية بالحياد، وبأن علاقاتهم بالمجتمع علاقة نفعية تعاقدية، وهم عادة عناصر حركية لا ارتباط لها ولا انتماء، تعيش على هامش المجتمع في حالة اغتراب، ويقوم المجتمع بمرزاها عنه ليحتفظ بمثانة لسيجه المجتمعي. وأعضاء الجماعة الوظيفية عادة من حملة الفكر الحولي واللعناني الشامل. وقد استخدم الدكتور المسيرى هذا النموذج في تحليل تاريخ الجماعات اليهودية ووضعها وانتماءاتها الثقافية. كما درس الدولة الصهيونية باعتبارها دولة وظيفية، استيطانية إحلالية. ورغم أن هذا الكتاب يتناول الجماعات الوظيفية اليهودية بوجه خاص من التركيز إلى أنه، مع ذلك، يقدم مفهوم «الجماعة الوظيفية»، باعتباره أداة تحليلية أكثر تفسيرية وتركيبية من مفهوم «الطبقة» التقليدي.

مقدمة لدراسة الصراع العربي-الإسرائيلي، جذوره ومساره ومستقبله

(دار الفكر، دمشق ٢٠٠٢).



يضم هذا الكتاب ستة فصول تحاول تقديم رؤية شاملة لجذور الصراع العربي الإسرائيلي ومساره ومستقبله، فيقدم (اليهود، أم جماعات يهودية)، رؤية بالواقعية، للجماعات اليهودية في العالم، أعضاها، وهجراتهم، وتوقعهم، وعدم نجاحهم. ويتناول الفصل الثاني (يهود، أم جماعات وظيفية يهودية)، مفهوم الجماعة الوظيفية، ويحاول تطبيقه على الجماعات اليهودية، أما الفصل الثالث (الجماعة الوظيفية والمسألة اليهودية)، فيبين كيف تبلور الفكر الصهيوني داخل التشكيل الحضاري الغربي والإمبريالي.

الدراسة بمحصل عن إبداعات انتفاضة ١٩٨٧ واتفاضة الأقصى وكيف أن مثل هذا الإبداع لم يكن ممكناً إلا بعد أن رفض المتعضون عن أنفسهم شعار الخوف والهيمنة

الصهيونية والحضارة الغربية الحديثة

(دار الهلال، كتاب الهلال، القاهرة ٢٠٠٣)

شاع في الخطاب التحليلي العربي الصهيونيية
تضرب بجذورها في التوراة والتقدم والتقاليد الدينية
والأثنية اليهودية ويذهب الصهاينة إلى أن شمع حنانيا
صهفنيا أسسها أساساً هذه الصهيونية، كما حاول أن يبين
لدى الدراسة ذات جنوز غريته ثم أصيبت لها ديباجا
يهودية. قائم اليهودي في معظم الأحيان بعد زخرفي
تبريري، ضيف إلى ما قبل مقررة الصهيونية. وقد هنا كثير
المنحصرين الضميريين إلى خطأ الافتراضات التي تبنيها على أساس
من الميرون في العالم العربي، وهذا بعد بطبيعة الحال
البحوث وعطرية الصائم لعمومات والتناقض التي يصل إلى
الأحيان ليس لها قيمة تفسيرية أو تكنولوجية عالية. وتتناول
فيها حلول أن توضع العناصر العرقية الأساسية والمادية و
العرفية الصهيونية لتفهم. أو بين أن الصهيونية ليست
التي الحديثة، كما يبدو للبعض القول. وإنما هي في حدود
أسسها بإحاطة الأوروبية، أي الحداثة التي تسعى إلى حلول
وتوظف تصالح الأقوى (في مقابل الحداثة الإنسانية التي
تتحدى والطبيعة والتي تفكك في تلك الأثناء) الجنس البشري
ليستوعب معاً ما في ذلك الأجيال الختمة

الإدراك الصهيوني للعرب واليهود المسلح

(در الحمراء، بيروت ۲۰۰۲)

من أعقد القضايا التي يواجهها المحللون السياسيون علاقة إدراك الإنسان للواقع المحيط به وسلوكه ومدى الإدراك (والوعي) والأفكار (المرونة) في السلوك الإنساني، وكيف تكون استجابة الإنسان الذي يتم تحدي تلك الاستجابة، كما يحدث في فلسطين المحتلة حتى في المتفوضين خروطة الصيانة الإدراكية التي تمتد مجموعة من الأساطير والديباجات التوراتية من خلال ما أو ما نسميه الحواجز المسلح وهذه القضية لا تختلف مع مشكلة الغائبة والمحو عمة في العلوم الإنسانية

والاجتماعية بل والطبيعية، وهذا الكتاب يحاول أن يلقي بعض الضوء على هذه القضية، فإنه هو الذي أصدره، وهذا ما يبرسي إلى تحقيقه وعلى الرغم من أن كل فصول الكتاب تدور حول الصراع العربي الإسرائيلي (وموضوعات أخرى على علاقة به)، فإنه هذا مجرد دراسات تحليلية، إذ لا يخلط الإصرار على الأساس هو القضية العربية الإسرائيلية وكيف تدور الرؤية وكيف يمكن حلها، مما يمتد إلى تقديمها أو تقويضها تماماً، وما الحالات التي أتينا بها سوى محاولات مختلفة لتوضيح بعض أبعاد هذه القضية الكلية والمجردة من خلال أمثلة معينة.

التحائس اليهودي والشخصية اليهودية

(دار الهلال، كتاب الهلال، ٢٠٠٤).

يضم هذا الكتاب عدة مقالات نُشرت في عدة جرائد عربية على مدى الأعوام الماضية. والمقال الأسبوعي عادة ما يدور حول حدث ما، حدث «ساحس»، كما يقولون في عالم الإعلام، وهم عادة ما ينعنون بذلك حدثاً وقع تنوء هذا المطلب يمثل جزءاً من توقعات القارئ من جريسته اليومية ولكن مؤلف هذا الكتاب لا يؤمن بجديوى اسمه (الموضوعية المادية المثالية، التى تتلقى تفاصيل

الواقع تم تسجيلها دون تصنف، أو ترتيب يهدف مراقبة المعلومات (والد) وقد حاول قدر استطاعته أن يضع الحقائق داخل إطار محقق من أجل الحد من سوء الفهم كما هو متصور عند الناس كما كان يصعب على الباحث التاريخي والاجتماعي والتفاهي حتى يفهمه على أساسه المبرك. وربما تم تطبيق بعض المفاهيم التحليلية الأساسية التي وردت في موسوعة اليهودية واليهودية والصهيونية على الأحداث التالية. وقد قام المؤلف بهذه الملاحظات في كتابه. بعد أن قام أمام تصنيفها بعض الموضوعات الأساسية للكتاب ودخل السياق المذكور. والذي يمكن للقرآن أن يرى الحدث "الأساسي"، في إطار مفهوم "الداخلي" والسياسي الذي يعطي الحقائق مقادير وإعدادات الحقيقية. فهناك بعض المقالات عما يسمى "القومية اليهودية"، وآخر عما يسمى "الشخصية اليهودية"، وثالث على الشكل التالي:

الصهيونية وخبوط العنكبوت

(دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٦)

يضم هذا الكتاب عدة مقالات تناول طائفة متنوعة الأحداث والطواغير المتعلقة باليهودية والصهيونية. ويمنار الصراع العرقي الصهيوني. ويمكن القول إن هذه الدراسة هي محاولة لاستخدام المنهج التاريخي في توضيح المؤلف في موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. نموذج زعماري جديد لتفسير الأحداث والوقائع التي يتعرض لها الكتاب لتأسيس والطموح التي تدرك في وجهات النظر المختلفة استطاعت أن يجمع البحث والمعلومات داخل

يُعدّ مذكر شتياول الحدث نفسه وأولوعته نفسها وأكثر عصبية منهما. بالإضافة إلى وضعهما في سياقهما التاريخي والثقافي، يتسكع بهما في إبعادهما المركبة. ويتناول الكتاب الأول من الكتاب الموضوعات التي تدور حول بعض قضايا الاستعمار الصهيوني، مثل اليهودية واليهودية، ويجود الاستعمار الاستيطاني الصهيوني. ويتناول المصطلح الصهيوني، وكيف أنه يبرح عن معاصيه معصومة وصورة أكثر حمرة من وصفتها. والثاني من الكتاب مفهوم الوحدة اليهودية كما يتسكع بها مسيحه المؤلف الحرفة القومية اليهودية وحرارة الهوية اليهودية، وخرفة الشخصية اليهودية، ويحول هذه الحرفة إلى بين، من خلال الأقتامة المحددة والتواءه المتحددة، أما يوجد أي تجاسي بين أعضاء المجتمعات اليهودية، أو الحديث عن الوحدة اليهودية، حرفة أتسعه الصهيونية والمحاو واليهود واليهودية علي حد سواء، إيساع الشريعة علي الشروع الصهيوني. ويتشغل الكتاب بعد ذلك، علي فهد الإذارة، فيحاول أن يبيّن كيف يترك الإسرائيلون اليهود وراقع الفلسطينيين، في عهد الإذارة، وليس الواقع المادي الجيت، وهو الذي يبعثنا كثيرا من جنوب استجابتهم لا يقع لهم من أحداث، أما عقيقة الكتاب فيتناول موضوعات شتى، مثل: وثوقوت حكماء مسيهور، والقراتير شتكل قام، واليهود الفصل الأول من الكتاب موضوعات إسرائيلى وهو موضوع يحجم الإسرائيلى العربي، وليس علي تناوله. بينما لا يتروّد الإعلام الصهيوني في ذلك، وليس الواقع إسرائيلى يقطار الإسرائيليين.

وعنوان الكتاب له دلالة، فقد كان موسيه يعلون، الذي كان يشغل منصب رئيس هيئة الأركان في الجيش الإسرائيلي، وأثناء مباحثة عقد القسب الإسرائيلي على الصمود في الصراع العراري مع الفلسطينيين، وعلمته الظهور في السوابق الإسرائيلية مختلفة ويحسب أن إسرائيل تبدو من الخارج دولة عظمى من الناحية العسكرية، ولكن من يلمسها يدرك أن إسرائيل ليست سوى خليط من العنكبوت.

ولكن مع تصاعد معدلات الخلق داخل التجمع الصهيوني، اضطر يعلون، في تصريحاته لطلتها صحيفة، فيقول: «أحزوني، في موقعها على الإنترنت (1 فبراير/ شباط ٢٠٠٦) أن لا الاعتراف بأن دعوات التجمع الإسرائيلي على الصهيونيين حيوية (لإسرائيل) ولا على يهودها، بل هي دعوة للتعبئة، وقد برع يعلون في هذا، في أن اجتماع يعلون أمام شخصيات من العاملين في مجال التربية والتعليم في القدس، ووصفت الصهيونية «تصريحات يعلون بأنها «مادة»، وقال وقتها على موقعه الحاضرين: «وقفت الصائفة، فوق الأمر الذي قد فعل يعلون فيما دعا إلى تعريضاته مدعياً أنها أساءة فهمه، وس لم تحت أياماً من تعريضاته للصهيونية».

ومما سلتفت النظر أن معظم الصحف العربية تجاهلت الخبر تماماً، بينما نشرته بعض الصحف الأخرى على استحياء في زاوية مهمة، وكأنه خبر عابر لا أهمية له، وكأنه ليس تقييماً حقيقياً لحوانيت الكتلة البشرية الاستيطانية التي احتلت أرض فلسطين، صادرا عن أحد أعمدة المؤسسة العسكرية الصهيونية، وكأنه ليس مؤثرا فوريا على العالم الذي يتحدث الانتماضية العلمانية على التجمع الصهيوني.



ومنهجية، الأمر الذي جعلها تقض مضجع الإنسان الغربي، فمشروعه الحضاري يستند إلى العلم المتجرد من القيمة وعبقريته حمارته تكمن في الترشيد المتزايد.

٢- كانت الإبادة الاستعمارية الأخرى تتم دائماً، هناك، بعيداً عن أوروبا حيث كانت أوروبا تلقى بفلسفتها البشرية، في آسيا وأفريقيا. أما الإبادة النازية فتمت، هنا، على أرض الحضارة الغربية، وعلى بعد أمتار من منازل المواطنين العاديين. كما أن العناصر التي أيدت لم تكن داكنة اللون أو صفراء، وإنما «مثلنا تماماً».

٣- يشغل اليهود مكانة خاصة في الوجدان الغربي البشري والحضاري، فاليهودي يلق دائماً على الهامش، موضع تقديس وغر عميقين، وبينما صرخته الإبادة النازية تنبيه الإنسان الغربي إلى الإمكانية الكامنة التي تقف فارغة فاهة، في قلب حضارته الحديثة.

ويتحدث الغرب عن الألمان النازيين فقط، وعن مذابحهم ضد اليهود وحدهم وأهمال كل ما قامت به الحضارة الغربية من مذابح وقطائع بداية الغرب يفعل ذلك ليتسنى له أن يوظف الهولوكوست على مستويات:

١- إسباغ نوع من الشرعية الدولية على

على قائمة كتابها الدائمين، اعترفت وجهات نظر، دائماً باسم «عبد الوهاب المسيري، الذي اختارها منبراً لدراساته ومقالاته الفكرية في الحداثة وما بعدها وفي مفاهيم الحضارة الغربية، كما في المسألة اليهودية والصهيونية.

وهنا آخر ما كتبه المسيري لـ وجهات نظر

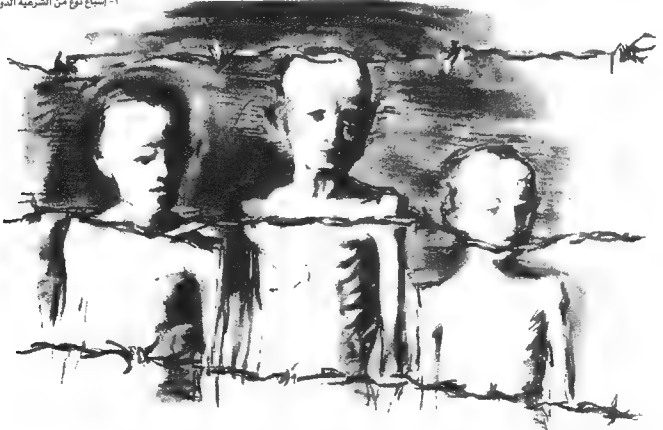
«بيزنس الهولوكوست»

■ محاولة السطر لإشكالية الإبادة من الداخل والخارج، والمزج بين الخاص والعام، تغير الرؤية وتضع قضية الإبادة على مستوى تحليلي جديد تماماً يولد أسئلة مختلفة عن تلك التي يطرحها الصهيونية، والتي تصمد الأجندة البحثية والأجوبة التي ستتوصل إليها، فقصيدة ستة الملايين، وهل هو رقم صحيح أو لا، تصبح قضية ثانوية، إذ إن ثمة نمطاً إيدياً غربياً عاماً موجهاً ضد الآخر، نحن نتحدث عن عشرات الملايين الذين أيدوا مما يبين وحشية التشكيل الحضاري الألماني النازي الذي هو جزء من التشكيل الحضاري الغربي الحديث.

مركزية الهولوكوست

تحاول الحضارة الغربية ابتئذ الهولوكوست لإحاطتها بالأسرار حتى لا يخضعها أحد للفتاوى أو للتدقيق، ورغم أن إبادة الأخيرة أساسية استخدمها التشكيل الحضاري الإمبريالي الغربي في تحقيق رؤيته ومثالياته الداروينية، إلا أن الإبادة النازية لليهود أوروبا لها مركزية خاصة. واعتقد أن هذه المركزية تعود إلى الأسباب التالية.

١- حداثة الإبادة النازية modernity





وقعت الهولوكوست في أوروبا على يد الإنسان الأبيض ضد أقلية بيضاء.

فظهرت الفضيحة واضحة جليلة متبلورة وكان لابد من تحجبتها. إن الغرب باتهامه الألمان. والألمان وحدهم، ينجح في الهروب من مواجهة نفسه وحضارته العنصرية الابادية



الحرب: عدد اليهود إند أن يتساخس نسب الإرباء وبسبب العوامل الأخرى التي أوردناها وبالتالي فإن عدد الذين اختصوا قد يكون ٦ ملايين وربما أكثر. المهم أن نقوم بعملية إحصائية دقيقة. وما كنت أعهد هنا أستاذ أعطت أن نمتح باب الاجتهاد مرة أخرى. ولا تقبل الأرقام الشائعة وأنها حقائق مطلقة. وبعبارة، عليها أن ننظر في طريقة الإحصاء نفسها، التي تفكر بطرق علمية ما إذا كان رقم ستة ملايين بغيره هو ستة مليون فاقوا أو اختفوا لأسباب طبيعية أو غير طبيعية أخرى غير أطران الغاز.

ومن المعروف أن بعض المؤرخين والعلماء اليهود والإسرائيليين لا يميلون مسألة الستة ملايين. ولكن الإجماع لا يتغير أخبار مثل هؤلاء. في مقال كتبه بيتر ستانفيلد بعنوان «مراجعة أوشفيتز» حالة عالم إسرائيلي، نشر في ١٢ نوفمبر ١٩٨٩ جريدة الميونيخ تايمز. يشير الكاتب إلى نقش حجري في أوشفيتز جاء فيه أن أربعة ملايين شخص ماتوا في معسكرات النازي، وهي عبارة تكرر ذكرها حتى تحولت إلى ميثاقية، حقيقة إحصائية، صلبة في وجدان الكثيرين. ولكن كيف يكون، باور أحد أشهر مؤرخي الهولوكوست ومدير قسم الدراسات اليهودية في جامعة اليهودية، صلبة في هذا الصلة بالحاجة المبررة إلى القدس، يقول إن عدد الضحايا أقل من نصف هذا الرقم. فارق: فارق ملايين، مصفاة إليه عدد الضحايا في أماكن أخرى، ينتج في مجموعه الهائل عدد أكبر بكثير من الستة ملايين. عدد المعروف أن عدد الضحايا في معسكرات التي تم نشرها تقدر العدد بـ ٢٥ مليون يهودي، ١٥ مليون يهودي أخرى، يفترض أن معظمهم من البولنديين. وقد نشر بيورا باور مقالاً جديداً في جروسا بوسيت في نهاية شهر سبتمبر ١٩٨٨ وصف فيه هذه الأرقام بأنها زائفة بشكل واضح. ويتفق زبازيل جوتمان، المأتم الإسرائيلي، مع بيورا باور في هجومه على الإحصائيات المتأولة. وللمعلم جوتمان، رسيل باور في الجامعة العبرية، قد حركة المقاومة السرية في فلسطين وأوشفيتز، والحاجة موضوعاً من أربعة أجزاء من الهولوكوست. وقد بين باور أن المؤرخ اليهودي العرشي جورج ويلر قدر عدد الذين لقوا حتفهم حقاً بالعامر أو بطرق أخرى أو تم تقديمهم حتى الموت أو كانوا ضحايا لحاجات أو أمر أرض بمعسكر أوشفيتز بـ ١٦ مليون. وحسب هذه التقديرات، فإن ٢٥ مليون منهم كان من اليهود. ٨٣٠٠٠ بولندي، ٢٠٠٠٠ من الفجر، ١٢٠٠٠٠ سجين حرب سوفييتي، بالإضافة إلى ١٥٠٠٠٠ بولندي تم حبسهم في معسكر أوشفيتز، ثم تم قتلهم إلى أماكن أخرى، حيث لقى كثير منهم - وليس معظمهم - حتفهم.

سبحان الرب ذكرى هذا اليوم، أجيته مائه من الوجوب أن نغفل ذلك. فالضحايا اليهود بشر وهذا الهجوم على الإنسان وتدميرته لأسباب عنصرية ومادية أمر لا يقبله الإسلام. ولهذا السبب يجب أن نحبي ذكرى كل الضحايا بأن نضع الهولوكوست في إطارها الإنساني العام، بمعنى يجب أن نحبي أيضاً وفي نفس الوقت ذكرى إبادة اليهود الحمر واليهود، وكثفونهم واستفهام المنيون، شهداء في الجرائد، وفي قسيتهم ثم في الشيشان وفي كوسوفو وفلسطين. ويلاحظ أن الحصار العربية حولت رقم الستة ملايين هو الآخر إلى أيقونة لا يجب التشكيك فيها. سألني صحفي فرنسي مرة عن مسألة الستة ملايين هذه، وهل أوافق على صحة الرقم فأجبته بالنفي. فما لبثت أن حزم بالي: نعم، فأجبته: لأنني أعتقد أنهم ثمانية ملايين. لقد قلت لا لابد من الإحصاء الدقيق. فهل حسنا عدد اليهود الذين قتلوا بسبب الأوبئة والمجاعات وصحايا الغارات إبان الحرب العالمية الثانية، لعنا لو أحصينا هؤلاء بلغ العدد ثمانية ملايين أو ربما تتراوح الرقم. ولكن الغرب يصحح من مثل هذا إن رقم ستة ملايين قد أصبح رقماً أسطورياً. أعتقد أنه يجب أن نميز بين هذه الدين قضا في أفران الغاز وعدد الزواج المختلط أو التنصير للذين وصلت سببهما في برلين قبل الحرب العالمية الثانية نحو ٦٠٪. كما أن الإحسان من الزواج والانتحاب (الذي تزايد بسببه أثناء الحرب) ساهم هو الآخر في تناقص عدد اليهود. والمعرف أن أعضاء الجماعات اليهودية كانوا أمسا سكان مدن وسكان المدن وتشكلهم عندهم أمر التاريخ. وقد تركز يهود ألمانيا في الكاثوليكية ليتبنوا في القرار إلى أمريكا اللاتينية وغيرها من الدول. وقد فاء كثيرون منهم إلى أعلاموا من هويتهم اليهودية بعد

إطار مادي مقس يمكنه أن يتركه بحواسه (المصدر الوحيد للمعرفة بالنسبة للحسن). ولذا هو يحاول أن يصل إلى قناعة مادية وميثاقية مادية إلى صبح التفسير. وهي مادية لأنها لا تحقق أي تجاوز لسطح الماد. مثل الإيمان بوجود الأطلاق الطائفة أو بالبراهم الطيفية التي تحدد مصير الإنسان. وتتميز هذه الميثاقية في اللذين بأنها لا تحمل أي إغواء أخلاقية، فالإيمان بها لا يضطر المرء إلى تبنى معايير أخلاقية معينة يضبط بها سلوكه. وقد وجد الإنسان الغربي ضالته في الهولوكوست، فحولها إلى أيقونة، يتعبد فيها ويقدمها، ويعتد على المدبحة دون أن يكلفه هذا شيئا. ولا يمكن بطبيعة حال إنكار أهمية البعد الصهيوني للاستجابة للذين المعرف والمعلوماتي القائل، الذي يحقق لها فولد جمعة. كما أن هناك الآلاف من أعضاء الجماعات اليهودية من تقاضوا التعويضات المالية عما لحق بهم من أذى ومن لا يزالون يعالون بها. هؤلاء أصبحوا جزءاً من جماعة مصالح، تحولت إلى جماعة ضغط. وليس من صالح هؤلاء كاضف حقيقة ما حدث. ولتتراجع أصبح الخطاب الصهيوني يستند بشكل فيه كامل إلى الإبادة النازية وأصبحت الشرعية الصهيونية لا تستند إلى حدث الإبادة. والشرعية عادة لا تستند إلا إلى مطلقاً، لا يمكن إحصاءها للتساؤل

ستة ملايين

صدر في أواخر عام ٢٠٠٥ قرار من الأمم المتحدة بتحويل ذكرى الهولوكوست، بأن يكون يوم ٢٧ يناير ذكرى للهولوكوست تحتمل به كل الدول والشعوب، وبذلك أصبحت قانوناً واجب التنفيذ الآن على العالم، وهذا في تصوري مسألة كوميدي. حينما سألتني صفي أمريكي عن رأيي في هذا القرار، وهل



يوجد قدر كبير من الضغط الذي تمارسه المؤسسات اليهودية والصهيونية للإبقاء على الوضع العرقي والمعلوماتي القائم، الذي يُحقق لها فوائد جمّة

الدولة الصهيونية، رغم أن المشروع الصهيوني - كما أسفنا - لا علاقة له بالهولوكوست إلا أن الكيان الصهيوني كيان عنصري محتل للأرض، يرفض كل الأعراف الدولية والإنسانية والأخلاقية. ولا يلتزم بها على الإطلاق. كيان مدجج بالسلح. عند أكثر من مائتي راس نووي (وذلك حسب إحصائيات التمشائيات). لكن من خلال الحديث عن اليهود كصحية وعن إسرائيل باعتبارها دولة يهودية يحاولون تزيير كل هذه الأمور والتغطية عليها. لقد ظهر مصطلح جديد في السياسة الدولية يسمونه victimology أي أن دور الضحية يكسب صاحبها كثيراً من التعاطف، بل والشرعية أيضاً. ولذلك يتسكرون هذا النوع على الفلسطينيين رغم أن الفلسطينيين يهودا يبعدون على مرأى من العالم.

٢- تبرير الغزوات الصليبية التي تصب في خزانة الدولة الصهيونية، وخاصة أن الشعوب العربية، سواء في الولايات المتحدة أو في أوروبا، حينما يرون آلاف الملايين من الدولارات التي دفعتها ألمانيا وسويسرا والولايات المتحدة تصب في خزانة إسرائيل، في الوقت الذي تقوم فيه بعض هذه الحكومات بتخفيض الاعتمادات الخاصة بالخدمات الاجتماعية، والرعاية الصحية، هذه الشعوب الغربية قد تبدأ في التمثل للاحتجاج، ولذا تستلخدم الهولوكوست لإطلاق حساسة من الدخان الأخلاقي والإنساني لتبرير الاحتلال الصهيوني

٣- وقعت الهولوكوست في أوروبا على يد الإنسان الأبيض ضد أقلية بيضاء، فظهرت الفضيحة واضحة جليلة متبلورة وكان لابد من تحجبتها. إن الغرب باتهامه الألمان، والألمان وحدهم، ينجح في الهروب من مواجهة نفسه وحضارته العنصرية الابادية

٤- غزت الحداثة الأوروبية القداة من العالم وتركزت العربون عربا ثاماً أمام عالم اللذة بلا مقدرات أو ميثاقية. وهذا أمر مستحيل بالنسبة لعظم البشر فالإنسان يتحدى العقل. كل ما ليس ناتجا من عقل، فسيد يهودي أو صهيوني، وإنما هو جزء من منظومة حضارية كاملة

٥- غزت الحداثة الأوروبية القداة من العالم وتركزت العربون عربا ثاماً أمام عالم اللذة بلا مقدرات أو ميثاقية. وهذا أمر مستحيل بالنسبة لعظم البشر فالإنسان يتحدى العقل. كل ما ليس ناتجا من عقل، فسيد يهودي أو صهيوني، وإنما هو جزء من منظومة حضارية كاملة



أصبح الخطاب الصهيوني يستند إلى الإبادة النازية، وأصبحت الشرعية الصهيونية تستند إلى حادث الإبادة

بيسان نسي

الهولو كوست

التعاون بين النازيين والصهيانية

الحرب الذي أفرز النازية هو دلائل الذي أفرز الصهيونية كنتاجها حركة عنصرية إبادية، تضرب بجذورها في الفكر المصري الإمبريالي، الذي ولد في القرن التاسع عشر ونما وترعرع في أوائل القرن العشرين. ويجب أن نشكر أن الألمان، الأول للصهيونية، مثل هرزل، كانوا المُنْذَرين توجّه النازي الذي يكون كثيرا من الإيجاب للمصرية الألمانية. بل من المراحل الأولى كان التصوّر أن الجيب الصهيوني سيكون محمية ألمانية، فالألمانية العظيمة ستأخذ اليهود تحت أجنحتها، على حد قول هرزل. أما زكري ماركس لورنو على سبيل المثال فقد غير اسمه من سيومن ماكسيميليان سوبيلند إلى لورنو إعجاباً منه بالجيش النازي، لا هو إلا أن نجد أمثلة كثيرة على التوافق شبه الكامل بين النازية والصهيونية.

فعلني بعض المثال لا الحصر أسس أحد أتباع جايوتسكي ما يسمى، عصبة الأشداء، (أي الأقوياء) (بالعبرية: بيريت هابريوتيم)، وهي جماعة ذات طابع ذكوري واضح. وكان من بين شغافات أعضاء العصبة: ألمانيا، هتلر، وإيطاليين وكولونيلين، والمسيحيين وغيرهم. وقد يقال إن هذا شكل من أشكال التطرف الذي لا يعبر عن التيار الأساسي داخل الحركة الصهيونية، فمماذا عن التيار الأساسي في الحركة الصهيونية؟ لدينا من الوثائق ما يدل على أن التيار الأساسي من الحركة الصهيونية آنذاك كان هو الآخر نازي الهوى. ففي ٢١ يونيو/ حزيران ١٩٣٢، أي بعد وصول النازيين إلى السلطة، أصدرت المنظمة الصهيونية في ألمانيا (إعلان الاتحاد الصهيوني بشأن وضع اليهود في دولة ألمانيا الجديدة، Ausserung der Zionischen Vereinigung für Deutschland zur Stellung der Juden im neuen Deutschen Staat. والذي حصد طبيعة علاقة الصهيانية بالنظام النازي بشكل واضح لا إيهام فيه، فقد اتخذ الإعلان شكل مذكرة رسمية بمبادرة إلى الحزب النازي وعضو رتب من كلياتها تحديد المبادئ المشتركة بين النازيين والصهيانية. وقد بدأت المذكرة بالإعلان بتأكيد الصهيانية التوصل إلى كل بقع من المبادئ الأساسية للدولة الألمانية الجديدة، دولة البعث القوي، من طرحت أمام اليهود طريقة جديدة لتنظيم وجودهم وانتقلت المذكرة من كونها لعرض أفكار السوسولوجي، فقامت بالانطلاق الشبهية اليهودية التي تنص، بالتكامل، ويثبت أن صفة وضع اليهود تسبق من صدور المنظمة اليهودية الذي يتبعونه، وقد فكره الكمان في كونهم جماعة تتخذ مواقف فكرية أخلاقية هي منتزعة من تقاليدهم الحضارية الخاصة (أي أنهم قومية عضوية لتوجد خارج أرضها) ويعد أن تبيّنات المذكرة هذا النقد النازي

واجب العرب أن يدافعوا عن حقوق أعصاء الجماعات اليهودية المدنية والسياسية والمدنية في بلادهم. وهذا بطبيعة الحال ما لا يرغب فيه الصهيونية أو الدول الغربية التي سرود أن تزود إسرائيل بالسلطة الاستيطانية القتالية؟ أما اليهودي الإعلام الغربي فلما عادة ما إلحد أنه كني يصعد العالم قضية الصهيونية فلازم من إتقانها علميا، بدلا من استصدار قوانين غامضة تجرم كل من يتنكر الهولو كوست كليا أو جزئيا. ماذا تعني هذه العبارة؟ كليا، قد تخمن رقم ستة ملايين، ولكن جزئيا، كلمة في غاية المصوغ. كان من المروص أن يحرم القرار كل من يتنكر الهولو كوست إن لم يأت بسند علمي تاريخي، وبإاتات تحول القضية من صراع إعلامي يوظف بطريقة سياسية رخيصة إلى حوار علمي رصين. كما يجب الإشارة إلى أنه بدلا من إنكار الهولو كوست أو التمسك بالرقم ستة ملايين لابد من دراسة وثائق وزارة الخارجية الألمانية إبان حكم النازي وماحاكمات نورمبرج وكلها تؤكد أن الهولو كوست قد حدث بالفعل، كما أنها كشفت عن حقائق يحرس الإعلام العربي على إفاحتها، فهذه الوثائق تبين مدى تعاون الصهيانية مع النازيين ومدى عدم إكترار يهود الولايات المتحدة بما كان يحدث في ألمانيا النازية. فقد فتح تحقيق في هذه القضية تحت إشراف مدير الولايات المتحدة في هيئة الأمم في السبعينيات آرثر جولد بيرج، وهو أمريكي يهودي، ثم أخفق فجأة لأن نتائجها كما قالوا كانت ستمسب كثيرا من الأمم. لن رقم ٥ هل كانت ستبين حقيقة موقف الجماعة اليهودية ما كان يحدث في ألمانيا النازية، وأن أولئك الحلفاء، واهتد مد يدعون تضاميا للإبادة، فازينهاور، قائد القوات الأمريكية، رفض أن تقوم الطائرات الأمريكية بضرب قواين السكك الحديدية التي كانت تجري عليها القطارات التي تنقل ضحايا الإبادة التي أوصرت لأنه وجد أن في ذلك تبديد للمجهود الحربي، وأن الولايات المتحدة رفضت فتح أبوابها أمام المهاجرين اليهود من ألمانيا، وأن الصهيانية قد وقفا ضد التهجور إلى أي مكان خارج فلسطين، كما حدث في مؤتمر ألياندا. وما أعلفه هنا أنني أقبل الأطروحة الغربية ولكن أوسع من نطاقها، وأضيف عناصر يحصرهم على استعمالها، وهم يفعلون ذلك حتى تصبح الصورة إما أبيض أو أسود، ومن ثم يسهل توطينها.

بالأرقام بل يتجاوز ذلك إلى التلاعب بالحقائق نفسها. فبالطبع فنكشتاين أن مصحف إحياء ذكرى الإبادة النازية، في ترخيص على سبيل المثال، يتعاضد على أثر السياسة التمييزية التي أجمعها الولايات المتحدة بتحديد أعداد المهاجرين اليهود إليها قبل الحرب، بينما يبالغ في دور الولايات المتحدة في تحرير مسكرات الاعتقال النازية. ولا ينبغي شفتة عن إقدام الولايات المتحدة على تبني عدد كبير من مجرمي الحرب النازيين في نهاية الحرب، كما يشير فنكشتاين إلى أن النصف برمر، مروي الكرام على موضوع المذابح الجماعية التي ارتكبها النظام النازي في حق الفخريين والسلافيين والمهاجرين فضلا عن المعارضين السياسيين، وبخاصة الكاثوليك جزءا كبيرا من كتبه. مسألة الأموال الممنوعة من الحقبة النازية في المصارف السويسرية، وبتمثال عن الأموال الممنوعة في المصارف الأمريكية، والتي لا يشير إليها أحد من قريب أو بعيد، يستدل المرء، على ضوء الوثائق المتوفرة، عما إذا كانت الولايات المتحدة تستخدم المنظمات اليهودية من خلال مسألة الأموال الممنوعة في المصارف الأوروبية، من أجل زيادة الضغوط على البلدان الأوروبية لإجبارها على الإفوف إلى جانب الدولة الصهيونية.

إنكار الهولو كوست

ولنتنقل الآن إلى القضية إنكار الهولو كوست، فليس لدينا الأدوات البحثية لإثباته أو إنكارها. ولذا أي الدعوة لإقامة مؤتمر علمي عالمي لبحث القضية، مع التحفظ الثاني أننا ندور والصفة تاريخية، جزء من التكرار الأوروبي، ولا علاقة لها بالصراع العربي الإسرائيلي. مع الأسف بعد العرب يستمر أن ذبح اليهود على يد النازيين في مصطلح العرب، وهذا غباء ما بعده غباء، يجب أن يعرف العرب أن المواطن اليهودي الذي يضطهد في بلاده ويصير للفراق منها، يتحول إلى مستوطن في بلاده يحمل السلاح ضدنا كما لا يدرك البعض أن من يدعو لإبادة اليهود لأهم يهود يثني زعيمنا زعيمنا نفعي ويتخلنى عن المرجعية النهائية الإسلامية، وهي في نهاية الامر دعوة للتمتة الطائفية فمن يقتل يهودي لأنه يهودي سيقتل دعا مسيحيا لأنه مسيحي، وسلاما لأنه شيعي أو سني والآخر لأنه آخر لا يشبهه ومختلف عنه. إن من

جورج ايلان ستانبرج، المدير التنفيذي للمؤتمر اليهودي العالمي، أن الإحصائيات المبالغ فيها تم تكريها، مما أدى إلى تقصير كثير من اليهود على الرغم من أن كبار العلماء لا يوافقون عليها. كما يؤكد بهودا بارون مؤرخ الهولو كوست قد نبذوا الأرقام المتصححة منذ سنوات طويلة، إلا أن ذلك لم يعطى للحماسير. ولأنه أن الأول للإعلان ثم ذلك.

مصطلحات الهولو كوست

وقد ظهر مؤخرا مصطلح صناعة الهولو كوست، وهو ليس جديدا تماما، فهناك أسرة من المصطلحات تشبهه في كثير من النواحي فهناك مصطلح هولو كيتش Holokitch، والكيتش هو العمل الفني الزخرفي الخاص بالسوق، والمصطلح هو العمل الفني الهولو كيتش holocaust business، أي تجارة الهولو كوست، وهناك أيضا هولو كاش holocash، أي الهولو كوست باعتبارها مصدرا للربح، أما مصطلح صناعة الهولو كوست، فقد ظهر حين كتب نورمان فنكشتاين كتابا بعنوان صناعة الهولو كوست، تأملات في استغلال الممانعة اليهودية بمثابة احتياج موقف بالآلة والبرهان على توطيف موضوع الهولو كوست وجوده إلى صناعة ترمى إلى خدمة المصالح السياسية للتيه من قبل الأمريكيين، والتي تتوافق مع مصالح السياسة الخارجية للحكومة الأمريكية ويلاحظ فنكشتاين أنه مع نمو صناعة الهولو كوست، أخذ المتخصصون من هذه الصناعة يتلاعبون في أرقام الناجين، وذلك بعرض المطالبة بزيادة من التوتوضات، وبدأ الكثيرون يتخصصون دور القضية، ويعلم على ذلك ساعرا، لا بإلحاح إلا قلت أن واحدا من كل ثلاثة كتب من تراهم في شوارع نيويورك سيبدى ناله من الناجين من الهولو كوست همدن عام ١٩٣٢، الذي ألفه الفلمون على هذه الصناعة، ١٠ آلاف من نجوا من الهولو كوست يموتون كل شهر، وهو أمر مستحيل كما يبدو، لأنه لا يمكن أن هناك تساميه ملايين شخص نجوا من الهولو كوست في عام ١٩٤٥ وطلوا على قيد الحياة، بينما تؤكد الوثائق أن كل اليهود الذين كانوا يعيشون على الأراضي الأوروبية التي احتلتها النازيون عند سقوط الحرب لا يزيد على سبعة ملايين فقط، ولكن ولقاء الحسمات الرأشدية البسيطة، كما يقول فنكشتاين، يتبين أن الهولو كوست يودي في واقع الأمر إلى تقليل عدد الضحايا الذين يقال أنهم أهدوا، وهكذا يشك الأمر برمته. تسبق ملايين إلى أن يصبح من قبل المسحك به أو المذاهب منه، ويشك في فنكشتاين على أنه الأمر ساعرا فيقول، إن الفلمون على صناعة الهولو كوست يتحول تدريجيا إلى متكون للإبادة، ولا يقف الأمر عند حدود التلاعب

بين قسطنطين

Israeli extremists take revenge on Palestinians



Hatred in the market: Samar Abdul-Shaft, 46, a Palestinian mother of two, was killed by an Israeli boy as an Israeli girl tried to rip off her Islamic headscarf last month in the divided West Bank city of Hebron.

Vigilantes take up arms, vow to expel 'Muslim filth'

...والكرامية

أفراهام بورج

وعابرة أصبحت فيما بعد فخر اليمين الوطني.

في مراهقته، أحببته كثيرا. إذ لم أكن قد أدركت بعد كنه معتقداته الفعلية ولا كنت قد أحسنت فهم أبعاد أفكاره. لكن مناقشاتنا معا قد أتاحت لي شحذ فهمي المغيرة. فمن محاوراتنا انبثقت الحقائق الإنسانية واليهودية التي ما زالت تؤنس بها إلى اليوم وقتها. كنت أجعل إلى أي مدى بعد هذا الرجل خطيرا. لكنني كنت أعلم أنه معارض ممتاز لأرائي. كان رجلا من نوع خاص، يتميز بذكاء فوق العادة. حازلت أذكر ابتسامته يوم راح يمني علينا سؤال اختبار التجربة، واكتب في الموضوع التالي، «إنما هي الحروب والمخاسن التي تقعمل على بلورة الشعوب». وفيها هو يربط بين صفوفنا المكتلة. إذا به يهيم في أدني قالنا بهذا: موضوع مهم خصوصا من أجل كنت.

مع مرور الوقت، تكاثر هو وأمثاله، وواح الهامش يحلث المركز، بينما راحت صفوننا نحن لتنتسب لتنتسبنا جانباً قصياً. وما هو خطابهم الجنون يتهدد إسرائيل بالانفجار. ففي الاجتماعات الحكومية، نراهم اليوم يتفوهون بكلمات مثل «سطورة»، و«سنقتل»، و«سنسحق»، و«سنسقطه»، ولا رادع لأدعائهم بتشدادي صرخاتهم وتجاوب حتى على منابر الكنيست، وأصداءها ماثلة في غزة. وفي يهودا والسامرة^(١)، وفي جنوب لبنان، لتسود دوما العقلية ذاتها. والمصطلحات ذاتها. والمنطق الحمضي الشرس ذاته. وكل ما يخذلي صورة إسرائيل ويهودية ما يفتقد الزحام، ممتدتين بقوة الدراع. لقد أصابنا الصمم من فرط ما دهشنا الخلف الضوئي الذي يروج لفكرة «دولة الضحايا» التي تتحدث، بأن كل شيء مسعوق لها، بما في ذلك التضحية بالآخر ذلك أن مصعبية الضحية تعني التحلل والتفجر من كل شيء. وبما أننا مارينا لشعر بالآلم والأساسي اللذين جرحنا حين كنا ضحية الألمس، إذ أن علي أن أقر وأن اعترف لتعصي بأمر مخيف، ففي أثناء تحريم هذا الكتاب، أصابني الشزع إذ اكتشيت أن الهياكل الحكومية والاجتماعية والقومية الأقرب شيها لمهاكلنا هي تلك التي سادت في ألمانيا المحتلة يوم لم يصعد المايخ الثاني وحتى حلول

كان كل شيء في حياته يؤهله لأن يكون أنموذجاً للسياسي الإسرائيلي الأمثل، كان نجمه سامعاً، ومستقبله السياسي واعداء، والطريق ناعماً مميدا، لولا ما ألم به من علة مفاجئة. لعل من أهم أعراضها صدوره العقل واستيقاظ الضمير. فترك الساحة وقفل عائداً ضد التيار. فعلى الرغم من الكهية التي يعتمرها، واقتباساته المتكررة من التوراة والتلمود، يبدو أفراهام بورج وكأنه «يقدر» خارج السرب الإسرائيلي، وفي كتابه الجديد «هزيمة هتار» الذي سبب صدمة في إسرائيل لدى صدوره في أغسطس ٢٠٠٧، يشن الرئيس الأسبق للكنيست الإسرائيلي هجوماً على الصهيونية، ويشبه الهياكل الحالية للدولة العبرية بتلك التي سادت في ألمانيا قبل النازية، ويأسف لاستمراء الذهنية الإسرائيلية لوضعية الضحية التي تسوغ لنفسها التوغل الاستيطاني، والتغول العسكري، والتوجه القنصري. الكتاب الجديد يوصف حالة من اليانويا المجتمعية الصارخة، التي أدت إلى استمراء العنف، والتي يلخصها أفراهام بورج بقوله «إن أكرام جيش القتلى الفلسطينيين صارت أعلى من الجدار العازل الذي استنبهنا ليحجبهم عنا»^(٢). وبمقاسيه صدر الترجمة الفرنسية للكتاب في ٥ مارس ٢٠٠٨ عن دار نشر فافار. سافر رئيس تحرير مجلة «دير» الفرنسية إلى تل أبيب^(٣)، ليقابل الكاتب الذي راح يصف وطناً يقف على أعتاب الصهيونانية. بالتمريح تارة وتلميح استعده حساسية المقاربة تارات. «وجهات نظر» لم تكف «بالنص» المنشور في المجلة الفرنسية، بل عادت إلى ناشر الأصل الطبعية الفرنسية لتتساذنه في نشر «نص» فقرات كاملة من كلام «الرئيس الأسبق للكنيست الإسرائيلي».

الترجمة

إنجاز المهام القدرة بأيدينا ما نحن ندبس الحرب باستخدام صبرات مستوحاة من يعقوب بينما نشهر بأيدينا سيف أخيه عيسو^(٤). دا الحسين الحديدين، لتفوحه منا داخل سرقة القدس والضمينة المحيطة بنا.



حين كنت في السنة النهائية بالمدرسة الثانوية، كان أستاذي في اللغة العبرية رجلاً من نوع خاص بعض الشيء، وكان أن تعجب مرتين. فعملنا فيما بعد أنه كان قد قبض عليه في المرة الأولى لمحاولته إضرام النار في كنيسة واقعة على جبل الزيتون. أما في المرة الثانية، فكان احتجازه بسبب ما قام به من تهديد رجل غير يهودي بالطمع باستخدام بلطة في المدينة القديمة بالقدس. ولقد تمت ملاحقته لانتمائه إلى تنظيمات مهووسة

الحدود والسدود. وتحوّلت إلى فوضى لفظية، تقرب بشكل خطير من التحول إلى اجتراح عنيف الفعال. البلد بأسره قد صار رهينة تحتجزها مجموعة من المتوطينين الملوّحين بشيح الحرب الأهلية، ويخطر المقاومة السلبية، مما يؤدي إلى إعادة النظر في شرعية الدولة وفي إرادة الأغلبية. كل ذلك تحت مسمى حرية التعبير والمشاركة. فإن كان ذلك هو الحال، فما هو الرابط الذي يشد أواصر مختلف مكونات المجتمع الإسرائيلي؟ والإجابة هي ببساطة: الحرب عكم من المرات التي أسعدنا فيها الحاح بوجود العرب في مواجهةنا. فمن دون العرب لكان قد تقائلنا فيما بيننا منذ زمن طويل، ولو كان في أعيننا شيء من الذكاء لكانوا قد أسقطهم، وسدوا عن سيوفهم محاربتهم ومن رماحهم مناجل للحصاد (كما جاء في سفر اشعيا). وأرواحهم يتجمعون بالصبر ويكرنون في الانتظار... حتى تنتهي نحن من

■ ■ ■ للتمكن من وضع إسرائيل رهس المقابلة مع الدول الأخرى، يجدر أولاً إبراز بعض من خصائصها. فما من بلد آخر في العالم كله يسعه الاختارباثة يتمتع بهذا القدر من حرية التعبير المطلقة التي تمتع نحن بها. ونذكر، على سبيل المثال، بأن بريطانيا كانت قد فرضت في عهد الشمانينات، رقابية شديدة إبان حربها الحمقاء في جزر هوكلاند، وبأن اليوم، هي أمريكا بوش، تمتع الصحافة عن نشر أية إعلانات وفيات أو صور لأي من آلاف الجنود الذين قُضوا بنحبهم في حرب العراق. أما في إسرائيل نحن، فما من حدود تقف عندها فيوض التعبير، ما من حدود جغرافية. وما هي حدود على مستوى الانضباط الداخلي أو النظام العام هنا. تكفل لأنفسنا الحق في قول كل شيء وأي شيء، كما نعرض على قتل رئيس الوزراء، من دون أن يستتبع ذلك أي رد فعل رسمي، أو أن نطفي حوائط كاملة بكتابات عنصرية من قبل الموت للعرب، وتهيئة العرب نهاية للارهاب، من دون أن نخدم سلطة ولدينا، أو الشرطة، أو أية جهة منوطة بحماية المراقب العامة، على نحو ذلك العار اليهودي ينتشر أمام أعيننا. هي الأشياء الهذلية الأرثوذكسية بالقدس - كما أسلفت - هناك من الصليبان المعقوفة ما يفوق عدداً كل ما قد تجده منها في جميع مقابر اليهود الخشنة في العالم هنا. تخلفت حرية التعبير كل

ترجمة: د. داليا توفيق سمودي

Vaincre Htler
Pour un judaïsme plus humaniste
et universaliste
Avraham Burg
Paris, Fayard, mars 2008, 365 pp,
3 euros.
Librairie Arthème Fayard 2008
pour la traduction française

(هزيمة هتلر، من أجل يهودية أكثر إنسانية وكونية)
أفراهام بورج
باريس، فافار، مارس ٢٠٠٨، ٣٦٥ صفحة، ٣ يورو.
ترجمه من العبرية إلى الفرنسية
أوريت روزن و ريتا سابا.



فقد كان من المستحيل أن يختفي من حولهم أناس يرمونهم بموتهم من دون أن يتركوا حقيقتهم الأمر. (...) والأرجح هو أنه عند مواجهة المواقف العصبية، تتولد بدواً لحناءات آليات دفاع وكبت طبيعية. تحملنا على التماسي عن الحقيقة المزعجة. وهكذا رحنا نمتسجن وضع أصابعنا في أذاننا كلما تعالت في الجوار نداءات امرأة تطلب الفوف وهي تتعرض لتضريس. أو ترددت من وراء أبوابنا صرخات طفل مستجير ينادي غير مسمع. فإذا كنا نفصل ضحى الطرف من الماسي التي تدور في محبطينا القريسة فكيف لنا أن نصفي لأحزان الأغيار والرفاء؟

في مجال بعيد كل البعد، هو مجال الوقاية على الطريق. أقيمت الدراسات أن المبالغة في بيان الخطر قد يؤدي لتتبعه عكسية في معرض التوعية بمخاطر الطريق. إذ تعمل صور الجثث الممزقة، والسيارات المهتمة، والبنائى الصغار والأهالي المنكوبين على إزلال ستار حديدي على العقول، وتندفع الناس إلى الانتماء خلف أليات دفاعية. يسري ذلك على الأفراد يمثل ما يسري على المجتمعات. فمن اليمير جدا، التلاعب بالمجتمعات والبراري واجعلها أهلة بالأشباح والأرواح الشريرة. ولا ننس إضافة قدر من الجن ومن سالر الأعداء، سواء الحقيقي منهم أو ممن اصطنعهم لك الخيال، وساتكفل أنا نابقي.

فقدما يدعي عدد هائل من الناس أنهم ما رأوا وما سمعوا، فذلك يعني أنهم حقا ما رأوا وما سمعوا. لأن الحقيقة كانت تقود حدود الاحتمال وتتخطى متبات التوافق.

في كتابها الشهير «أيخمان في القدس»، تصف الفيلسوفة حنا أرنت آليات الكذب حين يتفشى على مستوى شعب يأكله، فتقول: «أصبح الكذب جزء لا يتجزأ من الشخصية القومية الألمانية. أثناء الحرب كانت الأكتوية الأكثر تأثيراً على عامة الألمان هي شعار: «جاءت معركة القدس بالنسبة للشعب الألماني». ذلك الشعار الذي أطلقه هتلر أو جوبلز، والذي يوحى، أول ما يوحى، بأن النصر الحرب لم تكن حرباً، وإنما: أن النصر وليس ألمانيا هو الذي أشعلها، وذلك، أنها كانت مسألة حياة أو موت بالنسبة للألمان الذين كانوا مطالبين بإياداة أعدائهم ولا تعرضوا هم أنفسهم للإياداة.

لقد سقط إسرائيلنا الحبيبة هو الآخر في فخ القدر: فيها نحن قد أصبحنا «الطبيين»، أما هم، فهم الأعداء الألداء، المزمعون بنا كاشباح الغابات الظلماء المحفلة بنا من جميع الجهات. عندنا، الأمر عاية في البساطة، فكل الأعداء أعداء مطلعون وكل الحروب حروب شاملة. وكلما تراءى الخصم معنا في الشر كلما بدونا نحن طبيين. على الأقل هي أعيننا. بالنسبة لنا، ليس ثمة مسؤوليات في العدا ولا يسعنا تصور العلو على أنه مجرد خصم، نفضل من أجل حقوقه المشروعة، فهو مثلكم ورد في نصوصنا. «قد قاموا علينا بية إبادتنا، ونحن إنما نجسدهم في الدفاع عن أنفسنا حتى جيتنا، وهو واحد من أكثر جيوش العالم هجومية واعتداء، مازال يحمل رسمياً اسم جيش الدفاع، عن إسرائيل.

ونحن بعد مازالنا، مهدين بالإياداة. وهو ما يوحى به ذلك البيان الصحفي الذي تضمن أجزاء من الخطاب الذي ألقاه بنيامين نتانياهو أمام مجلس الشيوخ الأمريكي، بعد أيام من وقوع الاعتداء على البرجين التوأمين وعلى البنتاجون، وجاء في البيان:

استقبل رئيس الوزراء الأسبق بنيامين نتانياهو صباح اليوم في مجلس الشيوخ الأمريكي، وأمام أربعين سيناتور من كلا الحزبين السياسيين، الذي خطباً عن الإزهاق وعن وسائل استصناله، كما كان جاء فيه: «إن يوم الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١ ليمثل منعطف تاريخياً. فخلال أيام أماننا حرب حياة أو موت، فتصونوها انتم، يا

حراس الهيكل. تحت رعاية الرئيس جورج دبليو بوش. كان بنيامين نتانياهو ولا ريب أفضل محام تولي الدفاع عن إسرائيل (وهو بالنسبة للبعض أفضل من مروح دهاني لسياسة بلاده) طوال العقود الأخيرة. وهو لم يتحمل عن هدفه الحقيقي قط، إلا وهو كسب السلطة في إسرائيل، لا في واشنطن، وإرضاء ناشطي حزبه. لا إرضاء الولايات المتحدة هذا ويتابع البيان الصحفي، الذي أرسله الخطاب إلى بلاد، نقل أقاله إلى جانب تصعيد مآثره الخطية، مع الحرص على تقديم الخليل كنه دفعة واحدة في الخيبة نفسها وبعد أن قام لتناياهو بعرض صور فوتوغرافية لجثث ممزقة وسط قطع البيتر، المتناثرة في مطعم سبارو بالقدس إثر تعرضه لاعتداء. صرح قائلاً: «أقبل خسين عامي، هزمتنا النازيين لأننا كنا متفقدين على ضرورة إدانة النارية

وإثر انتحاب حماس على رأس الحكومة الفلسطينية، سارع بنيامين نتانياهو إلى التتديد، بصفتهمدي إسرائيل الجدد، فيالنسبة له ولزمرته معجبيه. يظل كل أعدائنا أعداء إسرائيل الأبديين- أعداء متجاوزين مطلقين، ويبقى هو وجورج دبليو بوش بطلي معركة العالم الحر، المنخرط في صراعه ضد مخلوقات الغاية المخيفة.

إن تلكه العبارات والرسائل المصطفة بالشاعر التاريخية الثقيلة قد جرى ترسيخها في أنفسنا يوماً بعد يوم، حتى تحولت على أشرها حجبنا التسمية إلى هتافاً مستمرة صار كل شيء عندنا مسألة حياة أو موت... تكون أو لا تكون. أما الضحايا والنساء أو الأولاد والأمم، من نفس المخلوق، كانت حرب الاستقلال مسألة حياة أو

موت، وكذلك حرب سيناء وما القول في العلاقة التي ربطت بين شعورنا بالأتلاق على أنفسنا قبيل حرب الأيام الستة وبين الانحياض داخل الجيوات والمصكرات؟ وللتذكرة، أثناء حرب «كيبور» (أكتوبر ٧٣)، كان مصير الوطن بأسر على المحلف، وعندما حاز التصريون حصص المواقف على قناة السويس، ألم يصف الأستراتيجي القدير موشي دايان الوضع بأنه «تدمير لهيكل الثالث»

إن عالم بنيامين نتانياهو حافل بالأشباح المظلمة وبالعدوات الكاملة، أما عقله فقد تم غسله بصل العداية المستمرة لما سمي بالقدس، اليهودي: الحرب من أجل البقاء... ولعالمنا وأنداء في مواجهة الجميع.

كان أسلاف بنيامين نتانياهو قد مهدوا له الطريق بشخص القدس من البراعة والتشكك من خطاب استدرار العاطفة ففي عام ١٩٨٢، أثناء تلك

الحرب العظيمة التي غرقت فيها ضد لبنان، دفع بين رئيس الوزراء آنذاك، الراحل مناحم بيجن، للقضاء على «الجوانب التي القديم» (وهي الكناية التي كان يشير بها إلى عرفات وإلى قتل من قبله بثلاثين سنة) فهل يعقل أن يكون عرفات وبيت هتلر والرمزي؟! ولتذكر أيضاً بأن مناحم بيجن كان يسعد بتبنييه ميثاق منظمة التحرير الفلسطينية بكتاب «كامي»، ليهتلر. وكان الملك من جولنا يقول بأنه «هير التاريخ الإنساني كله، لم توجد منظمة مسلحة أكثر احتكاماً وترديداً من منظمة التحرير الفلسطينية باستثناء النمط النارية... ومما يدكره لنا المرحوم توم سيخيت أنه في أعقاب تدمير مراكز القيادة التابعة لعرفات ببيروت، أسر مناحم بيجن لروادها لرجال يانه كان يشعر أثناء العمليات وكأنه يهاجم هتلر في محبته في سركلن في عتية عرو لبنان، راج بيجن يلوح بذكرى المحرقة لكي يستحث وزراءه على شن الحرب، وهو ما أشار إليه أربع ناور، سكرتير الحكومة آنذاك، وهو يستعيد، في مقال نشره بصحيفه بصوت أحرووت، كلمات رئيس الوزراء حين قال: «إنكم تعلمون ما قمت به وما قمتنا بكم في لدره الحرب وتحاشي الضحايا البشرية، لكن هذا هو قدرنا في إسرائيل، كتب عليها القتال في صمت وتماح، سنقولني فالتبدل الوحيد للقتال هو تريلينكا، ونحن قد سبق وعمدنا الحزم على أن تريلينكا لن تعود أبداً»

إن مفصلة الكلمات الإسرائيلية لواحدة من أكثر مغاسل الكلام تطوراً في العالم، فواقفنا يلزمنا هي كل مرة بإعصادة اختراع مصطلحات جديدة



(أربع زاور «حكومة في حرب، يدعوت أحرولوت، ١٩٨٦).

وبعد خمسة عشر يوما من اندلاع الحرب الأولى نفضا في تاريخ إسرائيل، توجه الكاتب أموس أور بختط مباشر إلى رئيس الوزراء، بأن نشر مقالا عنيفا في صحيفته يدعوت أحرولوت، كان عنوانه «هتكر ماير بات سيادة رئيس الوزراء، كتب فيه.

«السيد بيغن، مرة أخرى وملتما كذا دوما دابلك، ها أنت تكشف لعامة الناس عن زرة عجيبة تفكك زرة تجنح الى إعادة إحياء هتلر لتتمكن من قتله كل يوم من خلال الإبراهيميين... إن تلك الشزعة التي تهدف الى بعت هتلر وتصفيته مرارا وتكرارا، هي نتاج قلق نفسي له يمر عبر عنه الشعراء، ولكن تلك الشزعة إذا ما راودت رجال الدولة فهي خطر مدمر يسوق البلاد على طريق الهللال... (أموس أور) يدعوت أحرولوت، ٢١ يونيو ١٩٨٢).

لم يكن السجال بين أموس أور، نبي اليسار انداك، ومناحيم بيغن، أيقونة اليمين، محض سجال حول نوعية البلاغة الخطابية التي استخدمها الأخير فحسب، وإنما كان أيضا سجالا حول طريقتيه في إيصال مخاوف إتراي العام. تعلق الجدل وقتها بأحد أهم موصلات الإنكار، ألا وهي الكلمات، فمن بتعبير أدق الكلمات «المسولة»، فمن أجل مواجهة واقع صعب ومن ثم تخليه، يلزم استخدام كلمات صعبة. لكن غسل الكلمات يهيئ لنا الاعتقاد بأن الواقع «القدر» يمكن أن يصير «نظيفا»، وهكذا يصبح الشر أبيضنا، والصحيح الأسود الحالك الخبير بعينه لم تكن نحن من استحدثت تلك الوسيلة، لكننا قد طورناها واتقناها خير إتقان، وكأننا لم نتعلم شيئا من أولئك الذين كانوا أسوأ من عمد إلى غسل الكلمات، وكانوا أصل عذابنا وسببها.

كان نهج النازيين نهجا بارعا، فقد تمكن جوبلز- إيو الدعاية الحديثة- وكل طرفه من تحويل كل ما هو منحرف وفاسد إلى التجسيد الأمثل للسلامة العقلية والتسمية، وابتلع الأمل كل ما قيل لهم: (٠).

ما أكثر ما كتب عن «مسلة الكلام، والمناشئة، وعن الوسائل المباشرة وغير المباشرة لغسل دماغ الشعب في ملفات الأرشيف الألمانية، لا تكاد تقاينا أبدا كلمات مثل «إبادة»، أو «تصفية»، أو «اغتيال»، أو «مجزرة»، ولكنها منسجدة

كلمات مثل «إخلاء»، و«معاملة خاصة»، وإعادة إقرار، «العمل في الشرق، وتعوير محل الإقامة، «البحل النهائي»، كانت مفرات التعمية تلك تهدف إلى تشجيع اليهود على الالتحاق بمحض إرادتهم بمعسكرات الموت اعتقادا منهم بأنهم ذاهبون للعمل شرقاً. (٠) إن الإنسان ليرغب في تصديق مفرات التعمية تلك حتى النهاية، ولأنه لولي الكلام أهمية قصوى. وهو ما قال به فرانز فانون في كتابه «بشرة سوداء واقعة بيهضاء، الذي صدر عام ١٩٥٢ وكتب فيه: «إن فعل التكلم ملغة ما يقتضي المنكمن من علم قواعدنا، وكذا من علم الصرف والاشتقاق، ولكنه يقتضي بالأساس استيعاب ثقافة، وتحمل تبعات حضارة، (دار سوي، ١٢).

إننا نعيش في حضارة صنعتها كلمات، مصونة، ومفردات كاذبة، كان لنا فيها ثقافة كاذبة ومجتمع بارد ومغلق، وأساو من ذلك كله، مصطلحات مبهمه سمكتها الدولة بهدف السماح لحواشيها ولشركائها بالتفصل من مسؤوليته

الأفعال التي أقرتها باسمهم، «لم أكن أعلم»، «لم أفهم»، «لم يخبرني أحد»، «الصحف لم تنشر شيئا من ذلك»، خطأ الصفت كحيت ونشرت، ولكنها استخدمت عبارات تسمح بتجاهل المعنى الحقيقي للكلمات، نعم، الناس كتبت، ولكن لا القدر الذي جعل الناس يجهلون ما يفعلون الجهل به. (٠).

كان (فانون) أول من ألح إلى أن اللغة هي أداة القصر الكبرى التي يمتلكها الرجل الأبيض بين يديه، فلقد كانت فكرة «الرجل الأسود الوضع الشرير في مقابل الرجل الأبيض الطيب الذكي، فكرة راسخة في صمم اللغة التي استعملها الرجل الأبيض، وما كتبه فانون بشأن الرجل الأسود قد ينطبق على اليهودي في حقب تاريخية معينة: (٠) لهذا السبب كان من الصعب علينا أن نشير إلى حقيقة الواقع الإسرائيلي، لكننا لا نملك الحق في التعاضى من دور اللغة العبرية الحديثة التي، بغسل الكلمات، بصورة تضرر موقفا متحررا ونعتيا بل وعصريا إزاء العدو العبري.

في عام ١٩٨٧، نشية العبد الأريمن ليقيا إسرائيل، مناصبه النذكرى الحزوين لما سبهه بالتحريض الفاضب،

أفراهام بورج

ولد أفراهام بورج في القدس في ١٩ يناير عام ١٩٥٥، و هو ابن وزير الدولة الصائغ يوسف بورج المنتمي إلى الحزب الوطني العربي، درس أفراهام في إسرائيل وتطوع في وحدة المظلات والجيش الإسرائيلي، ثم أجه للعمل السياسي، وسرعان ما أصبح واحدا من الأسماء الواعدة في حزب العمل، حيث عمل مستشارا لرئيس الوزراء شمعون بيريز لشئون يهود الشتات، ثم ترأس الجمعية اليهودية والمنظمة الصهيونية العالمية (١٩٩٥)، حيث أولى اهتماما بالجمع التوضعات من الدول الأوروبية لصالح ضحايا المحرقة النازية. ومن ثم، عمل بورج نائبا لرئيس المجلس اليهودي العالمي ورئيسا للكتبت الإسرائيلية ما بين عامي ١٩٩٩ و ٢٠٠٢. و في عام ٢٠٠٤، انسحب بورج من الحياة العامة على أثر الانتقادات التي وجهها للسمية الإسرائيلية، منها ما جاء في مقال نشره في صحيفة «المجاريان» تحت عنوان «نهاية الصهيونية»، دعا فيه إلى الجلاء عن الأراضي الفلسطينية المحتلة، وإلى تفكيك السلاح النووي الإسرائيلي، الكتاب الأول لبورج هو «عودة الرب»، قد تمت ترجمته إلى العديد من اللغات، ويتناول فيه تسييد الصالة الدينية على الساحة السياسية العالمية. أما كتابه الثاني «هزيمة هتلر» فقد أثار ضجة في إسرائيل حتى أن رئيس الوزراء إيهود أولمرت قد صرح لكتبه في اتصال صحفي بأنه كتاب من الصعب جدا جدا قبله، لكون كثير من جاء فيه صحيحا ما نأخيه، «ومن ناحية أخرى لكون الرأي العام الإسرائيلي يمر مستند لتقبل مثله تلك الحال، في الوقت الحالي، بحسب ما أدلى به الكاتب مجلة لير الفرنسية.

اصدرت مجلة «كوتير راشيت» السياسية الأسبوعية عددا خاصا من الكاتب ديفيد جروسمان، كان هذا الأديب الرابع المعروف برهافة الحس ورجحان العقل، والذي يتقن الحديث باللغة العبرية، قد ذهب إلى الأراضي المحتلة وزار مخيمات اللاجئين، والحاكم العسكري، والمستوطنات الإسرائيلية، والمدن والقرى الفلسطينية. وبعد سبعة أسابيع من التقصي، كتب تحقيقا مطولا نشرته المجلة، ثم ما لبث أن اضاف إليه فصلا جديدة كونت في مجملها رواية الشهيرة «الريح الصفراء» ذلك الكاتب الحزين والموجع والكاشف لحجم الفساد الذي كُنا قد وصلنا إليه في نهاية عقد الثمانينات، ولقد قرأنا الكتاب وقتها وشعرنا بالأسى، فلنا منا- على غير حق- أننا قد بلغنا القاع، وأنه قد آن الأوان للعودة إلى السطح، ولكن، مقارفة بالوضع الحالي، تكاد تلك المقتره تبدو اليوم وكأنها مثالية في نزعتها الإنسانية. ولقد خصص جروسمان أحد فصول كتابه للحديث عن «غسل الكلمات» فقال،

«عندما يتبع بلد من البلدان في مارق محرج، فإنه يعمد إلى اختراع مفردات جديدة. ولم تكن إسرائيل أول من ابتاع ذلك النهج (٠) ولكن (٠٠) من المشير للحنق أن نشهد الحطاطة البليغة أمام أعيننا، فيغير وي، تنامت لدينا تشكيلة جديدة من الألفاظ المصطنعة الخائنة، والكلمات التي فقدت مدلولاتها الأصلية، والتصعيرات التي، بدلا من أن تصف الحقيقة، تجتهد في إخفائها كل الاجتهاد.



إن مفصلة الكلمات الإسرائيلية الواحدة من أكثر مفاسل الكلام تطوروا في العالم، فواضعنا أخذ في الجمع بسرمة قصوى، بلغا في اهتمامه من القمم ما يلزمنا في كل مرة بإعادة اختراع مصطلحات جديدة، بدأ ذلك مع «الرفقاء الطيبين» من رجالات البلاغ^(١)، فهم أبدا ما سرفوا، وأتقروا أية انتهاكات للممتلكات، إنما كانوا يلفظون أرايقهم في كل الدجاج، فحسب، وبقي الجيش، لم تحرف قط السرايق ولا الصادرات التعسفية، كنا فقط «نسد احتياجا منا للمعدات الناقصة، كما لم يحدث قط أن نحرصنا بجندية لأننا كنا

كتاب الزاوية



كتاب النصيحة

قابوس نامه

كتاب النصيحة هو ترجمة الكتاب الفارسي نصيحتنامه المعروف باسم قابوس نامه. والكتاب هي إيران وخارجها يتمتع بشهرة واسعة في الأوساط العلمية عامة، وبين المستشرقين خاصة.

وهناك تناقض بين مؤرخي الأدب والمؤرخين حول تاريخ تأليف الكتاب، إذ هناك من يقول إنه مؤلف حوالي ١٠٨٢م. وهناك من يقول إنه مؤلف قبل ذلك بكثير.

ومؤلف الكتاب هو الأمير عنصر المعالي كيكاس بن إسكندر بن قابوس بن وشمكير، وهو أمير شيخ دير الإمارة وساس الرعية واحداً وعشرين عاماً، وقد ألفه في آخر عمر طويل قضاء في الاستزادة من الحكمة وطلب المعرفة.

وحكم من ١٠٤٩ حتى ١٠٦٩ ميلادية. والكتاب يتوجه بالنصيحة إلى ابن الأمير وهو أول كتاب من نوعه في الأدب الفارسي الإسلامي. وقد قام بتعريبه محمد صادق نشأت وأمير عبد المجيد ونشرته «دار الشروق» ٢٠٠٧ (الطبعة الأولى). واختارت «وجهات نظر» مقتطفات منه.

آخرى بعد اليوم. فقد قامت جرافات جيش، «الدفاع، الإسرائيلي بدخلاء، أرضه وحف كل أشجاره، لفتح الطريق أمام العمليات العسكرية وأبراج الرصد والمراقبة. فالأراضي المحيطة مثلاً بممتلكات وزير الدفاع السابق شاوول موفاز في بلدة «كوخاف يانير، قد تم تنظيمها وإغلاقها، ذلك أن المزارع التي كانت هناك قبل بناء تلك البلدة المتفطرة، صارت عقبة جديداً. والأهم هو أن السيد الوزير ما عاد يخشى كمان الأشرار والإرهابيين. فلقد رحل الأضرار بعيداً. ليتم السيد الوزير وعائلته في دعة ملء الجفوف، ولتثبت، على جنبات الطريق، بدور جديدة للكرابية.

أما كلمة «تاج، (كثير في اللغة العبرية، فهي لا تعني فقط زينة رأس الأمير، أو علاجاً تجميلاً لمن عطي، أو اسم دار نشر إسرائيلية، أو زخارف القصة الخفيفة على حافظة التوراة - فكلمة «التاج، أو «الطوق» هي ايها هي لغتنا العبرية، حصار عسكري خالق، وهي الجوى، والسطش، والياس الحاضرين في ركاية. «التاج، أو «الطوق، هي ما يتم بدايةً عن، حينما «يدلوق، أولادي خلف العنابة بين فيها من أولاد يماثلونهم في العمر. ■

هوامش أضافتها المترجمة

١- حوار أجراه معي امري شافيت في صحيفة «هارتز، بتاريخ أغسطس ٢٠٠٧.

٢- أجرى الحوار لي تل أبيب، فيليب دولاروت، رئيس التحرير التنفيذي لـ «المرور، عدد ٢٠٠٨.

٣- «عبوس، شخصية توراتية، هو الابن الأكبر لإسحق بن إسرائيل، والشقيق الأكبر لـ «يوسف» (encyclopédie illustrée).

٤- يطلق الصهاينة الأي مصطلح «يهودا والصامرة، على الضفة الغربية لتبرير احتلالها، (د. عبد الوهاب السبيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، الموسوعة الموجزة، القاهرة، دار الشروق، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥، الجزء الأول، ص. ٣٩٧).

٥- «البلماح أو البلماح هو اختصار للصبارة الصربية «بلوغوت ماحتس، (أي القوة الصارخة) وهي القوة المتحركة الصارية التابعة للجهااف.

٦- بدأ البلماح نشاطاته العسكرية الخيرية في ١٩ مايو ١٩٤١، من شهر رجالة موشى دايان واسحق سادي واسحق رايتن. (الموسوعة الحرة).

٧- هذه الجملة عنوان لأغنية إسرائيلية شهيرة. «دفاع السلاح» أسطورة صهيونية تدعي معاً استخدام الجندي الإسرائيلي سلاحه في حدود مهمته فقط، مع الحرص على عدم استخدامه ضد المدنيين أو الأبرياء.

نسأها دائماً أولاً «عندما نقولين، لا، فما معنى ذلك؟» فانت بالطلع لا تمنين، لا، حين نقولين «لا، ليس كذلك؟ هذا وقد تربيتنا جميعاً على فكرة «نقاء الأسلحة»^(١)، وهو طليق طريف ومرريح. يعمل على تنظيف الضمير بالتزامن مع تنظيف فوهة البندقية خافضاً بواسطة سلاح «تقي، يكون حتماً أكثر ملالة مما لو كان السلاح غير تقي.

مع الوقت، أحرزنا تقدماً ملحوظاً ووصلنا من جداره إلى ذروة العمى والضلال نحن لم نصبح أبداً على رؤوس الأشهاد بأننا «سنقتلهم بلا حساب، كما نعتز كثيراً بأماننا التلمودية المأخوذة، من قبل، «من جاء ليقتلك، فقم إليه واقتله، وقد ترسّع لدينا اعتقاد بأن الأخلاق اليهودية تهب إلى جانبنا في كل يوم لتدفعنا ما إن يحين نداء الصباح. وعندما يقوم جيشنا، الذي يخدم فيه ابنائنا، باقتراح سلسلة من التصفيات، برغم غياب أي تهديد وشيك، نضار نحن إلى إطباق أعيننا على سد أذاننا، لأن الأمر يرمته مبره، «ضريبة موجهة، ولكن أئني للضريبة أن تكون «موجهة، بينما يمكن إحصاء عشرات بل مئات الحالات المماثلة؟ وبينما تقطع من حول الهدف الذي «وجهت، أئني للضريبة أعداد كبيرة ما بين قتيل وجريح من المدنيين الأبرياء، الذين يسقطون بسبب خطأ بشري، أو إفراط في معاصرة المادة المتفجرة، أو ببساطة بسبب اللامبالاة؟ ذلك أن عبارة «ضريبة موجهة، أخف وطأة على الأذن من «قتل أو «اشتعال، وهي إلى ذلك مهددة لضماننا وسكنته لخوابنا.

هل يداناً نضبههم؟ هل أدى العداء بين الإسرائيليين والفلسطينيين إلى طمس الحدود بين الخير والشر. وإن كنت إذا اضبههم وكان الفلسطينيون ورثة النازيين، فما أكون أنا؟ ماذا تكون نحن؟ لا نملك الإجابة، لأننا نشكك في الكلمات اللازمة لتصاغتها. (ملحوظة النص الأصلي به هذا الفراغ قبل ويهد هذه الفقرة)

هل فكرنا يوماً ملياً في عبارة «إخلاء أرض، (دخيسوف) التي يستخدمها جنود الجيش الإسرائيلي في الواقع، لا يتعلق الأمر بإخلاء أو تهجير أي شيء، بل يتعلق على العكس بالإخلاء والتكتم. فندما ينطق منبع النشرة الإخبارية بلغة «إخلاء»، ففهم أن شمة شخص ما، في مكان ما، يبكي الآن أشجاره المتشعبة ومزارعه العتيقة التي ورثها أب عن جد. هذا الرجل الباكى الحزين لن يجني زيتونه بعد اليوم، وأشجاره لن تثمر مرة



عودة إلى

الإسكندرية «الكوزموبوليتانية»

دينا حشمت

الإسكندرية والبحر المتوسط، هي مكتبة الإسكندرية بمناسبة مرور خمسين عاما على إصدار أول جزء من الرباعية «جوستين» في شهر نوفمبر الماضي. وهكذا قدمت لي أيضا قبل أن أقرأها، فكان يطرح على نفس السؤال المكرر، لماذا لم أقرأ هذه الرواية الحميلة ذات الأسلوب النادر التي لا بد على أي مصري، خصوصا إذا ما كان مهتما بالأدب، أن يقرأها؟ ومن يطرح هذا السؤال يتطرق أيضا إلى روح «المدينة الكوزموبوليتانية» التي تم تصويرها في

قبل ثلاث سنوات نشرت «وجهات نظر» نقلا عن الدورية الرصينة New York Review of Books ويتفاق خاص معها مقالا أشار جدلا كتبه Amos Elon عن رباعية لورانس داريل الشهيرة The Alexandria Quartet واليوم نعود إلى العمل الأدبي الأشهر عن عروس المتوسط بمقال كتبه لوجهات نظر دينا حشمت بعد أن ناقشت في السوريين أطروحتها للدكتوراة عن «المدينة في الرواية العربية».

*** لا زالت «رباعية الإسكندرية»، التي كتبها لورانس داريل منذ أكثر من خمسين عاما، تمارس سطوة وانبهارا خاصا لدى قرائها. بالرغم مما قيل عن عدم دقة العديد من المعلومات الواردة في هذه الرواية - سواء تلك التي تصف المدينة نفسها، أو تلك التي تسرد وقائع تاريخية مزعومة، فإنها ما زالت تقدم على أنها تمثل روحا كوزموبوليتانية كانت تتبع بها الإسكندرية في الماضي وهكذا فُتحت أثناء الاحتفالية التي نظمها المركز الثقافي البريطاني بالاشتراك مع «مركز أبحاث



شابات الإسكندرية
ثلاثينيات القرن العشرين



والإبراهيمية، عندما قرأناها الخمر، وجدنا التجربة صعبة بل محسطة إلى حد ما. إنها أطلت طوقية جارية من حوائى الماء، صفحة أسلوهاها القوي يهيكرك على الانعاس صيفا في القلوب النظم على فضاءات اجتماعية صيفية، وهو بالضبط ما يهمله ما لها خانقا ومحمطا تناول الإبراهيمية، دوائر اجتماعية تتحرك بين شخصيات معزولة نادرا ما تتجاوز أفاقها (سواء كانت علاقات صداقة، أو جنس، أو رواج) هذه الحقائق الأولية يصطدم القارئ من حين إلى آخر بجملة عنصرية قصيرة، يستخدمها الراوى لوصف مشاعر أو مشاعر عنصرية (شخصيات) تجاه المدينة وتجاه سكانها. تتدرج هذه الجمل من ملاحظات تقدم على أنها حقيقة بديهية على العرب والمسلمين، على سبيل المثال تلك العرافة كيف يكون العرق في مثل تلك الأماكن "أوبدايت نيف فرعة". تهتز مثل عربة تنوسل إليه" كما يصف الراوى مشاهد يفترض أنها "ترمز إلى أبعاد مصر".

«إلا أنه كانت هناك مناهضة أخرى ربما أقل قبولاً واستهجاناً لكتلها. مع ذلك، القمل والعادات الصخرية ساعدت في الصباح الباكر على أخذ الأيام حادثة هيسيرة وقعت في باحة المنزل خلف نافذته، فهدد وحيداً حيناً، فحضرها شاب أسمر أماناً ناروزاً حيناً، فمختلف عن ذلك الذي يعرفه، عاين الوجه مشرباً وإن كانت شجاعته قد زابتها وهو ينظر في عتاتين المتجنيين الزرقاوين. وسمع ماونت أوليف وهو زائف يقر: «سيدى، لم كن تلك كاذبة»، قبلت مرتين في صوت غميض واضع، فنهض وسار إلى المائدة حيث رأى ناروز يكرر في ذات الوقت، في صوت غميض خفيف كلمات ما لم يسمعها حيناً، حيناً ينادى في صوت كالصحيح. «كذبت كذبت خائبة». كان يأتي فعلاً اقتصر عنه بدنه لقضوة. إلى مضيقه يتناول شيئاً من خزامه، ويضعه لها قطعة من سكرية أذل الصبي، في مطه، وعلى مهل، كما يتقطع المرء عندود غيبس في شجرة لسكينين (الوكلاء).

عندما يسرد الراوى حوارا بين مملك، وزير الداخلية وحلّاه زهانيل، يستخدم الكلمات التالية ليصف تصرف زهانيل تجاه مملك: (وهذه الجملة من اقتباس محمود مترلاوى): «كان يتقدم فى بعضه، إذ إن تسجيل فكرة فى عقل مسلم أشبه بمحاولة دهن حائط، على المرء أن ينتظر حتى يجف الوجه الأول من الطلاء (الصكرة الأولى: قبل تقديم الثانية).⁽¹⁾

أما عن تمثيل مدينة الإسكندرية هي
الرياعية، فهي منقسمة بشكل واضح بين
ما يطلق عليه الراوي (المدينة الأوروبية)،⁴¹
the European city، وما يطلق عليه
الحسيني (المدينة العربية)، the Arab town، إلى

درجة أن لا تلاقى يمكننا بين هذين العالمين
المنفصلين. لا جسور بينهما، وإن وجدت.
همن الصعب تصنيها تحت بند التواصل
الإنساني: إنها فقط «المدينة الأوروبية، هي
مواجهة» البندر العري.

هناك أولا «المدينة الأوروبية» التي يعيش فيها الراوي وأغلب شخصيات «الرباعية»، إنها مدينة الكورنوش التي تطل بفتاتها المشعة بالأزوار على البحر. يعاينها وشواطئها. ويشوارعها التي لديها أسماء مثل «شارع فؤاد»، «شارع النبي دانيال»، «شارع دي سور»، والأحياء أيضا لها تسميات واضحة في «المدينة الأوروبية».

على الرغم من «الأزاريطا» أو ما سمكن لقاء المتقنين، مثل أبيي فنون جميلة.

يتناقض وصف هذا الجزء من المدينة
بمجموعة مع ما يسميه الراهب العربي،
هذا الجزء من المدينة لا يوصف،
والذي المصري^(١٠١)، والذي العربي^(١٠٢)،
المحلي^(١٠٣)، أول شيء يمكن ملاحظته هو أن
هذا الجزء من المدينة لا يتحقق صفة
المدينة، عكس المدينة الأوروبية، فالجزء
العربي من الإسكندرية - حسب تقسيمات
الراهب - ليس يتجاوز أول أدولة، حياً،
التي يمكن طابع محلي، لا يمكن في سوى
المكان (الحليين) ولا يسمو إلى الجزرات
المرتبطة بالمدينة، ومن خلال توصيفه
هذا، يخبر الراهب^(١٠٤)، والذي العربي، من
العودة الإسكندرية.

يتميز هذا «الحى العربى» عن باقي
المدينة بطبيعة الأماكن التي يصفها الراوى
فيه. وبطبيعة ريافته إليها؛ كما يظهر لنا
هذا التمييز جليا عبر تحليل حسى لهذا
القضاة.

هناك فضاءان داخل «الحى العريى» يحضهما الراوى عدة مرات: بيت الدعارة للأطفال (ثلاثة مشاهد طويلة)، والمولد. يوصف هذان الفضاءان من خلال عين خارجية، عين رائى سائح، ومن ثم فانهضاء يوصف مع التركيز على التفاصيل الأكثر غريبة، كما ان التغيرات في هذه الجزء

مجمّلها، فهي تجعل شاعر المرء قصيص
«في طوفان من التقرّز والهلل»^{١٩}.

[illegible][illegible]

يعرق. إنها تختلف كثيرا عن الأجساد البيضاء إنها رائحة كثيفة كريهة تنبعث، مثل قفص الأسود في حديقة الحيوان. كان

كما توسع إلى الأصوات في الحس العربي، على أنها غير لطيفة؛ إذ هي أقرب إلى الضوضاء (الأصوات الشبه، الشك، الخ) (١٨٣). يصف المؤلف الموسيقى على أنها تقاسيم متحركة: يقصد اللون العالي وتونديونين في أحد أجزاءه، يصف الكلمات الصوت في هذا الفن العربي، كما يصف يعلو ويعلو فوق أين وسرخسات الماشية، شذرات خنفاء من أغنية حب دمشقية قادمة من رفاق محبين إلى جوار السلطنة، تقاسيم من صنف مستحسنات العظام وهي تلحن إلى دقيق^(١٨٤) والعرب يتأصّلون ويصرفون، بل يصرون أصواتاً أجنبية بالأمم؛ بين العرب الذين كانوا يتبادلون الحديث، يصفون الحادث، كما لا يخفى، قد نوات أصفهان^(١٨٥).

اما بالنسبة للنظر، فيظهر الحي
العربي، أمامنا كالم الظلام، عالم السواد
والحواري الضيقة: «أخذت الشوارع تظلم
تدرجيا، تشحب أنوارها إلى الظلمة
البنفسجية، غدت أكثر ضيقا، متوترة
منحنية»¹¹.

طُرحت على نفسى العديد من الأسئلة عند قراءة هذه الرواية. كان رد فعلى الأول والتلقائى السائلون حول: (أ) كانت الصور المبتدئة فى الرواية من بيئة حقيقية و«ع» المبدئية التى المفترض أن تصفها. ومع هذا الواقع الخاص الذى ميز الإسكندرية فى عشرينيات القرن العشرين، ألا ومع كثافة غير غيرها من المدن المصرية، ألا وعلى الجانبين المصرى، الأمريكى، الصينى، الذى وصل إلى أوجهِه سنة ١٩٨٢، هناك كانت نسبة كبير المصريين من سكان المدينة تصل ٢١,٢ % من إجمالي السكان؟) (ب) ضمنهم الجليز، الفرنسيين واليابانيين والمسلمين و«يو» و«يونانيون» حظى هؤلاء السكان له آخرها بماتاريات عدة ضمها لهم محمداً فؤادى، وهو الإحتيازات التى قد تبدو لنا، من حق، مبالغاً فيها، كما نقول من مرسى ناس، فلويسيت أو فرانسها عن الجانب اليابانية الإيطالية؟ لكن هل كان معنى ذلك تقسيم المدينة بين فضاء أوروبى وآخر عربى لا يحتفظ بخصائصها الجنسية؟ (ج) الوفيات، على النحو الذى يصفه الرواية؟ (د) يمكن قراءة بعض الأعمال السوسولوجية فى إسكندرية بداية القرن، كالمعلم الخرنج، هندس مصححاً: قد نقاد إلى المصاحبة اليومية ما بين المصريين وغير المصريين فى ذلك الجزء، المدينة كان يتعاون كل ما كان يدور على أرضه، قد أخذ أيتها.

ولكن رد الفعل الأول هذا، رد فعل «هذه ليست إسكندرية الحقيقية»، قد لا يكون ذا فائدة لتناول هذه الرواية؛ إذ إن الأعمال الأدبية ليس من المفترض أن تعطى صورة

هناك أولا «المدينة الأوروبية»،

التي يعيش فيها الراوي وأغلب

شخصيات «الرباعية». إنها مدينة الكورنيش التي

تطل فتارينها المشعة بالأنوار على البحر،

بمقاهيها وشواطئها



(مواطن) وكورموس (العالم). أي مواطن العالم. إنها تدل إذاً على شخص أو مجموعة من الأشخاص يرون في العالم وطنهم. وليس لديهم تمسُّب لارتباط ببلد عن آخر. كما يدل هذا المصطلح على مدن ارتبطت هويتها بوجود «جانس»، أو مهاجرين فيها. وقد تكون فقدت هكذا جزءاً من هويتها الأولى. القومية. هناك عدد من المدن حول العالم تعتبر «كوزموبوليتانية». ولكن هذا المفهوم مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالبحر المتوسط. حيث تبقى الإسكندرية كما سبق وأشرنا، المدينة الكوزموبوليتانية par excellence

في هذه الرؤية قد تظهر الإسكندرية كمدينة خارج الزمن، أو كمدينة لا يمكن أن تطاها التغييرات. في مقدمته لإضافة لشرح كتاب فورستر «إسكندرية تاريخ ودليل»، كتب داريل أنه: «عندما وصل المدينة سنة ١٩٤١ سنة بعد كتابة هذا العمل. وه سنوات بعد موت صديق فورستر الكبير، كوستانتان كافيس، لم يتميز شيء مهم، وكأنه سحر» المدينة إذا لا تتطور بل تبقى مرتبطة بنوع من «الكوزموبوليتانية» الخارجية عن الإطار الزمني. دور أي جنود، إنها مفصلة عن واقع المدينة الاجتماعي، ترمز إلى الكوزموبوليتانية في المدينة الكورنثية، وواجهتها البحرية، «المستوحدة على العالم، بمشاهيها، وإسنادها، بمطاعمها، بمندقي السيسيل ومقهى ماستروديس، بكل هذه العلامات الثقافية التي تميز جميعاً بأنها غير مصرية وغير عربية يقول عنها راوي «الرعاية»، إنها مدينة نيت «كالس ليمع طوفان الظلمة الأفريقية»^{١٠}. «إسكندرية هي عاصمة الذاكرة». هكذا يكتب داريل بعد عدة صفحات. ولكن إذا كانت هناك ذاكرة تكون الإسكندرية عاصمتها، فهي الذاكرة الرومانية واليونانية والأوروبية «إسكندرية لا تزال أوروبية -عاصمة أوروبا الآسيوية، يقول داريل^{١١}» الإسكندرية لا تكون إلا ضمن هذا العالم وهذا العالم وهذا ما يفسر ما يقوله داريل في المقدمة نفسها، من أن «الإسكندرية قد نسيت». لأن العديد من رموز فترة المدينة «الكوزموبوليتانية، كانت قد اختفت في بداية الثمانينيات

الرياضية تقدم على أنها تمثيل جيد للمدينة الكوزموبوليتانية. فما هو المقصود إذاً بالكوزموبوليتانية في هذا الإطار؟ تأتي كلمة كوزموبوليتانية من بوليتس

مختزعة كما هو حال شخصية الراوي. ولا يوجد أي تشابه بينهم وبين الناس حقيقيين. (وحدها المدينة هي الحقيقية). فطهرت على نفسى سؤالاً آخر: إذا كانت

دقيقة للواقع. (وإن أخذ العديد من النقاد على دأويل كلمته الافتتاحية الشهيرة لرواية «جوستين»؛ شخصيات هذه القصة، وهي الأولى من مجموعة أكبر - شخصيات

جنديان من البحرية البريطانية أمام عمود السورى
«الإسكندرية ١٩٣٦»



١٠

بعد اختفائها أصبحت هذه الأماكن ترمز جيداً إلى نوع من الكوزموبوليتانية كان في مركز ما يطلق عليه ستحرمان وأمر هي مقدمتهما لكتاب «الشاهرة كوزموبوليتانية»، «الرؤية الحنينية للكوزموبوليتانيز (...). حيث يحتفل مضاربون وأصحاب





writing-back. في روايتيهما عن هذه المدينة الكوزموبوليتانية،^٩ أم أنهما منيا رؤيتهما الروائية بعيدا تماما عن الوهم الغربي.^{١٠}

هوامش:

- ١- لورانس داريل، «رباعية الإسكندرية، ملقار»، ترجمة فخرى لبيب، دار سعاد الصباح، ١٩٩٢، ص ١٨٠.
- ٢- لورانس داريل، «رباعية الإسكندرية، ماوت»، أوليف، ترجمة فخرى لبيب، دار سعاد الصباح، ١٩٩٢، ص ٣٥٥.
- ٣- نفس المرجع، ص ٣٥.
- ٤- He proceeded slowly, for to register, an idea in a Moslem mind is like trying to paint on a wall. one must wait for the first coat to dry (the first idea) before applying a second

Quoted by Mahmoud Manzaloui, in "Curate's Egg: An Alexandrian Opinion of Durrell's Quarter", in "Critical Essays on Lawrence Durrell, Alan Warren Fredman, G. K. Hall & Co, 1987

شده رجعي لترجمة فخرى لبيب، هذه الجملة اكتشفت أنه استعمل بسلام، وبمعلني، كان يتقدم في عمله، إلى أن تسهيل فكرة في عقل الملك ليصبح بمحاولة ذهنا حاد، على أن ينتظر حتى يجمع الوجه الأول من الملاء (الصخرة الأولى) قبل تقديم الثانية.

فاكتفت من صفة القياس المتخالف في الأصل بالإسكندرية.

- Lawrence Durrell, The Alexandrian Quartet, Faber and Faber, p.614
- هل وقع هذا الخطأ سهواً، أم أن المترجم أراد التعميق في وقع الجملة التعميرية؟
- ٥- «الحى الأيوبي من المدينة»، ترجمة فخرى لبيب، دار سعاد الصباح، «ملقار»، لورانس داريل، «رباعية الإسكندرية»، ماوت، أوليف، ترجمة فخرى لبيب، دار سعاد الصباح، ١٩٩٢، ص ٢١٧.
 - ٦- لورانس داريل، «رباعية الإسكندرية»، «جوستين»، ترجمة فخرى لبيب، دار سعاد الصباح، ١٩٩٢، ص ٧١.
 - ٧- نفس المرجع، ص ١٠٥.
 - ٨- فخرى لبيب ترجم، «الحى العطي»، the native

المصاعبات الأخرى في المدينة عبر عيون ثلاث شخصيات تأتي علاقة شخصيات تعيش خارج كرموز الحريى الذى يحب كتابتها المرأة اليونانية الأكبر منه بعشرين سنة. مع أنها لا تبادل نفس المشاعر لأنها لا زالت تحب زوجها الميت. الشيوعى اليونانى، سليمان المرتبط ببنت الإنجليزية، جين التى تترك البلاد بعد ١٩٥٦، وأخيرا ممرضة شابة تقابل مجموعة من الماشينيين الشيوعيين

دالما ما فرى المصاعبات الواقعة خارج أعاكس حياة هذه الشخصيات اليومية من خلال نظرتهم لها. بالرغم من أن النص ليس مبنيا حول تماثل فضائى قوى ما بين كرموز وفضاءات أخرى في الإسكندرية، وسط المدينة. ولكنه موجود، وإن على نطاق أضيق. يظهر مثلا في وصف الروى لرد فعل سليمان عند زيارته الأولى لوسط المدينة مع جين. في المحات الكبيرة التى يدخلها، حيث اللغات الأجنبية، فى كل ركن، (ص ١٠٨) - «المزورون كى كادى، لاميرون فرانسيس، جرادى مجارون»، يشعر سليمان بأنه «مسمور»، (ص ٨٠)، «ما حول ومطيع، (ص ١٠٩). كأنها بدته المناداة، في إشارة واضحة لقصة يوسف إدريس الجنية حول انحداب فتحة الفلاحة السويسى وغير المنطقى نحو المدينة الحديثة. وهو الانحداب الذى أدق بها إلى التخلي عن أسرته. لا نجد مثل هذه الحركة الدرامية في «طوبى العنبر». انتقطة الحزن في هذه الرواية هي أنه من المستحيل إنشاء جسر حقيقي ومستديم بين الشخصيات المصرية وغير المصرية. يحاولون. ولكنهم لا يتجنبون في تجاوز الحدود الطبقيّة والوطنيّة.

أدت في هذه العناصير للمتناول حول ما إذا كانت هناك أي جسور بين مصر داريل والخراف والمجد عبد المجيد عن الإسكندرية. كتب إدوار الخراط يقول إن لورانس داريل السطحية، فحولها في عمله إلى وهم غربي^(١١)، هل قام في عمله. وهل قام إبراهيم عبد المجيد بالرد بالكتابة،

مشاورا تنموية مدنيّة فاحرة وليبراليون دورا ماليا حسنة، ويعتار من ثرات المدن متعدد الثقافات، يند إلى القرنين التاسع عشر والعشرين^(١٢).

لكن لا يمكن أن يستخدم مصطلح الكوزموبوليتانية استخدامها تقدمة^(١٣)، إلا يمكن أن يكون لهذه الكلمة استخدام دلا يتجاهل أو يتجنب سيالها الكولونيالى^(١٤)، هناك العديد من الكتاب، وخاصة في حقن الدراسات ما بعد الكولونيالية، يتساءلون حول مفهوم الكوزموبوليتانية ويربطونه بالتاريخ المتكولونيالى. ينظر الكاتب الأرجنتيى مشاوار إلى الكوزموبوليتانية كأحد المصاهيم، مثل «حقوق الإنسان» أو «الديمقراطية»، المرتبطة بالتموج يمكن الكوزموبوليتانية والديمقراطية لا يمكن طرحهما من وجهة نظر واحدة. فيفترض كوزموبوليتانية نقدية وديالوجية. نابعة من صفات مكانية وتاريخية متقدمة من حقن الأكتاف الكولونيالى^(١٥).

ومن خلال التساؤل حول المعانى البديلة لمصطلح الكوزموبوليتانية، والأسباب التى جعلت من «الرباعية» كأنها الرواية المخصصة لروح الكوزموبوليتانية، طرحت على نفسي سوألا ثالثا، وهو كيف كتب الكتاب المصريون، الإسكندريون (الحليون)، عن مدينتهم، وبمعنى أخص، كيف كتبوا عن هويتها «الكوزموبوليتانية»؟ رأيت أنه قد يكون من المهم إعادة قراءة أعمال عدد من الكتاب الإسكندريين، ومنهم الكاتبان إدوار الخراط وإبراهيم عبد المجيد، فكرت خاصة في نصي الخراط، «قرانيا زعفران»، وبنات الإسكندرية، وروايتى عبد المجيد لا أحد يتنام في الإسكندرية، و«طوبى العنبر».

لم أقدم بعد في تحليل هذه الأعمال الأدبية ما يكتفى لتقديم تحليل حسي مقيد لها. ولكننى أد أن أقدم بعض الملاحظات الأولية حول رواية «طوبى العنبر»، التى، عكس «رباعية الإسكندرية»، لا تتجاهل أو تتجنب السياق الكولونيالى. تلور أحداث الرواية على خلفية معادرة مواطنين غير مصريين الإسكندرية في فترة ما قبل وبعد تأميم قناة السويس سنة ١٩٥٦. تقع «طوبى العنبر»، فى أغلبها فيما كان داريل قد سماه «الحى العربى»، ولكن إبراهيم عبد المجيد لا يطلق على هذا الجزء من المدينة مثل هذا الاسم الشمولى. تحمل هذه الأحياء أسماءها، وأهمها حى كرموز، تعيش أغلب الشخصيات في هذا الحى. وعدد كبير منهم عمال في سكة الحديد. توصف

quarter بـ «الحى الوطنى، فيما قد تكون سهوة مترجم تقصر أضع تعبير عن اختلاف وجهات النظر لعن المدينة

لورانس داريل، «رباعية الإسكندرية»، «جوستين»، ترجمة فخرى لبيب، دار سعاد الصباح، ١٩٩٢، ص ٢٠٦.

- ٩- نفس المرجع، ص ٢٤.
- ١٠- خالد فهمى، «روح الإسكندرية والاحتفاء»، مجلة أمكنة، العدد السابع، ص ٩٧.
- ١١- نفس المرجع، ص ٦١.
- ١٢- لورانس داريل، «رباعية الإسكندرية»، «جوستين»، ترجمة فخرى لبيب، دار سعاد الصباح، ١٩٩٢، ص ٧١.
- ١٣- لورانس داريل، «رباعية الإسكندرية»، «جوستين»، ترجمة فخرى لبيب، دار سعاد الصباح، ١٩٩٢، ص ١٨٤.
- ١٤- لورانس داريل، «رباعية الإسكندرية»، «جوستين»، ترجمة فخرى لبيب، دار سعاد الصباح، ١٩٩٢، ص ١٨.
- ١٥- لورانس داريل، «رباعية الإسكندرية»، «جوستين»، ترجمة فخرى لبيب، دار سعاد الصباح، ١٩٩٢، ص ٢١٧.

١٦- نفس المرجع، ص ١٨٣.

Volat, La communauté italienne.M. ١٧ et ses édies, in "Alexandrie, entre deux mondes" Revue de l'occident musulman et de la Méditerranée, 4ème trimestre ١٩٨, 198, n°46, p ١٨.

١٨- نفس المرجع، ص ١٨٣.

Préface, inédite en français, par ١٩ Lawrence Durrell à la réédition de Alexandria: a History and a Guide, de E.M Foster, éd. Michael Hung, Londres, ١٩82, 86, p ٢٠.

٢٠- لورانس داريل، «رباعية الإسكندرية»، «جوستين»، ترجمة فخرى لبيب، دار سعاد الصباح، ١٩٩٢، ص ٧١.

- ٢١- الإسكندرية عاصمة الفكرى، في ترجمة فخرى لبيب
- ٢٢- لورانس داريل، «رباعية الإسكندرية»، «جوستين»، ترجمة فخرى لبيب، دار سعاد الصباح، ١٩٩٢، ص ٢١٩.
- ٢٣- لورانس داريل، «رباعية الإسكندرية»، «ماوت»، أوليف، ترجمة فخرى لبيب، دار سعاد الصباح، ١٩٩٢، ص ١٨١.
- ٢٤- Diane Singerman and Paul Amar, "Constesting Myths, Critiquing Cosmopolitanism, and Creating the New Cairo School of Urban Studies", Introduction for "Cairo Cosmopolitan, Politics, Culture, and Urban Space in the New Globalized Middle East", Edited by Diane Singerman and Paul Ammar, AUC Press, 2006, p ٢٤.
- ٢٥- نفس المرجع، ص ٢٩.
- ٢٦- نفس المرجع، ص ٢٩.

Walter D.Mignolo, "The many faces, ٢٦ of cosmo-polis Border thinking and Critical Cosmopolitanism", in Cosmopolitanism, ed by Carol A Breckenridge, Sheldon Pollock, Homi K Bhabha and Dipesh Chakrabarty, Duke ٢٠٠٢, University Press, ٢٧ - إدوار الخراط، إسكندريتى، دار مطيع

المستقبل، ١٩٩٢

يظهر الحى العربى
أمانتا كعالم الظلم،
عالم السواد والجوارى الضيقة والشوارع
التي تشجب أولوانها إلى
الظلمة البنفسجية





كوريش الإسكندرية خلال الحرب العالمية الثانية حيث عثر لورنس داريل

■ الصور المنشورة من كتاب Vintage Egypt Cruising The Nile, Flammarion, 2003

أنغام إيرانانية

مصطفى البليصاد

حياة في الموسيقى الإيرانية. استمرت المكانة السامعة للموسيقى في المجتمع الإيراني. وفي عصر القاجاريين الذي برع كل من: أحمد قرهزئي، ومظفر قمي، ومحمد ميمن وقام قرهزئي في النغم الراهنة. ولا يزال المقام الموسيقي الإيراني حياً إلى اليوم بنفس الشكل الذي طوره وكتبه الموسيقى الإيراني ميرزا عبد الله قهرماني (١٨٤٣-١٩١٨) في عهد القاجاريين أيضاً.

حجرة الطرب

تقع أصفهان المدينة في وسط إيران حيث تبعد عن العاصمة طهران بحوالي ٤٣٠ كيلومتراً، ويطلق الإيرانيون على المدينة نصف جهان، أي نصف العالم. تستكين أصفهان على سهل نهر فايزانارود (النهر الخالد) وفي أحضان جبل زاغروس الشاهقة. إلى الغرب والجنوب من المدينة تتسهب جبال بختياري، أما الشرق والشمال فيفضيان إلى الصحراء التي تحيط بأصفهان وتحتل وسط الجغرافيا الإيرانية وتشكل غالبية المساحة الجغرافية إيران. بعد الفتح الإسلامي اكتسبت أصفهان أهميتها السامعة في تاريخ وثقافة إيران. إلى في الفترة الواقعة ما بين القرن السابع والقرن العاشر الميلادي اشتهرت أصفهان بالحريز والقطب، بسبب وجودها على طريق الحرير الشهير. ثم سقطت المدينة المعجبة ضحية للغزاة تيمور لذك في العام ١٣٨٨، ففقدت أهميتها إلى حين. وعادت لأصفهان أهميتها وأكثر مع استيلاء الصفويين الذين حكموا إيران طوال القرنين السادس عشر والسابع عشر، فاكتملت أصفهان من وقتها معاني تقدر الحدود السياسية لإيران. وتلكا قام الشاه عباس الأول، أو عباس الكبير، على تطلق على المراجع التاريخية، باستخدام الصناعات الماهرة ويعمرها الأوف إلى المدينة، التي أعطاها عاصمة لمملكته. جعل الصفويين إيران عاصمة لهم في نهاية القرن السادس عشر، وفي القرنين السادس عشر والسابع عشر بناءً على أغلب الساجد الأصفهانية، تلك التي تميز المدينة بطرازها الإيراني الفريد وبقبابها الفارسية ذات اللون الأزرق المميز. وفي عام ١٩٧٢ سقطت أصفهان بيد الأفغان.

دولة الخلافة الإسلامية في دمشق عاصمة الأمويين إلى بغداد عاصمة العباسيين. ويعتبر أبو الحسن علي بن تافع الشهير بلقب زرياب، أهم موسيقي في هذه المرحلة التاريخية. كان زرياب عبقرياً وموسيقياً وشاعراً ومصمماً للأزياء في آن معاً، وتعني كلمة زرياب بالعربية: الطائر الأسود، أما بالفارسية فتعني ذات الكلمة «مكتشف الذهب». اعتبر زرياب تلميذاً نجيباً للموسيقى الشهير إسحاق الموصلي، ولكن بعد ذبوع شهرته التي فاقت بعمر فترة قصيرة فقد سافر من البلاط العباسي إلى بلاد الشام، ومنها إلى تونس ليعمل فترة قصيرة في بلاط زيادة الله (٨١٦-٨٣٨)، ومن هناك سافر زرياب أخيراً إلى بلاد يد الرحمن الثاني في الأندلس حيث طور آلة العود فأدخل ولراً خاصاً عليها، كما أدخل آلة اللوت الفارسية التي أصبحت الجيتار الإسباني لاحقاً. ولم يكن زرياب موسيقياً صاحب ذائقة استثنائية في الموسيقى والطرب فقط، بل أيضاً في تذوق الطعام وفي الحياة ودأب المصفاة. أدخل هذا الفضل الشافية تمديداً على المائدة الأندلسية فأصبحت تتكون من ثلاثة أطباق متتالية: «أو أواله»، و«ثانياً الطبق الرئيسي»، ثم أخيراً طبق الحلويات والحافوة. ولم يستمر إلى إسبانيا أصفهان وحتى اليوم. وبعد زرياب استمر صعود نجم الموسيقيين الإيرانيين في الحضارة الإسلامية بشكل عام، ويعرف التاريخ أسماء علماء موسيقيين كبار أمثال أبو نصر الفارابي، وأبن سينا، وطبيب الدين التستري، وعبد القادر الرازي. واستمر التواصل الموسيقي بين آبيال إيران وحقبها الإيرانية قديماً، حيث كان الأستاذ ينقل لتلاميذه الأنغام التي توارثها عن الأجيال التي سبقته، فعاثت الأفران الإيرانية ليران طويلاً. ومعتبر محمد رضا شجریان الطرب الإيراني الأشهر حالياً، وهو تتلمذ على يد الميسقار شاه الملوك وزيرو والطرب الشهير لبال سلطان آذر، ولاههها تتلمذ على يد موسيقيين إيرانيين أقدم وهكذا. المهم عودة إلى الموضوع، فقد لعبت الصنف دوراً تاريخياً هاماً واستثنائياً حيث اكتشف الموسيقى والعالم الإسلامي الطرب الفارابي، بعد خمسة قرون من موت زرياب، التراث الموسيقي الكبير الذي خلفه ذلك العبقري والكون من ٢٠٠٠ نفقة، مازالت تعيش كلها حتى يومنا هذا

في مملكة الساسانيين، والذي ابتكر أول نظام موسيقي في العالم وأسمه «سور خسرواني»، أي «خسرو الملوك»، نسبة إلى الملك الفارسي خسرو الثاني، أو ما يعني بالعربية الطرق الملوكية. ويوجب هذا النظام ابتكار ياريد ٣٦٠ نفقة على أساس نفقة واحدة لكل يوم من أيام السنة، مع ملاحظة أن التوزيع الفارسي يعرف السنة على أنها مجموع اثني عشر شهراً، بحيث يكون لكل شهر ثلاثون يوماً فيكون المجموع ٣٦٠ يوماً. ولم تحسب الأيام الخمس الأخيرة من السنة حسب التقاليد الفارسية القديمة: بل يتم الاحتمال فيها. وهكذا كان اختراع ياريد كافياً للسنة كلها بشكل أو بآخر. وطبقاً للأسطورة الفارسية المتوارثة فقد خاطر ياريد بحياته عندما اضطر إلى إخبار الملك خسرو بقرار يموت حصانه الأثري شبديز، ولكن ليس بطريقة اعتيادية بل بحرق إخباره بالحقيقة. بل عن طريق أغنية ألفها خصيصاً لهذه المناسبة الحزينة على قلب الملك. الموسيقى الآخر المشهور من هذه الحقبة التاريخية كان بأصفهان الذي دأب على عزف الموسيقى عنه غروب الشمس لإدخال البهجة في قلوب الإيرانيين وسبب هذا الدأب فقد أطلق الإيرانيون عليه هذا الاسم الجميل والمركب من (سمن) أي (رام) أي الغروب، والسعادة (شاد). أما سركش فكان أول الموسيقيين الأزياء في عصر الملك خسرو بوزورسوق ياريد في منزلته عند الملك، حيث ساعدته أصوله الأرمينية مثله في ذلك مثل شيرين، روجة وحبوبية الملك خسرو، على احتلال هذه المكانة. وبالرغم من الروابط العائلية التي تميز بها سركش وقربانه لشيرين فضلاً عن عذوبة موسيقاه، فإن ياريد تميز عن كل أقرانه وخلد اسمه في أرواح الموسيقى الإيرانية والأشرفية بسبب اكتشافه للمصنف الموسيقي واختراعه لإيقاع المستكاه، وتتكون كلمة سركش من كلمتين هما (كاه) أي موقع (وإست) أي اليد الفين هي المعنى النهائي للكلمة موقع اليد. واستكاه يشبه كثيراً المقام الموسيقي العربي، ولكنه يتكون من اثني عشر نغماً أساسياً هم: بيات ترك، بيات أصفهان، بيات كرك، سكه، چهار كاه، راست بنج كاه، شور، ماهور، همايون، دشتي، نوهم، افشاري.

تتجلب السياسة المصالح الصنعية لشريحة أو فئة اجتماعية محددة، وفي أحسن الأحوال المصالح الوطنية لبلد ما، أما الموسيقى فهي تتخطى الحدودان والمشار العليا للبشر بغض النظر عن خصلاتهم الاجتماعية وانحيازاتهم الأيديولوجية. وتطبيقات هذه الفولة على الحالة العربية-الإيرانية نجد أن الموسيقى ربطت بين الحضارتين العربية والفارسية برباط لم تفلح السنون في فقص عراه، إذ مارالت مقامات، راست، ودولاه، وسيكا، شاهدة على عمق علاقات العرب مع إيران تاريخياً وموسيقياً يمكنك اليوم أن تلاحظ أهمية الموسيقى في الحياة الثقافية الوجودانية للإيرانيين الذين يشعرون الموسيقى الكلاسيكية، والمتراذفات الثاقبة، موسيقى سنتي إيران، أو موسيقى أصيل إيران، أو خنكيات باستانی إيران، تشير كلها إلى معنى واحد، الموسيقى الكلاسيكية الإيرانية. عشق الإيرانيين لثراهم الموسيقي الكلاسيكي طارحاً واضح بحيث يمكنك أن تكشفه بسهولة من زيارتك الأولى لإيران، وحتى المثل الفارسي البليغ يقول، «شيان لا يمكنك إخفاؤها، العشق والصال»،



ترجع معرفة إيران بالموسيقى إلى زمان مملكة هيلام التي قامت في إيران قبل أكثر من ٢٠٠٠ سنة، ومن وقتها يعتبر علم الموسيقى أحد فروع علم الرياضيات، وهو ما جعل للموسيقى مكانة مرموقة في المجتمع الإيراني من وقتها وحتى الآن. وهكذا استمر هذا التقليد متبعاً في مملكة الأخمينيين، حيث كتب المؤرخ الإغريقي الشهير هيرودوت أن الموسيقى كانت منتشرة في ذلك الزمان، كما تقيد بعض المراجع التاريخية الإيرانية أن الطربيين الكلاسيكيين كانوا محبوبين في فترة مملكة البارثيين. وشهد عصر مملكة الساسانيين ذروة التطور الموسيقي الإيراني، حيث بلغت الموسيقى الإيرانية وقتذاك حداً عاصلاً من التطور، بحيث إن أسماء أهم موسيقييها مازالت خالدة في وجدان الإيرانيين حتى اليوم مثل: ياريد وسركاش وباشماد ورامتين. كان ياريد الموسيقي الإيراني الأشهر

الموسيقى ريعت بين الحضارتين العربية والفارسية برباط لم تغلج السنون في هضم عوام.
 إذ مازالت مقامات، راست، و. نهاوند، و. سیکا، شاهدة على عمق علاقات
 العرب مع إيران تاريخياً وموسيقياً

الدين قصوا على الدولة الصفوية. ذلك
 التي صاغت وجدان إيران كما لم تعمل
 أي دولة من قبلها أو بعدها. وعلى انقاض
 الدولة الصفوية ظهرت الدولة الرديفة
 والدولة الأفشارية. هفتقدت أصفهان
 مكانتها كعاصمة لإيران لمصلحة مشهد
 وشيراز ومن بعدها طهران.

وبالرغم من انتهاء عصر الصفويين
 ودولتهم. فقد تركوا الترميم العميق على
 أصمها ووجداتها. ولذلك تعد مدينة
 أصفهان المقر الروحي لوجدان الموسيقى
 الإيرانية. في أصفهان تستقر حجرة
 الطرب الرائعة في قصر، عالي قابو،
 (المدخل العالي). وهي المشغولة بحرفية
 تأخذ الآليات ويحتج يتخرج الهواء في
 سبب العرفة. فيرشد إلى المستمع بشكل
 فريد. وبالإضافة إلى ذلك توجد جدارية
 الموسيقى. التي تمثل فرقة موسيقية
 إيرانية كاملة. في قصر، جهل ستون،
 (الأربعون عموداً). وكلا المعلمين يوضح
 بشدة المكانة المركزية للموسيقى في
 الوجدان الإيراني عمومياً. وفي الحففة
 الصفوية خصوصاً. والطريف أن عدد
 أعمدة القصر هي عشرون فقط. ولكن
 الأعمدة تنتصب في مقابل بركة مياه
 تمكس صورتهم مرتين. فيخال الناظر
 إلى الأعمدة على مسحة المياه في البركة
 أن عددها أربعون. تصل أخيراً إلى ميدان
 نقش جهان الذي يوجد فيه قصر، عالي
 قابو،. فيعتقد لساذك من فرط الدهشة.
 يبلغ طول الميدان ٥٠٠ متر وعرضه ١٥٠
 متراً. وهو حصة فنية فريدة على مساحة
 ضخمه. إذ تصطف المباني التاريخية على
 الجوانب الأربعة للميدان. يحتل مسجد
 الشيخ لطف الله موقع الشرق من
 الميدان. وعندما تقف في مدخل المسجد
 تستطيع ملاحظة أن القبة ترجع صدى
 الصوت سبع مرات عند وصوله إليها
 ويقع قصر، عالي قابو، إلى الغرب من
 الميدان. ويحتوى القصر على غرفة
 الموسيقى الفريدة من نوعها في العالم.
 أما جامع عباسي بممارته الفريدة وقبته
 التي استغرق بناؤها ستة عشر عاماً
 فيحتل جنوب الميدان. وبالتالي فالميدان
 فريد من نوعه في العالم حيث يحتوى
 على معالم فنية رائعة وذات قيمة تاريخية
 فائقة متجاورة إلى جانب بعضها البعض.
 ولذلك فقد أعلنت اليونسكو الميدان كله
 جزءاً من التراث العالمي. تترك أصمها
 متوجهة إلى طهران وقد استقرت في
 ذاكرتك صورة المصارفات
 الإيرانية، بملايسهن ذات



كتاب الزاوية



فضائل الصمت

كتاب النصيحة

اعلم يا بني أن المرء يغير نفع ما دام يغير هطل، كشجرة الغيلان (لعلها الموسج) التي لها جذع وليس لها ظل، لا تنفع نفسها ولا غيرها. وذو النسب والأصل ولو كانوا عديمي الفضل لا يجزمون احترام الناس. وأسوأ ما يكون المرء ألا يكون له أصل ولا فضل، ولكن يسيىء الاجتهاد في أن تكون جوهرًا بشخصك حتى ولو كنت أصيلاً عريقاً؛ لأن جوهر الشخص خير من جوهر الأصل، كما قالوا (الشرف بالفضل والأدب بالأصل والنسب)، فإن العظمة للقل والعلم للنفس والأصل. ولا تكن تيمناً للاسم الذي وضعه أبوك، فذاك الاسم علامة، والاسم حقاً هو ما تخلعه على نفسك من الفضل، حتى تلقى باسم أحمد ومحمد وموسى وجعفر على أستاذ فاضل أو حكيم كامل، فإذا لم يكن لدى الأصل جوهر الفضل، فإنه لا يليق بصاحبه أحد، وتشبه بكل من فيه هذان الجوهريان. ولا تدعه من يدك، فإنه ينفع كل إنسان.

اعلم أن الفضيلة الأفضل من جميع الفضائل هي الكلام؛ لأن الخالق جل جلاله خلق آدمي أفضل من كل مخلوقاته، والإنسان الذي نال الفضل على سائر الحيوان ناله بمشرفة أشياء في بدنه؛ خمسة من الباطن وخمسة من الظاهر؛ فالخمس الخفية مثل الفكر والتعليم والحفظ والتخيل والتطق. وتلك الخمسة الظاهرة مثل السمع والبصر والشم واللمس والذوق. وما يكون لسائر الحيوان من هذه كلها لا يكون على هذه الجملة. فصار الإنسان لهذا السبب ملكاً قاهراً على سائر الحيوان. فإذا عرضت ذلك فتعلم وتعود فضائل الناس، لأن لسانك يقول دائماً ما تجرى عليه، فقد قيل أحسن الناس لساناً أكثرهم فضلاً، واجتهد مع كل فضائلك في أن تقول الكلام في موضعه، فإن الكلام إذا كان جيداً ولم يكن في موضعه فإنه يبدو قبيحاً. وأثر الصمت على الفضول، إذ إن الكلام غير النافع ضرر كله، والكلام الذي لا تأتي منه راحة الفصل من الخير أن لا يقال.

الألوان الزرقاء والصفراء والحمراء وهن يعزفن على الآلات الموسيقية الإيرانية الكلاسيكية كما هو مرسوم على جدران قصر هشت بهشت، أو الجناح الثماني باللغة العربية.

السنطور والأستاذ

ينتهي بك السير من وسط العاصمة الإيرانية طهران إلى ميدان «بهارستان»، لأتوقف كي أنظر إلى مبنى البرلمان الإيراني القديم ومسجد «سيه سالار» الذي كان مسرحاً للثورة الدستورية في إيران قبل مائة عام. تركت السياسة على يمينك، وتدفق من الميدان يساراً بعد أن طال بك السير في طهران، تتسلق بالمثل الفارسي صفيق الدلالة والذي يقول «الصبر شجرة جنونها مرة ولكن ثمارها رائعة مذاق»، فقد بحثت كثيراً في المراجع التاريخية وفي دليل طهران بعد أن سألت في المعهد العالي للموسيقى، أخيراً تمر بجوار محلات بيع الأدوات الموسيقية الإيرانية التقليدية الواقعة بالقرب من الميدان، وتجوز ثلاثة منها قبل أن تجد محل «الأستاذ فروغی» ويستعمل الإيرانيون كلمة «أستاذ» كدلالة على الموسيقى، وهي في حالتنا هذه تناسب الحام تماماً وتطابق على الأستاذ فروغی أقدم صانعي الآلات الموسيقية في إيران. تدخل إلى المحل حامياً أنفاسك وهارماً على شراء آلة السنطور، وهي آلة موسيقية وثيقة تشبه آلة القانون العربية، ولكنها تختلف عنها في طريقة العزف. ولا يعزف على القانون عبر تثبيت ريشتين في سبابة كلتا اليدين لتقر بهما على الأوتار، فإن السنطور يتطلب العزف عليه التقر على الأوتار بحضاريتين صغيرين من الخشب باستعمال السبابة والإبهام. ولكن منها موقعه في الموسيقى، فالأول هو سلطان الطرب العربي، والثاني هو سلطان النغم الإيراني. تصطبغ الآلات الموسيقية بالحل في نظام دقيق، إلى البصار الآلات العزف القوية مثل البربط والستار والتار والدوتار والطنبوق، وإلى اليمين آلات العزف مثل الكمنجة والعبيك ومعها آلات النغخ الإيرانية مثل: سورباتي، الناي، البالابان، المونالي، دوساله. تلحظ أيضاً آلات الضرب مثل الدف، التمباك، وأخيراً وفي الوسط تجد السنطور محتلاً مكانه الهی في محل الأستاذ فروغی وفي الموسيقى الإيرانية.

تطور شكل آلة السنطور مروراً بالأمم، فقد نشأت على شكل علية مستطيلة ذات أوتار معدنية. حتى وصلت إلى شكلها الحالي أي صندوق غير متساوي الأضلاع مصنوع من خشب الجوز وأوتاره من البرونز، وهي متساوية في السكامة وعددها اثنا وسبعون وترًا (مع أن كلمة السنطور تعني مائة وتر باللغة الفارسية).

تنتشر فرق الموسيقى الإيرانية الكلاسيكية سواء حول العالم أو في إيران، وكلها تعتمد على الآلات الكلاسيكية مثل السنطور. وتعد الفرق التالية هي الأشهر: فرقة عارف، فرقة حايون، فرقة دو الفنون، فرقة دستان، فرقة شمس، وفرقة مهر للموسيقى الكلاسيكية التي تتكون من النساء فقط. والسمع إلى هذه الفرق المختلفة في طهران أو أصفهان أو حتى برلين وباريس وليوركل يجد أن الموسيقى الإيرانية ملائمة لحاضرهم فضلاً في الوجدان الإيراني، وما زالت استبداداً طبيعياً للموسيقى الإيرانية الكلاسيكية منذ عصر الإخمينيين والساديين وحتى الآن. تتأدب يدا الصانع مصراصاً السنطور ليجهز لك قبل البيع، فتعيط وتضع بخفة وتنقل على أوتارها برشافة مطلقة أروع وأعقق النغمات، في تلاحق أحكام وانتقال من طبقة إلى أخرى ومن نغمة إلى غيرها. يخيل إليك وكأن أشهر العارفين الإيرانيين صاروا يحيونك بطريقة المفضلة. هنا تلحظ أسلوب فرامرز بايوز وريوز وشكاتيان، وفي هذه القطعة يخيل إليك وكأن مجيد كياني وحسين مالک قد قاما من رقابهما الأبدى لتحيتك، وفي هذه الجملة المليئة بالمواعظ تسمر وكأن كاظم داوديان ومونوچهر صادقي قد أنفأها إليك أنت، فيختم الصانع عمله الموسيقية الطويلة بالنهاية على طريقة الأستاذ ميرزا علي أكبر شاهي، بقوة ورقة في أن تحرق من محل الأستاذ فروغی معاً. تخبر من دخلته حاملاً معك آلة سنطور من صنع يديه، وممنياً النفس بتعلم العزف على السنطور على خلفية أغاني الموسيقى الإيرانية محمد رضا شجریان والطرب العزف شهرام ناظري وعاشق السنطور المفتي جمشيد غدليبي، تجلس في القاعة وهذه النغمات لا تنى قرن في رأسك كأنها حلم سرمدی عابر لمكان منتقل بين طهران والقاهرة... ومختبر للزمان بين باريدي وشجریان ■

احلامك ...
معانا تتحقق



Always



EGYPTAIR

A STAR ALLIANCE MEMBER 

استمتع بالسما

بالعامية المصرية وحينما آخر يقوم بالسطو على قصيدة من الشعر النبطي، ولكن إذا سرعان ما افتضح أمره وتم إيقافه. ومن المؤكد أن مثل هذا المسلك إنما ينتج عن صعوبة المتابعة في المقام الأول وكذلك نتيجة لعدم معرفة الكثيرين بالشعر ومدارسه المتعددة، بل وعدم معرفتهم في بعض الأحيان باللغة العربية السليمة نفسها.

وبين المكر والمنقول والمسرور تعول رحلة البحث من موضوع يستحق القراءة، أي كما يقال في المثل العامي ربي الخربق قنطار خشب ودرهم حلاوة، والحشب هاهنا يتم حرقه، وأعمى في الوقت المستهلك في رحلة البحث، وكما يسلط الجو ويحلق الأكسجين لدى احتراق الخشب، كثيرا ما يحترق الوقت في مطالعة أفكار سطحية والأخطر منها الأفكار المسبوبة التي تسمى بيت العرق وتندعو لتقصيص، مثال ذلك المواقع التي تروج لأفكار دينية ومذهبية وكذلك المواقع التي تتعنق حرية الرأي وشعارات الرأي والرأي المضاد، دون أن تكون هناك حرية رأي حقيقية وفي غياب الحوار الهادئ العقلاني. بل على العكس من ذلك قد تترصص ببوارد الخصومة وتفض الطرف من الهاترات التي تدوركي ضمن ارتفاع نسبة المشاهدات والمشاركات. بل قد يصل الأمر أحيانا لافتيال أزمة حتى تنشط موضوعا ما أو لحيي أحد الأقسام المهمة، فلا تتدخل الإدارة إلا بعد خراب ما لطة كما يقال، وبعد أن تنجافي النفوس ويحل التريض محل المودة.

حروب المتديبات

ليس شرعا أن تندلع الحشنة في الموقع بين الأعضاء الذين يحرمون من كثير من الأحيان على الإيقاع على المودات والمجاملات بين بعضهم البعض، ولكن قد تأتي الفتنة من الخارج من قبل أطراف تندس في الموقع وتلقي بسهامها المشتعلة دعنا موقوفا وسنؤدوا من التهوين في الموقعين أيضا، أو من مواقع منافسة والميض الأخير يكون معيلا لجهة ما سواء مباشرين أو حربية أو طائفة، ويظهرون فجأة وتراهم عارفين بالأعضاء

ويصل بالتأني لأمره وهو لفت الأنظار بأي ذمن. ومن أوجه الهوس المختلفة وخداع النفس قبل خداع الآخرين، انتشار تصوص الكلمات، الذين يسطون على أعمال أعضاء آخرين في منتديات أخرى وينسبونها لأنفسهم ويقومون بالرد على مجيبهم بصفاة مدبشة. ومن أعجب ما مر بي في هذا الباب، تلك الواقعة التي قام فيها عضو بالسطو على شعر عضو آخر في موقع مختلف وحاول التذكي بغير بعض الكلمات، إلى هنا والسرقة على قدر من الذكاء، لكن يبدو أنه كان ذكاء مؤقتا، إذ لم يتف بسطو على العمل الأصلي، بل قام كذلك بالسطو على ردود صاحب العمل رغم ابتعادها كل البعد عن الكلام الدائر في متصفحه!!

ولولا قيام صاحب العمل الأصلي بالتسجيل في المنتدى دفاعا عن كلماته وفضضا لذلك الموضوع، لكان الكشف أمره الريبة التي وقعت في نفوس البعض للفتاوت البين بين القصيدة المسروقة ولغة العضو المعروفة لدى سائر الأعضاء. كذلك حالة أحد هؤلاء المصوص الذي مارس لصوميته بغياء قل أن ترى مثله، إذ كان يقوم بالسطو على كل ما يروق له وينقله كما هو بأخطائه، وما كسف أمره الفتاوت المذكور، فتارة تجد له قصيدة بالقصص موزونة مقفأة وتمتعت لعله فصيحة بالغة، وتارة أخرى ترى له قصيدة، لا تنتمي لعالم الشعر ولا إلى اللغة العربية إلا شئت الصدق، والأنهى من هذا ذلك إبداعاته، هي الشعر العامي، فحينما يقوم بالسطو على قصيدة

احترامه ومصادقته، بيد أن القلق في الأمر ليس في المواقع وإنما في المستخدمين. فالمواقع التي تبتغى اكتساب سمعة طيبة، تحترق لهذا الأمر وترافق ما يعرف بـ [IP] للمستخدمين وتوقف العضو الذي يثبت عليه التسجيل بأكثر من اسم (مستخدم) ولكن هيئات، فقد يحدث أن يختلف عضو ما مع الإدارة ويتم إيقافه فيظل يسجل بعدة أسماء وهمية ويعيث في المواقع فسادا، وتظل الإدارة في حالة استنفار دائمة نحو تجاوزات العضو، وينتهي الأمر بظلية وحمية ويعيث في المواقع فسادا، وتظل الإدارة في حالة استنفار دائمة نحو تجاوزات العضو، وينتهي الأمر بظلية والقول بأنه مهووس ليس من قبيل الجالعة، فالعضو قد أصبح ضلعة الشاغل والمتديبات ولا غنى له عنها.

تلك الشخصيات المتهوسة لا يقتصر هوسها على التسجيل في أكبر عدد ممكن من المنتديات والبقاء أمام الشاشة ليل نهار، بل يصيب الأمر حالة من الخيل وعداع التنصص، فتجد العضو المذكور يسجل كما أسلفنا بأكثر من اسم ومن ثم يبدأ في مدح أعماله باعتباره شخصا آخر، ويكيل المديح لنفسه ويشفي على عبقريته وشاعريته الصدة، ويبقى موضوعه في الصفحات الأولى دائما، بل وقد يصل به الأمر إلى ما يشبه الضمام فيدخل في صراع مع نفسه حول كلمة ما لا يكتسرها في النهاية لعمله المهروض، ولا يهيم في ذلك الوقت سوى أن يرفع من عدد مشاهداته وعدد الزيارات ولفت أنظار الأعضاء الآخرين الذين يلتقطون الطعم ويبدؤون في التعليق والمشاركة

بعد حوالي خمس سنوات متصلة من الكتابة في صفحة الرأي بجريدة الأخبار، قمت بمغامرة الكتابة على الهواء على سبيل التجربة، وذلك بسبب ما جلبت عليه من حب الاستطلاع وإداته قوة، دراستي العلمية التي تعتمد بالأساس على التجربة والمشاهدة والاستنتاج، فكان أن ارتبعت في محيط شاسع اسمه المنتديات الثقافية والتي تنتشر بصورة كبيرة وفي تمام مستمر. وقد خرجت منها مؤخرا بعد أن أحصيت النتائج الثرية على مشاهداتي في تلك التجربة التي استمرت طيلة عامين في أكثر من منتدى، هناك خلاصة تلك التجربة كي لا تفصح الطرف من عنصر بات شديد التأثير في المشهد الثقافي.

أعضاء وأرقام

تفاوتت المواقع الأدبية والمنتديات وتكتسب خلقها وفقا لعدة عوامل على رأسها عدد الأعضاء الكلي وعدد الأعضاء النشطين به، فقد تجد منتدى يضم خمسة آلاف عضو لكنه في حقيقة الأمر يقوم على اكتاف ما لا يزيد على الثلاثين عضوا، مما يجعل انقطاع عضو منهم عن المشاركة حدا يصيب خللا في حركة الموقع ويصيبه بالركود وقد يصاحب بالآهناير.

ويكتسب العضو مكانته تبعا لعدد المشاهدات أو الزيارات وكذا عدد مشاركاته الأعضاء الآخرين أي ردودهم على موضوعه سواء كان قصة أو شعرا أو نثرا أدبيا يسمنه المخاطرة إلخ. وهذا يقودنا إلى ظاهرة أخرى سوف نتطرق إليها في حينها، وهي الكلام عن محركات البحث مثل جوجل Google وخلافه، باعتباره من مؤشرات نجاح الموقع، فكلمنا ظهر الموقع في الصفحات الأولى لمحرك البحث كلما كان ذلك دليلا على نجاح الموقع وانتشاره.

ومن الظواهر المثيرة للجدل في بعض المواقع تعدد المستخدمين للعضو الواحد، فقد يسجل العضو تارة شخصية رجل وتارة أخرى بشخصية فتاة أو امرأة، وأحيانا يكون ذلك بعمل الإدارة نفسها التي تريد تضخيم عدد الأعضاء للوصول لحركات البحث المذكورة نائير السبل وسرعه، ولكن مع الوقت يتم اكتشاف الخبوء ويفقد الموقع

الكتابة على الهواء!



الوقت وروح المشاهدات، من عينة لعينة المسن، فمن يصل لرقم معين يصبح معه المدس ويزيل من بين يدينا من الأعضاء، وفي تلك الحالة يبدأ التسوط الذي لا قيام بعده للموقع، حيث يبدأ في فقدان الأعضاء الجادين ولا يبقى سوى شاة السيل.

ومما سبق نجد أن الهدف من تلك المنتديات «التقاضية» قد سقط في الطريق وأنها اتخذت منحى آخر حسب هوى الأعضاء وهو التسلية وقتل الوقت

صعود وهبوط وهجرات

مثل المول شاما تبدأ رحلة المنتديات وتأخذ نفس دورتها في الصعود والتقدم ثم الانهيار، ومنها أيضا في الثورات وفي الأحلام، إذ تجد بعض الدين اجتمعت قلوبهم حول فكرة ما يحملون ببوتوبيا هوائية يسمعون لتحقيق الحلم، وإن هي إلا بضعة ترتيبات ومساحة على الشبكة العنكبوتية ويضع دعوات لمن يتوسمون فيه الخير حتى يبرز نجم جديد في عالم المنتديات، فيستأجر به الناس ويبدلون في التوافد عليه، فيبدأ صغيرا مثل دولة فتية حين تحملن استغلالها عن امبراطورية متناهية أصابها الوهن، فتجد من يلأزها ويدعمها من أنصار الكلمة «الحررة» والمبادئ النبيلة، وكذلك من يحاربها ويرسل جواسيسه في أثرها يندسون بين الأعضاء حتى يحين الوقت لتوجيه ضربه.

ويحدث أن يتغير ولاه البعض ويخترط بصدق في هذا المجتمع العتي النصر بكل رونقه، فترى هجرة من المنتديات التي شاعت وأصابتها الوهن إلى تلك المنتديات التي شابت، التي تبدأ في التوسع والتألق وجذب الأنظار بعد أن يتسامع الناس للنجاح الذي حققته تلك المنتديات، ولكن...

مثل الدول تماما والأمبراطوريات الكبيرة، يأتي الانهيار دائما من داخل، فإن جالب ما مكرهه، فلما من عوامل انهيار المنتديات، تجد عاملا آخر شديد الأهمية بخلاف الشلية والأحزاب... إلخ... هذا العامل يمثل في الاستبداد الذي يكون وئيد النفاق ويائتالي ظهور ذوي الصالح وذوى الأهواء، والطامعين في التسلي لنجاح الموقع.

ومن ثم تبدأ الإدارة في الاقتتار بحاجها فتقع في

المكان ينطلقون إلى فساتينهم الخاص الحروف بالمستبحر، حيث الكلام بحرية أكبر ومن هنا تبدأ الشلية في التهاقم وتبدأ بشية الأقسام في الركود حتى يصاب الجميع بالملل من القيل والقال فيتم البحث عن بديل.

تسالي.. تسالي

بعد إصابة الموقع المذكور بالركود يتفق ذهن واحد من الأعضاء عن حل عاجل لتنشيط الموقع، فيقوم بنشر فكرة ما يدعو الأعضاء للمشاركة فيها، فترى نشاطا وإقبالاً على الموقع بعد الترتاب التي كان يعاني منها، ولكنه نشاط هسيري أشبه بظفرة النشاط لدى

يقتصر على صناديق الرسائل بل يمتد لمناطق أخرى مكتوفة وظاهرة للعيان، سواء في الردود أو فيما يعرف بالبورج أو الهسمات... إلخ... من المسميات لصحة فتفتح وتتحول لمساحة للردشة، وهي ظاهرة متفشية في منتديات كثيرة

ومع ميلاد تلك الصفحة الحرة، وتحت شعار الفضضة يبدأ الموقع في الانهيار، وذلك رغم جاذبية تلك الصفحة، بل لعل السبب في ذلك هو جاذبيتها، فهي تبدأ بهمسات بوح محببة وجذابة وتتيح للأعضاء التقارب وتكوين صداقات فيما بينهم، فيدخل الصفحة من يريد إزاحة كلمات جامدة على قلبه، ولكن مع الوقت يبدأ الآخرون في متابعة بعضهم البعض، ومحاولة استئفاف ما



مثل الدول تماما تبدأ

رحلة المنتديات وتأخذ نفس دورتها في الصعود والتقدم ثم الانهيار.

ومثلها أيضا في الثورات

وفي الأحلام



وإلى البورج من باب المضمول وحيد الاستطلاع، فهذا في حالة عبه وذلك يرمى بسهامه نحو العضو الغائبي، ويتحسن رأسه كل ذي بطحة، ومن ثم يبدأ في الرد المستتر، ثم يبدأ الخمر والشاحنات التي تتحول في بعض الأحيان إلى معارك حامية الوطيس، وينسبون في غمار تلك المشاحنات والحاسبات على تلك الكلمات التي يقولون إنهم إنما يكتبونها لأنفسهم، أنهم أسقطوا خصوصياتهم وأعطوا الآخرين حقاً لم يكن لديهم، إذ لم يجبرهم أحد على هذا البورج، ولا يفتقر بالآخرين العمى، فالكلمات مكتوبة ومتاحة للجميع وحق التأويل مكفول إما بالسلب أو بالإيجاب، وحين يضيق بهم

واسمائهم بل ولملهم وتوجهاتهم الفكرية، لذا يبدلون بالصرير بقوة ويهيمون بكلام ما حدث في أحد المنتديات إبان الحرب اللبنانية الإسرائيلية (صيف ٢٠٠٦) والتفاف بعض الحول حول حسن نصرالله والشروع في ترسيمه بطلا قوميا، في تلك الصخرة بالتحديد ظهر من يجترئ على واحدة من الأعضاء والتي كانت تتمتع باحترام ومحبة الجميع، وأخذ في الهجوم عليها بقسوة لجدد أنها شيعية المذهب في محاولة لث الصلته بين السنة والشيع، فالفتنة بين المسلمين والمسيحيين قد أصبحت موضحة قديمة وحيلة مكشوفة والأمنى منها والأفئد هو الصراع المذهبي.

وتصيب شظايا الكلمات السابحة في فضاء المنتديات النفوس والقلوب، وكثيرا ما تدعينا إما غضبا وحقنا كما أسلفنا، وإما عشقا وهو أمر غير نادر الحدوث، وذلك يفرض أن الشخصيات العاشقة هي شخصيات حقيقية بدون لفتة زائفة، وأهمها أن يكون الذكر ذكرا فعلا والأُنثى أنثى، فترى الكثير من الشخصيات المشاركة تخلق لنفسها اسما مشيرا للخيال وأحيانا تختار سنا لتقمصه وتترنم من حالتها الاجتماعية، وأحيانا تتغاضى عن تلك الحالة الاجتماعية وتفتح لكلمات الغزل أبوابها، والأهم من ذلك صندوق الرسائل الخاصة، وتشتد هذه الظاهرة بين صفوف الشعراء والمطاعرين على وجه الخصوص، فترى أسماء بعينها تتابع موضوعات فلاں وتناوهر عقب كل حرف يخطه هذا الملال أو ذاك، وتبدأ سلسلة من الردود والمجاملات الخارجة عن إطار النقد الموضوعي لتصبح المسألة مجرد لفتن في الاستحسان والتشفيق أشد في الرد على تلك المجاملات.

يبدأ أن الشظايا المتناثرة هنا وهناك لا تقتنى بإصابة القلوب وتفتح صناديق الرسائل التي قد تعرضت في بعض الأحيان لتقصص من قبل بعض الإدرات سرا أو جهرا، فهناك بعض المنتديات الجادة التي تشترط في لاحتها أن تكون صناديق الرسائل خاصة لبرقية من قبل الإدارة، ومنتديات أخرى تشترط عددا معيناً من الشارات قبل تفعيل خاصية إرسال وتلقى الرسائل، وغيرها التي ترى في صندوق الرسائل أداة شخصيا لا يعم سوى العضو نفسه، ولكن الأمر لا



كتاب الزاوية



في نصائح أنوشيروان لابنه

كتاب النصيحة

قال أولاً: مادام الليل والنهار يتعاقبان فلا تعجب من تقلب الأمور.

وقال أيضاً: لماذا يندم الناس على عمل قد ندّم عليه الغير؟

وقال أيضاً: كيف ينأى أماناً من له معرفة بالملوك؟
وقال أيضاً: كيف يعد نفسه حياً من لم تكن حياته على مراده؟

وقال أيضاً: لم لا تدعوه عدواً من يرى شهامته في أذى الناس؟

وقال أيضاً: لا ينبغي أن تدعو عدو محبك صديقاً.
وقال أيضاً: لا تصادق الجهلاء فإن الجهلاء لا يستأهلون الحب ولا البغض.

وقال أيضاً: اجتنب من يرى نفسه عالماً وهو جاهل.
وقال أيضاً: أنصف من نفسك لتستغنى عن الحكم.
وقال أيضاً: قل الحق وإن يكن مرراً، وإذا أردت ألا يعرف العدو سرّك فلا تقسه لصديقك.

وقال أيضاً: كل عظيم يتخيل نفسه صغيراً يكون عظيم الزمان.

وقال أيضاً: لا تعد الخاملين أحياء.
وقال أيضاً: إذا أردت أن تكون غنياً بلا تعب فكن مريضاً بالعمل.

وقال أيضاً: لا تشتتر جزافاً كيلا تضطر إلى البيع جزافاً.
وقال أيضاً: الموت جوعاً خير من الشبع بغيز اللثام.
وقال أيضاً: لا تنق بأي حال بغير أهل الثقة ولا تنزع الثقة من أهل الثقة.

أشبه ما يكون بالفرق بين العرض المسرحي والعرض السينمائي. فقد ينتج الفيلم أو يسقط وقد يتناولته النقاد بالشأن أو الهجوم دونما أي مباشر يصيب القائلين على الفيلم

أما في العرض المسرحي فقد ينتج ليلة ويسقط في ليلة أخرى. لا لخطأ من الممثلين ولكن من الجائز أن يسقط إما لغياب الجمهور، أو لوجود مشاهد مشاغب أو محرض ضد الممثل فتكون النتيجة قذفه باليأس والطماطم. وذلك لا يدل على مستوى العرض، بل على نوع التعامل بين الممثل والجمهور. وكذا هو الحال بالنسبة للكتابة على الهواء. فكم من المبدعين المنحجبين من بعض المواقع إثر تطاولات من سفهاء عليهم، في حين أن الكاتب في عالم الورق قد تصله خطابات مهينة وقد تصل إلى حد التهديد أحياناً، ولكن تبقى كرامته محفوظة إلى حد ما لأن الإهانة لم تكن على الملأ.

فلا عجب إذن أن بعض الكتاب ينظرون إلى المشاركة في المنتديات الثقافية نظرة قلبية، ويستهيئون المشاركة فيها انتقاصاً من مكانة الكاتب وأنه بذلك يسلك مسالك الهواة البتة بدلاً من السائحين من منبر يحمل كلماتهم إلى الناس باستثناء أصحاب المواقع الشخصية والتي يعتبرونها شئمة لنجاحهم ككتاب مرموفين.

الضارقات الأخير

وأخيراً عزيزي القارئ يبقى فارق واحد بين الكتابين، ألا وهو حجم المكتوب، حيث يفضل ألا تزيد الموضوعات في عالم المنتديات على ثلاثمائة كلمة كي لا يمل المتصفح، في حين قد تزيد بعض المقالات إلى الصفح والمجالات على الثلاثة آلاف كلمة، وهو أمر شديد العصر

على متصفح الإنترنت في كثير من الأحيان اللهم إلا في بعض الحالات الاستثنائية وفي المواقع المتخصصة وشبه المتخصصة.

لكل كانت خلاصة تجربتي في عالم الكتابة على الهواء، أطرحها بين يديك على صفحات من الورق ومعها رسالة تحذير للمثقفين والكتاب: أن انتهوا فالمشهد الثقافي لم يعد خالصاً لكم وحدهم، فهناك كيانات فضائية تقوم بغزو عقول أبنائنا وتؤثر فيها في كل لحظة، فانتبهوا ولا تناؤوا بأنفسكم من ذلك الميدان. ■

الحائز في النشر أو على أقل تقدير المساهمة في النشر.

كما يقاس نجاح الكاتب وتألقه في بعض الأحيان بالحرص على ضمه إلى بعض المواقع الأدبية، وكذلك الحرص على نشر أعماله في مواقع الكتب الإلكترونية، وكثيراً ما يكون له موقعه الخاص وأحياناً يكتفى بموقعه من قربه من جمهوره وتحجز له مكاناً في ذلك الفضاء.

مكتبات فضائية

مما يشري المواقع ويحسب لها حرصها على تكوين مكتبتها الشاملة وأحياناً المتخصصة التي تمكنك من تحميل ما شئت من الكتب أو الاطلاع عليها. حينئذ لو كان واحداً من الكتب المحظورة أو تلك التي أثير حولها الجدل مثل رواية حارثنا، التي كادت تنصيب يوحنا ما في قتل صاحبها الأديب الكبير نجيب محفوظ، وستل ضفرة دافنشي لدان براون وأعمال نجيب سرور وأحمد مطر وغيرها الكثير.

ولكن الخوف الأكبر إزاء هذه المواقع ومكتباتها يتمثل في عنصر الدقة والمصداقية، إذ يظل الورق أصلى مصداقية من ذلك الفضاء المفتوح والذي لا تدرى أية يد عابثة قد تتبد بالتزوير والتحريف نحو المعلومة التي تشدها. فكما تتميز بسهولة الوصول للمعلومة يهيئها سهولة العبث بها لغرض خبيث أو أن توضع ابتداء مشوهة لافتقارها للدقة والجديّة، ومع الأسف رأيت خلطاً بيننا بين الشيخ محمد شاكر الأب ولديّه محمود وأحمد شاكر في أحد أهم المواقع المتخصصة والتي تصف نفسها بالإسلامية، مما يؤكد المعنى الذي أقصده، وهو عنصر التوثيق والمصداقية.

يبقى التعبير عن الذات هو العنصر المشترك في عالم الكتابة، فمنذ أن بدأ الإنسان في نقش الجبر وأنتهى بالكتابة عبر الأثير، يظل الدافع للكتابة واحداً وهو القول بالوجود والسمي نحو الخلود. فإن تكتب فهذا معناه أنك باق ولو إلى حين ولكم باق.

غير أن الجمهور يختلف، لا من حيث الناقدة فحسب، ولكن من حيث التقنى والتعامل مع ما تكتبه، وسبق أن أشرنا لردود الأفعال والمجاملات والانتشار الماويس والسفاهة، فالفرق بين الكتابة على الهواء والكتابة في إصدار ورقي،

حرب شارل ولسون!



■ ■ ■ .. ولكن من هو شارل ولسون، الذي اخترق عالم الكتب فصدر كتاب يسجل قصة حياته بعنوان «حرب شارل ولسون، ثم اخترق عالم السينما بيلمم نال جوائز أوسكار.. هو ذلك العود المشوق القادم من غرب تكساس والذي كان يمكن أن يكون لأحد رعاة البقر الذين تراههم في السينما الأمريكية لو أنه ضل طريقه فاصبح عضواً بالكونجرس أو بالأحرى نائباً ديمقراطياً من إحدى دوائر غرب تكساس ثم أراه إلا مرتدياً هذا الحذاء التكناسي الطويل الذي يطوق الساق ويصل إلى أسفل الركبة أي «البوت».. هو ذلك النائب الذي يعيش حياة تجمع بين الجد والتهو في كل ما يفعل .. هو عضو تلك اللجنة الفرعية المهمة والمتخصصة باستحداث القوات المسلحة بمجلس النواب الأمريكي وبالتالي تختص بتقرير المونة العسكرية المقررة لصر والتي تبلغ مليارات وثلاثمائة مليون دولار سنوياً، وهو الذي ما خطر على بالي في أي يوم أن حياته يمكن أن تكون موضوعاً لكتاب ناهيك عن أن تكون موضوعاً لفيلم سينمائي... هو صاحب ذلك الصوت الأجنس والذي لا يخلو حديثه من استعمال الكلمات الفاضحة التي يستخدماها الساسة الأمريكيون طوال الوقت أثناء أحاديثهم الخاصة والتي لا يصح ترجمتها، هو ذلك الحيوان السياسي الذي يعرف توازنات القوى المؤثرة في داخل مصنع السياسة الأمريكية.. أي في الكونجرس الأمريكي بمجلسيه ويعرف كيف يعقد الصفقات لتسريع ما يريد تسييره من اعتمادات للقوات المسلحة في أمريكا والعالم.

هو شارل ولسون الذي أصبحت سيرته الآن على كل لسان بعد صدور فيلم «حرب شارل ولسون» المبني على كتاب حمل نفس العنوان للكاتبة الأمريكية جورج كرويل.. وسجل فيه قصة تشارلي وكيف استطاع أن يمرر في الكونجرس الاعتمادات السخية لتمويل الحرب الجهادية ضد السوفييت في أفغانستان طوال عقد ثمانينيات القرن الماضي.

كان من أول من عرفته به في بدايه عملي في واشنطن هو المشير أومر زالة وزير الدفاع المصري الأسبق الذي كان يعمل دائماً على توثيق صلاته بأعضاء الكونجرس الذين لهم دور في تقرير اعتمادات المونة العسكرية، وكان تشارلي من أهمهم. ثم توثقت صلاتي به طوال الأعوام الثمانية التي قضيتها في هذه المدينة التي لا نهت.. والتي كان أهم سكانها أقصد فيها هو مينايس الكونجرس العديدة التي يربط بينها قطار خاص والقائمة على تل يطل على العاصمة الأمريكية.

لم تكن السكرتيرات الجميلات أو ما

من لادن وأيمن الطواهي وغيرهما من «رهط» الأفغان العرب الممتزج بمقاتلي طالبان وغيرهم من رجال المقاومة الأفغان الأعداء، الذين يشبثون مرة أخرى كيف أن أفغانستان عصية على كل العزاة: هزمو إنجلترا، عندما كانت إمبراطورية لا تقرب عنها الشمس في القرن التاسع عشر كما هزمو الجيش الأحمر، جيش الاتحاد السوفيتي القوة الأعظم الثانية في النصف الثاني من القرن العشرين. وما هم يتصدون الآن للقوة الأعظم في العالم ومعها حلف شمال الأطلسي.

في هذا العام الذي قضينته في باكستان بدأ عقد الثمانينيات الذي شهد حربين متواترتين حرب السوفييت في أفغانستان والحرب العراقية الإيرانية.. فأنتهت الأولى بهزيمة السوفييت. بل وبإخفاق الاتحاد السوفيتي من الوجود.. وانتهت الثانية بلا غالب أو مغلوب.. ثم عادت الحرب إلى المنطقة مرة أخرى بعد قرار صدام شرؤ الكويت عام ١٩٩٠ وما أعقب ذلك من حرب الخليج الثانية، ثم مرة ثالثة بحرب جورج بوش الابن ضد العراق وكيلا للقويين، سواء في أفغانستان أو في العراق قويد الآن قوات أمريكية موروطة، أو متورطة.

لم يكن قد مرث سوى أيام على وصولي إلى إسلام آباد في يونيو ٧٩ أي قبل بدء موسم الأمطار الموسمية التي تتميز على هذه المدينة العتية بحدائقها.. حتى جازني حارس السفارة ليقول لي إن هناك رجلاً يقف على باب السفارة ويبس لباساً أفغانياً ويقول إنه درس في الأزهر الشريف ويريد أن يقاتلني.

ولأنني كنت أرغب في أن أعرف، وأنا سفير جديد لا يعرف المنطقة، على أحوال أفغانستان بسبب ما جرى فيها من انقلابات جاءت بالحكم الشيوعي هناك قبل عامين أو ثلاثة، فقد وافقت على استقبال الرجل البسيط ذي الجسم النحيل والوجه الهائئ والذي قال لي إن اسمه هو «برهان الدين ريساي» وأخذ يتحدث معي بلغة عربية رصينة عن أحوال أفغانستان، وما يشعله بها حكم الشيوعيين بمساعدة الخبراء السوفييت المتشربين من أجهزة الدولة، وأخذ يتحدثني عن أهمية أن تقوم مصر بمساعدة «جمعية إسلامي»، التي أسسها الآن، فاتبع أسوأها أو قل أتباع مأساتها التي بدأت مع الانقلاب الشيوعي ثم الغزو السوفيتي.. ثم الحرب الأمريكية التي جاءت في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١.

ثم تمر سوى شعور على هذا اللقاء

لواشتملى صداما عملت لمدة عام (١٩٧٩) ـ سفيراً لحصر في هذه البلاد التي أحببتها كما أحببت أهلها أي في باكستان وعاصمتها إسلام آباد. كانت إسلام آباد في هذه الأيام مدينة حارة بموقعها الفريد أسفل جبال هندوكوش المكتسية بالجلايد في الشتاء، وبالخلة في الجانب الآخر على وديان كشير التي يعبرونها جنة الله في الأرض.. والقرية من هذا الشريط الممتد لأكثر من ألفي كيلو متر بين باكستان وأفغانستان وتسكنه قبائل الماشقون التي يختبئ فيها الآن.. أو هكذا يقولون. أسامة

لمت نظري عندما ريت «تشارلي» أول مرة في مكتبتي.. كان أهم ما لفت نظري هو تلك البنيادية المعلقة على مدخل الغرفة التي يشغلها في مكتبته الشاسع والتي كانت السلاح الشائع للمجاهدين الأفغان في حربه ضد القوة الأعظم الثانية أي الاتحاد السوفيتي، وعلى الحائط ترى صورة كبيرة لتشارلي وسط مجموعة من المجاهدين الأفغان مرتدياً الزي الأفغاني التقليدي والطافية الأفغانية الشهيرة التي تشبه زيج الخبز المصري المستدير، و هو زى تحرفت عليه قبل مجيئي

بدخول قوات الجيش الأحمر بدأ دخول الاتحاد السوفيتي إلى المستنقع الأفغاني والذي انتهى بهزيمة السوفييت، بل وتفكيك الاتحاد السوفيتي ذاته واختفائه من الوجود



حتى كت وأسرته تقضي إجازة آخر العام في ديسمبر ٧٩ في العاصمة الهندية نيودلهي وسط أجواء الانتعاشات هناك. واتى ذلك بإشهاد غاندي وحزب المؤتمر الذي ترأسه إلى الحكم، حتى جاءت الأنباء بأن الاتحاد السوفيتي قد دخل أفغانستان، وبدأ دخول قوات الجيش الأحمر بدأ دخول الاتحاد السوفيتي إلى المستنقع الأفغاني والذي انتهى بهزيمة السوفييت، بل وتفكيك الاتحاد السوفيتي ذاته واختفائه من الوجود.

دارت عجلة الأحداث تبعاً وبسرعة رهيبة.. قرر الرئيس الأمريكي كرايتر الوقوف بحزم ضد الاحتلال السوفيتي لأفغانستان.. وجاء استشارته للأمن القومي ريجورجيسكي إلى باكستان وقابل الرئيس ضياء الحق الذي رأى فرصته في إقامة علاقة إستراتيجية مع جديده مع الولايات المتحدة وفي القيام بدور إسلامي، كبير يسجله له التاريخ.. وقف ريجورجيسكي على الجانب الباكستاني من معر حبيسر حاملاً بنسبته الكلاشكوف مشيراً بها إلى اتجاه الاتحاد الأفغاني من الممر وسطاً عبرة لشبهة إلى الشعب الأفغاني بهذا هو طريقكم لتحرير بلادكم، وهو ما كان بالفعل، فالتطلعت الصمحات على على الجهاد، من أعلى مئات آلاف أمدن في العالم الإسلامي من أفصاح إلى أفصاح وجاء الجهاديون من كل مكان بما فيهم الجهاديون العرب الذين عرفوا بعد ذلك باسم الأفغان العرب.

جاء «أسامة» الذي الشاب المتحمس للعلة بن لادن، للعائلة السعودية المصيرية المحروقة - وجاءه هذا الطبيب المصري المتمسك بأيمه الظواهرى.. وذلك البداية الكبير من الأون عزام، وغيرهم وتسلط على مدينة بنغازي في محافظة الحدود الشمالية الغربية آلاف المتطوعين من كافة بلدان العالم الإسلامي، وهناك تم تدريبهم وتسلحهم وتنظيمهم.. بالتسليم بين أجهزة المخابرات الأمريكية والمخابرات الحربية الباكستانية والصومالية التي تنظيم وتدريب وتسليح وتحويل أكبر مقاومة في التاريخ تدخل فيها محاسن الشباب المسلم واستعدادهم لحيات استشهاده في مقاومة الفزاة المحلدين المعتدين على حرمة الأرض الإسلامية.. إلى أجهزة المخابرات العالية والمقابلة والتعاون الدولي ضد الغزو السوفيتي الغاشم.. وتم تسليح وأنشأ الاتحاد وانصارهم من كافة أنحاء العالم الإسلامي بأبحاث وأفكار الأسلحة التي تم استخدامها في عملية الجهاد الأكبر.

وهي هذه العملية الكبرى كان هناك

دور مهم لشارل ولسون، فهو الذي يتولى تصرفاً الاعتمادات المطلوبة من الكونجرس ويتولى السؤال ابتداء من الذي جعل تشارلي يتفحص بدوره في هذه الحرب.. بل كان ذلك حقاً بسبب ما زعمه الفيلم عن تلك المرأة الجميلة التي كانت تعتبر مقاومة إمبراطورية الشر، أي الاتحاد السوفيتي كما كان يلقبه الرئيس ريجان وصحبه آنذاك، تعتبر عملاً مقدساً الأغلب أن دور هذه المرأة كان دوراً هامشياً ولكنه أعطى الفيلم - كالعادة - المسحة الرومانسية المطلوبة، أما دور تشارلي فقد كان في الواقع تعميراً عن النظرة الاستراتيجي التي نظرت بها الولايات المتحدة لتلك أي الدخول السوفيتي إلى أفغانستان.. كانت هذه المرأة الروسية التي أفغانستان تنظر إليها على أنها يمكن أن تلوها وشية أخرى إلى بالوشستان في باكستان مما يصرع الاتحاد السوفيتي في بحر العرب بالقرب من منطقة الخليج الإستراتيجية بما تحويته من آبار النفط، فضلاً عن موقعها الاستراتيجي في الصراع بين القوتين الأعظم آنذاك.



كانت هناك أيضاً الرغبة في الانضمام من الاتحاد السوفيتي لدوره في فينتام التي كانت المستنقع الذي غرقت فيه الولايات المتحدة في حقبة الستينيات. فالآن قد لامت الفرصة لحلق مستنقع مقابل في أفغانستان يفرق فيه الاتحاد السوفيتي.

جئت إلى واشنطن في نوفمبر ٨٤ بينما كانت مارك الجهاد في أفغانستان على أشدها.. وفي هذه الأيام.. كان الجهاديون الأفغان يستقبلون في الكونجرس كأيال وكان شارلي هو الذي ينظم لهم عدد اللقاءات في جرحهم في هذه المؤسسة وقد قادة الجهاديين يستقبلون في البيت الأبيض بواسطة الرئيس ريجان ويؤمنون بأنهم «الحاربون من أجل الحرية، Freedom fighters» ٨٧ ما ٨٨ لا أكثر جاء رئيس وزراء أفغانستان المحررة «برهان الدين رباني» وفكر لتصفية أنه يريد أن يروا المصير المصري في واشنطن والذي كان قد تعرف عليه عندما كان يعمل سفيراً لمصر في إسلام آباد.. واستقبلت الرئيس «رباني» في مكتبتي بميدان شيريدان وسط شارع ماستونوس.. كان سلماً بأفغانستان. فتذكرنا كم يختلف هذا القائد من لقائنا الأول في سفارة مصر في إسلام آباد قبل عشرة أعوام.

دارت عجلة الأحداث وما لبثت لحظ

برلين أن سقط وخرج الجيش الأحمر من أفغانستان بعد أن فقد حوالي ثلاثين ألفاً من جنوده. وكان مستنقع الاتحاد عاملاً رئيسياً في انهيار الاتحاد السوفيتي، وبانهياره بدأت الولايات المتحدة تفقد الاهتمام بأفغانستان، وأذكر أنني كنت أتحدث مع بعض السوفييت في الخارجية الأمريكية في هذه الأيام وحذرهم من خطورة ترك الأمور في أفغانستان تتدهور بحيث تصبح أفغانستان دولة فاشلة يتحكم فيها أمراء الحرب وزعماء الأفغان، إلا أن محدثي الخارجية الأمريكية آنذاك هزت كتفها قائلة: «أما يمكن لنا أن نعمل؟ إنهم يقتلون بعضهم بعضاً، وهكذا نتم أفغانستان لشأنها للصراع بين المجموعات المختلفة».

أما لي لأجلى حيث يوجد ميتي وكالة المخابرات المركزية، فقد جرى حفل تكريم هو الأول من نوعه، حيث تم تكريم شارل ولسون لدوره الحاسم في تحقيق النصر وهزيمة الاتحاد السوفيتي.. وكان مشهد التكريم هو المشهد الذي في كتاب «درب شارل ولسون، لوجر كريك» أما الأفغان العرب والجهاديين فقد غادروا أفغانستان وهم يتحرقون شوقاً إلى جهاد آخر ثم ما لبث أن شكل بعضهم تنظيم القاعدة.. كان ذلك في السنوات الأخيرة من القرن السابق، بينما تحولت الحرب في أفغانستان إلى حرب بين المصالح الأفغانية ذاتها.

كأن هناك التحالف الضمالي بقيادة برهان الدين رباني ومعه القائد الأسطوري أحمد شاه مسعود السيفر على وادي بنشور الذي دوى السوفييت في حقبة الجهاد.. فلقب بأسد بنشور. وقد استطاع التحالف الشمالي أن يحتل العاصمة كابل، ولكنه لم يكن على علاقة وثام مع الجبال الكبرى باكستان، التي احتضنت تنظيمًا آخر هو تنظيم طالبان، أي مجموعة الطلبة الذين خرجوا من قندهار جنوب أفغانستان، ثم سرعان ما سيطرو على أغلب أفغانستان بمساعدة المخابرات الباكستانية وإقاموا حكم طالبان الأصولي بقيادة الملا عمر في كابل، بينما توخا التحالف الشمالي بقيادة رباني مسعود إلى المنطقة الطاجيكية في شمال أفغانستان.

وأصبح حكم طالبان حكماً أصولياً متشدداً قمعوا سفوف النساء ومنهوا الموسيقى وهدموا تماثيل بوذا المشهورة في بابليان، ثم استملاوا تنظيم القاعدة بقيادة بن لادن، ودمروا جبال اشغيان القائد الأفغاني أحمد شاه مسعود. شهيداً.. حسيماً هو متمسور.. للحدث الأكبر الذي استهل به القرن الحادي

والعشرون في الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، واستمرت عجلة الأحداث في الدوران.. جورج بوش الابن يعلن الحرب على العراق، وغزو أفغانستان، هذه المرة بقوات أمريكية متحالفة مع قوات حلف الناتو مع حرب العراق وكيف لفتت الأسباب والدوافع والتساير الرسمية وخطاب كولن باول الشهير أمام مجلس الأمن عام ٢٠٠٣ والذي كان قمة التفتيح بها نحن نعيش المساء.. ولكن لا بد أن يكون لهويود نصيب فيأتي فيلم «درب شارل ولسون»، ليخطف لسان قصة هذا النائب الأمريكي الماين الذي وضعتهم الأفغان على أعوام الجوالز الأوسكار ويصبح قصة على كل السوفييت في أفغانستان

لم أرى شارل ولسون منذ تركت واشنطن عام ١٩٩٢ ولكن السفير السفيدي حاتم سيف النصر والأمين سفيراً لمصر في لندن والذي طارا راغمني في سفارة واشنطن هذه الأيام وهو في بدايات رحلته في الخارجية ونحن نضع الدمايز الطويلة في عياني الكونجرس العتيقة، تزيار أعضاء مجلس النواب وبينهم بطبيعة الحال شارل ولسون وأرى أنه على شاشة التلفزيون في لحظة تم تصويرها قبل إنتاج الفيلم قائلاً: «أذكروا كل شيء لا تخفوا شيئاً مما فعلته من لهو ومجون.. فأنتم مهما قلتم سيكون أقل من الواقع، لكن أذكروا أيضاً قصة أفغانستان، وهو ما كان.. فجاء فيلم «درب شارل ولسون» ليحكي الحكاية من جانب الجهاد، جانب الجهد في حرب أفغانستان، وجانبها في حياة تشارلي.

الشر، المالك هو الذي ما كنت أبداً.. تصور أن شارل ولسون يمكن أن يكون أنما تكتب عنه الكتب وتنتج عنه الأفلام وتعتبر عمله على كلسان أو أنني يمكن أن أكتبه عن قتال بعد الأحداث بعشرين عاماً.. ولكن هذا القلوب معاً.. في الليديا. تشكل العقول والقلوب معاً.. في الليديا. المتحالفة مع قوة هولويود.. قوة الأعضاء وصناعة التحوم

أما أفغانستان فهي الآن مسرح لحرب جديدة وممتدة.. يبيتق الأفغان.. الذي كان قصة هذا القائد الباسل؟.. السؤل.. حارب قوة عظمى فهزمها.. وما هو اليوم يحارب القوة العظمى الأخرى، الضحية على مائدة السلام وساحت الحرب بين القوى الكبرى.. فهل سيكون هناك من يكتبها؟ فهي القصة التي نستبح أن تروي وإن نصير على كل لسان..

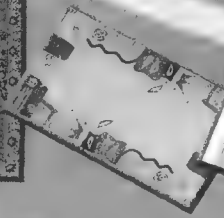
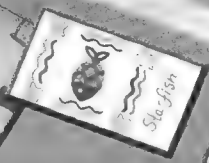
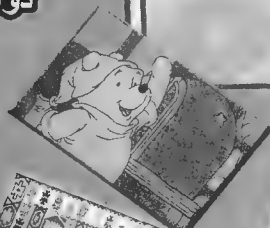
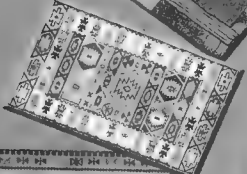
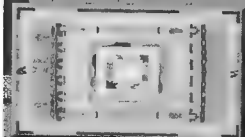
دواسات حمام

قطع موكيت

متواجد في مراكز بيع بواقى ال

س

مركز



سجاد أطفال



تصدير المنتشرة في كل ارجاء مصر

شرقي

مطبوع

مشايات

سجادة صلي

www.minec.org/egypt

أكيللى لاورو ريجيان أبو العباس عندما قالت إيطاليا

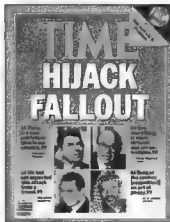


■ بالنسبة إلينا نحن من كنا الأكثر تورطاً في الأمر بصورة مباشرة، حتى وإن اختلف مستوى المسؤولية في أحداث واقعة أكيللى لاورو (وكنا قاتل)، كانت صصلة نهاية الأسبوع تلك جلية البيان. كان يوم السبت ١٢ أكتوبر ليس فقط الأسود وطأة منذ بداية اختطاف السفينة، بل أيضاً أخطر ما واجهته السياسة الخارجية الإيطالية، فأمر كثيرة كانت ستترتب على القرار الذي ستخذه الحكومة الإيطالية عما إذا كانت ستطلق سراح أبو العباس من عدمه.

أيا ما كان ستسير نحوه الأمور، كان واضحاً أننا بنهاية اليوم كنا ستكون خسرنا شيئاً ما، بما في ذلك من عواقب يصعب تقديرها في ذلك الحين، والثقة في إحدى الدولتين - الولايات المتحدة ومصر - واللتين اشتركتا مع إيطاليا بطريقة لا غبار عليها في إدارة أزمة في غاية السوء.

هاضمت كراكسى في الساعة التاسعة والنصف صباحاً لإبلاغه أنه خلال وقت يسير كان سيأتي لدى السفير راب يقدم لى مذكرة لتسليم الأربعة الخاطفين الذين يقبض عليهم السلطات الإيطالية في اليوم السابق بـسيهونيل ولقبض على أبو العباس، كما أخطرته بأن راب كان قد وضع بالفعل المستند بين يدي يودا مدير مكتب وزير العدل في الخامسة صباحاً. فقال لى أن أطلب من نائب الوزير أماتو أن يستعد بصورة عاجلة لمقر رئاسة الوزراء رجال القضاء المكلفين بدراسة المذكرة، كما سأني بإيلاء الأمين العام لوزارة الخارجية الإيطالية روجيرو كى يستعد لمقابلة السفير راب خلال النهار.

وصل راب لى بمقر رئاسة الوزراء



التابع، ٢٨ أكتوبر ١٩٨٥

(قصر كيدجى) في تمام الساعة التاسعة صباحاً يرافقه جون هولم الوكيل المستشار بالسفارة، ويوجه قلق وبلا مقدمات قال لى إن واشنطن تعتبر أن المستندات هي أكثر من دليل كاف، إلا أنها كانت على أية حال مستعدة عند الضرورة لتقديم معلومات جديدة حول مسؤولية أبو العباس، وعندما رأيت كراكسى لأسرد عليه الحديث الذي تم، كان لدى تصور واضح أنه لن يجهد إطالة وقت اتخاذ القرار. لذا فالالتزام الإيطالي بدراسة الأمر كان يتعين أن يقتصر على المستندات التي تم تقديمها صباحاً.

ويبدأ من متعلق الالتزام الذي أخذه على عاتقه كراكسى عندما تحدث هاتمياً مع ريجيان ليلة الخميس ١٠ أكتوبر، وهو الالتزام الذي حددته لنا يوم الجمعة وكان قد إبغنى به في تلك الليلة ذاتها. لقد وعد كراكسى رئيس البيت الأبيض أنه سيؤمن تسليم الأربعة الخاطفين للعدالة وسيقدم معلومات لتوضيح موقف أبو العباس.

وبالنسبة للأزمة خاضعين يمكن الإشارة للخطاب الذي قام كراكسى - بمجرد أن أخطرته القبطان دي روزا بقتل كلينججورافى في الساعة السادسة إلا ربعا مساء الخميس ١٠ أكتوبر - بإعطائى توجيهات بإرساله على الفور لتبريس المصرى حسنى مبارك لطلب تسليم المسئولين عن الاختطاف ومديره، وفي الخطاب الذي وقعه على الفور تم التذكير بأن استعداداً إيطاليا لتسليم الخاطفين وديا مشروط بعدم إسالة الدماء على ظهر السفينة. فقد كان كراكسى منتبهاً إلى ألا يتناقض مع نفسه وعلى أن يحافظ تحت أى ظرف على أى التزام أخذه على عاتقه، وألى يومنا هذا وعقب ما يريو على ٢٨ عاماً مرت على

أساس أنهم قتلوا أمريكياً، إلا أن السلطات الإيطالية في عهد رئيس الوزراء الأسبق برونو كراكسى رفضت ذلك وأجرت محاكمة للخاطفين. وقد أدان ١١ من بين ١٥ كانت لهم علاقة بالحادثة وحكم أبو العباس غيابياً بعد أن كان قد خرج من إيطاليا إلى يوجوسلافيا، ورغم أنه قد صدر حكم بالسجن مدى الحياة ٥ مرات في إيطاليا، إلا أن أبو العباس ظل طليعاً وعاد إلى غرة عام ١٩٩٦ بعد توقيع اتفاق أوسلو مع انتقال إلى العراق، حيث ترددت أنباء عنه أنه كان هناك اتصال بين الرئيس العراقي الراحل صدام حسين وفصائل فلسطينية، وقد اعتقلته القوات الأمريكية في ١٥ أبريل ٢٠٠٢ بعد الغزو وأودعته السجن، حيث مات في ٩ مارس ٢٠٠٤ عن ٥٦ عاماً.

وقد كتب السفير أنطونيو باديني سفير إيطاليا السابق لدى مصر والذي كان يعمل مستشاراً سياسياً لكراكسى أثناء الحادث - وجهات نظره يستعيد تفاصيل ما جرى والملايسات التي أحاطت بالقضية وتفاعلاتها على الصعيد المحلي الإيطالي والعربي والأمريكي.

في ٧ أكتوبر ١٩٨٥، قام ٤ فلسطينيين ينتمون إلى جبهة التحرير الفلسطينية التي يتزعمها محمد عباس «أبو العباس» باختطاف سفينة سياحية إيطالية تدعى أكيللى لاورو في المياه الإقليمية المصرية. وكان على متن السفينة حوالي ١٠٠ شخص معظمهم من كبار السن، وطالب الخاطفون بالإفراج عن ٥٠٠ معتقلاً فلسطينياً في السجون الإسرائيلية مقابل إطلاق سراح الركاب. وإلّا، فإن تصميمهم على تنفيذ مطالبهم أطلقوا النار على راكب أمريكي الجنسية يدعى ليون كلينججوراف - ٩٩ عاماً - وكان قميذاً هاروداً قتيلاً.

وبدلت الحكومة المصرية جهودها لإنهاء الأزمة وإقناع الخاطفين بإطلاق سراح الركاب الذين طلبوا طائرة مصرية لنقلهم إلى تونس، إلا أن طائرات عسكرية أمريكية حولت مسار الطائرة المصرية وعلى متنها الخاطفون من تونس إلى إيطاليا.

وقد وقعت أزمة دبلوماسية بين إيطاليا والولايات المتحدة، حيث أصرت إدارة الرئيس الأمريكي رونالد ريجان على تسلم الخاطفين ومحاكمتهم على

أنطونيوباديني

الأمريكية وأثارتها. كما أن التحقيق الذي أجرته محكمة جنود أظهر خطأ من كان يدعى أن اختطاف السفينة أكيلي لاو رو تم التحصيل له بموافقة عرفات. وأن الحكومة الإيطالية وقعت من جديد ضحية للعبة المزدوجة التي قام بها الزعيم الفلسطيني

إبراهيم الذي أراحت جبهة التحرير الفلسطينية وضعه بين الغرب ومنظمة التحرير الفلسطينية بجها مصر مبارك وأردن الملك حسين إلى النزاع كان بالضبط عكس الجسر الذي كان كراكي يريد إنشائه بين القضية الفلسطينية ومصالح أمن أوروبا والولايات المتحدة وإسرائيل نفسها.

ولكن في فلسطين كبدجي كان هناك تساؤل إذا ما كان هذا فعلا هدف الولايات المتحدة؟ كانت واشنطن مدركة فعلا للعبة الدائرة وبالتالي كانت متوسمة الذي لتقبل إيطاليا محتمل لإرادة واشنطن على الرغم من أنها عانت من انتهاك صارخ ومهين لسيادتها الوطنية وإلى جانب التداعيات الخطيرة على عملية السلام التي كانت تساهمها السياسة بعيدة النظر الخاصة بمصر والأردن والسعودية. أية مصداقية كانت ستحتل بها كي تنضم إلى اللعبة السياسية العربية لإحداث اختراق في القضية الفلسطينية التي كانت تستفيد من إعلان البندقيّة لعام ١٩٨٨

وكذلك داخل أوروبا نفسها. أية مصداقية كانت ستتمتع بها إيطاليا. وهي التي كانت تسعى في تلك الفترة للحفاظ على دور لها لصالح الانشقاق في صراع ضروس بين الشرق والغرب إلى تعاون أكبر بين النظامين؟ لم يكن مشروعاً الإستهانة بموقف كراكي الذي عقب إدارته بنجاح من موقعه في البسار الإيطالي لا سيما تآوران القوى النووية المتوسعة في أوروبا. ثم استجابتها لتصرف يتعارض مع مبادئه الخاصة بالمساواة الدولية والتي كان الحزب الشيوعي الإيطالي يرفع رايها

كان كراكي مدركاً خلال تلك الساعات العصيبة وجود أمور غير متعادلة في عملية صنع القرار الأمريكي. كما أن المعلومات التي حصلنا عليها فيما بعد بشأن ديناميكية التفكير القادة الحزب الطائفة المصرية أكدت عدم احترام الكرامة الوطنية الإيطالية بشكل لا يمكن التوكلن معه في سلسلة الأوامر التي فسقا البيت الأبيض والبيتاجو. فضلا عن أنه كان جلياً في التصرف القبط للفرق الإيطالية أنهم كانوا قد راهنوا سلماً على سلبية إيطاليا.

والدلائل لا يوجد منها الكثير بدءاً من قرار عدم

كان قد فقد أعصابه. التي عليه النحية بصوت هادئ باللفة الصربية الكرواتية (فقد علقت الطائرة الإيطالية بيلجراد لمدة عامين) ثم قلت له بالإيطالية أن هناك عملية سرية سيحدثه عنها في اليوم التالي سفير يوغوسلافيا. والذي كان يجهل أي شيء عن الموضوع. وذهبت إليه بنفس في اليوم التالي لأحمل له اعتماد حكومتى. كان الاتصال مع الخطوط الجوية اليوغوسلافية بيلجراد يتم عن طريق شبكة الفلسطينيين الذين كانوا يطلعوننى باستمرار على التطورات عن طريق الأهلاك مساعد نمر حماد. وعندما وصل مساعد النائب العام إوتو إلى مقر الإقلاع فيومتشينو كانت طائرة الخطوط الجوية اليوغوسلافية تشق طريقها نحو السماء.

علم كراكي بالنهاية التي آل إليها الأمر. ما حدث من فترة أحيار الساحة الثامنة مساء التي بدأت يشهد الصغير

وطوال يوم السبت ١٢ أكتوبر تم البحث في هذين المكانين عن أبو العباس الذي ظل طوال فترة توقيفنا بروما على متن الطائرة اليوناني ٧٧٧.

وعقب استماعه لى. سمح لى بالانصراف قائلًا لى أنه يتمنى التحميل بالوصول إلى قراير نهاية يوم السبت كان يلقاه الموقف في مصر غير الرسائل المتكررة التي كان يسلمها لنا السفير يحيى رفعت. وكذلك التواترات الدائرة داخل منظمة التحرير الفلسطينية وما يشهد على هذا كان نمر حماد. وفي الواقع قام كراكي بنفسه في صباح اليوم التالي باختصار الوقت. عندما أبلغته بخطة راب.

ثم تحدثت لقاء راب في الثانية عشرة ظهراً. وقام الأمين العام لوزارة الخارجية الإيطالية بإبلاغ السفير الأمريكي بنتيجة ما توصل إليه رجال القضاء والذين قدموا لكراكي بعد الحادية



التحقيق الذي أجرته محكمة جنود أظهر خطأ من كان يدعى أن اختطاف السفينة أكيلي لاو رو تم التخطيط له بموافقة عرفات



عشرة صباحاً بقليل تقريرهم المكتوب. وهم لم يجدوا أي معلومات تيسر التسليم. ولا أي شيء له قيمة كي يتم تقرير وضع أبو العباس تحت الإقامة الجبرية. فحرج استجواب الشخصنة الخطيرة، كضيف كان أمراً في يد الحكومة نظراً لاعتبارها سياسية وأخرى متعلقة بالثأر العام.

وحتى في فيومتشينو تسبب نقل الفلسطينيين الاثنى الذين تم مباشرة من مصر الهبوط في حدوث تأخير، بينما الركاب كان بعضهم مضطرباً والبعض وقام رئيس مباحث روما موناركا بإفغال غير عادية في تلك الظروف. فقد جعل العديد من أفراد الأمن يصعدون على متن الطائرة ويتحركون سرعاً بطريقة متزامنة. ومن جانيه جعلنى نائب مدير المطار يتحدث مع قائد طائرة الخطوط الجوية اليوغوسلافية الذي

الواقعة. تبدو لى تصرفات كراكي صريحة وتصف بالمساواة والاحترام والنية الحسنة.

ولم يكن كراكي التزم بأى شيء مع ريجان بشأن تسليم الأربعة فلسطينيين المتهمين باختطاف السفينة وإبراز كتاب أعمال عنف على ظهرها. فقد كان يعتبر الأمر ضاهاً يحكمه القانون المحلى حيث إن الجرائم تم ارتكابها على متن سفينة إيطالية. لذا كان يتعين إخضاعهم للقضاء الوطنى. وهو الرأى الذى أكد على حسنة أولاً رجال القضاء المجتمعون بمصر كبدجي ذلك الصباح. والذين لم يجدوا المعلومات الجبرية لطلب التسليم كإثبات. ثم أكدته فيما بعد محكمة استئناف جنوة.

إلا أن موقف أبو العباس والفلسطيني الآخر المسافر إلى جواره - والذي الضع بعدد أنه عز الدين بدرخان قائد التشكيلات العسكرية لجبهة التحرير الفلسطينية الذي كان أبو العباس أمينها العام - كان مختلفاً. ويحتسب كراكي لسيجونيل حتى حصل على المعلومات اللازمة كي تتخذ الحكومة قرارها كما وعد ريجان. وقبل أن أروي عليه، كنت قد سررت موجزاً للحديث الذي دار بيني وبين أبو العباس بعد ظهر تلك الجمعة ١١ أكتوبر على متن اليوناني ٧٧٧ على مساعد النائب العام يسراكوفا دولتشينو فافى. والذي قال لى أنه تم الكشف عن هوية الشبان الخاطفين. وأنه لم تتوفر معلومات للتحفظ على أبو العباس وبدرخان بسجونيل. وهكذا استطعت أن أطلب من الأدميرال مارينى الذى اصطحبني لسجونيل تنفيذ تعليمات رئيس الوزراء، والذي طلب عبر ريو جينرو نقل الطائرة المصرية وطاقمها لمطار تشامبينو.

ولم يكن هذا النقل يسيراً على الإطلاق. فقد قامت أول طائرة سي ١٣٠ بإغلاق ممر الطيران قبل أن تعترض طائرة ١٦ مسار الطيران ٧٧٧. وفي تشامبينو شعرنا بأننا مراقبون ومحاصرون. وعندئذ قررنا أن نتلاعب بهم

تظاهراً بتجهيز موكب لنقل الضيفين إلى المدينة. وجعلنا أبو العباس المزيج بهيتم من الطائرة محاطاً بحراسه من الكارabinieri (الأفراد الشرطة العسكرية) الذين يجهزون. وغادروا بأقصى سرعة من موكب السيارات الطويل. وتوقفنا لأكاديمية المصرية بروما حيث أزلنا أربعة أشخاص ومعههم معطاة. ثم توقفنا عند مقر إقامة المصري بيفيللا سافويو حيث نزل أشخاص آخرون لا تظهر وجوههم.

كتاب الزاوية



في الزواج

كتاب النصيحة

أى بنى، إذا تزوجت المرأة فأحسن رعاية حرمتها، وإن يكن شيء عزيز فليس هناك أعز من المرأة والولد، ولا تضمن بشيء على امرأتك وولدها، ولكن عن المرأة الصالحة والولد الطيب، وهذا أمر يهبط، كما قد ذكرت:

لم تربي الولد ولم تقشئ المرأة

إذا لم يكن لك من كليهما نفع

أما إذا تزوجت فلا تطلب مال المرأة، وانظر في أمرها ولا تكن في ريق جمال وجهها؛ فإنما تتخذ المشوقة بسبب جمال الوجه، أما المرأة فيجب أن تكون طاهرة متدينة وربة بيت، ومحبة لزوجها، وحبيبة وبقية، وقصيرة اللسان واليد، ومحافظة على المال. لتكون صالحة. فقد قيل: إن المرأة الصالحة هي التي تكون متديرة العواقب ومهما تكن المرأة عطوفة وحسنة الوجه ومقبولة، فلا تضع نفسك في يدها كلية، ولا تكن تحت سلطانها، فقد قيل للإسكندر:

لم لا تزوج ابنة دارا، وهي حسنة جداً؟ فقال: إنه لطيب أن تتقلب علينا امرأة وقد تفلتنا على أهل الدنيا. ولكن لا تتزوج امرأة أعلى منك مقاماً، ويجب أن تزوج العذراء، حتى لا يكون في قلبها حب شخص آخر غير حبك وتتخيل أن كل الرجال على نعت واحد، فلا يقع طمعها على رجل آخر. وفر من يد المرأة الطويلة اللسان، فقد قيل: يضر العريس سريماً إذا لم تكن المرأة أمينة. ولا ينبغي أن تستولى على مالك ولا تترك لك أن تكون مالكاً له، فتصير أنت المرأة وهي الرجل. وتزوج المرأة من العائلة الصالحة، فالمرأة يتزوجونها من أجل تدبير البيت لا من أجل التمتع، إذ يمكن شراء الجوارى بالسوق من أجل الشهوة، حيث لا إنفاق ولا كثير عناء، ويجب أن تكون الزوجة كاملة وبالغة وعاقلة.

محاولة هبوط البوينج ٧٧٧ في القاعدة الإنجليزية أكروكيرو جزيرتي قبرص، وهي التي كانت انصب من الساحية اللوجيستية عقب رفض اليونان. ولكن الأمر الأخطر كان تصرف ضابط البحرية الأمريكي الذي يعمل بقيادة حلف الناتو بسيجو ديلا، والذي انتزع الميكروفون من يد الضابط الإيطالي المناوب معطياً الموافقة على الهبوط. وفي الواقع، فقد تم هذا عندما كان كراكسي قد وافق بالفعل على الهبوط وهو الرأي الذي لم ينجح الأدميرال ماريتي في إبلاغه بسرعة لرئيس أركان الدفاع. إلا أن هذا يكسب الثقة بالأنفس الأمريكية التي نمت بها إدارة العملية برمتها. إذا كان ريجان حقا قد أعطى في مناسبتين موافقته من حيث المبدأ، يظل الواقع أنه لا هو ولا حتى مستشار الأمن باد مافكراني قد وجدوا وقتاً ينضموا بالواقعة بصورة مباشرة، وتم تكليف رجال الصف الثاني الذين كانوا يعملون تحت إدارة الأدميرال جورد بوندكستر، نواب ماك فارلاني بتنفيذ العملية بأكملها، متجاهلين تماماً واللهجة الحسنة، نحو بلد كانت ترسم له واشنطن بالكلمات صورة أحد أخلص حلفاء الولايات المتحدة. وأظهرت الحادثة للأسف كيف تعتبر الولايات المتحدة في قرارة نفسها الأكثر خضوعاً وأيضا الأقل استعداداً لإدارة مجادلة مع القيادة الأمريكية.

والبرهان الأكثر وضوحاً قدمه الجنرال ستينر الذي أنزل من طائرتي C١٣٠ بمبره هبوطهما التامتين جندياً من قوات الهجوم Delta Force، في حالة تأهب كامل للحرب، أمراً بإيهم محاصرة البوينج ٧٧٧. وقد كان ستينر يتصرف مقتنعاً بأنه لديه سلطة معاملة الضباط الإيطاليين كما لو كانوا مرؤوسين.

لكن الأمور لم تسر كما كان يخطط لها، فعلى الرغم من الفوضى التي نشأت عن الأوامر الأمريكية العديدة، كانت ردة فعل القائد الإيطالي للقاعدة العنيد أنيكياريكو لتقاضيته على ما قام به الأمريكيون من تجاوز السلطة، فأمر الشرطة العسكرية بالتدخل واستدعى على الفور قوات الكرابيبييري العاملة لتأني ومهما العرييات المصححة. وأعطى أمراً للجنرال ستينر الانسحاب في سبب قوله قبل استخدام القوة، وروى لي أنيكياريكو أن ستينر لم يستغرق أكثر من ٣ دقائق كي يقتنع بأنه سيتم إطلاق النار فعلاً. كما أرجعه البيت الأبيض عن المحس قدما في عرضه المخجل.

لو كان كراكسي استسلم للضغوط الأمريكية واضفوط خلفه بالبحكومة الإيطالية، كانت سياسة إيطالية وأوروبية

إزاء المتوسط والعالم العربي ستفقد مصداقيتها لصالح القوى الأصولية وبصفة خاصة جبهة الرفض الفلسطينية التي كانت تهدف لإضعاف عرفات والدول العربية المعتدلة. كان كراكسي مدركاً للمخاطر التي كان يمكن أن تحدث، فألوف مرة سقطت الحكومة الإيطالية بسبب مسألة متعلقة بالسياسة الخارجية، وبمجرد مرور عدة أشهر بعد الواقعة تعرض مطار روما كما أشرنا لحادثة إرهابية، لكن البرلمان جدد الثقة في الحكومة بقيادة كراكسي، وحتى الرئيس ريجان أرسل خطابه للمزعيم الإيطالي يؤكد له صداقته ورغبة الولايات المتحدة في ترسيخ علاقاتها مع إيطاليا.

فغير تصرفه الشجاع، أظهر كراكسي أن التزامات إيطاليا تجاه حلف الناتو وعلاقات الصداقة الوافية المتينة مع الولايات المتحدة يمكن أن تبقى جنباً إلى جنب مع استمرارية العلاقات المتميزة مع العالم العربي ومع اعتبارات العدالة الدولية.

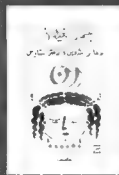
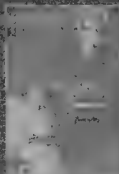
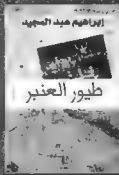
كان كراكسي يعطى أهمية كبيرة لاستقرار الشرق الأوسط ومنطقة المتوسط وكان يرى أن ذلك يستلزم أولاً وجود اتفاق قوي مع الدول العربية، وبالنسبة إليه كان أمراً أساسياً السعي بجديته نحو تنمية مشتركة في المنطقة تشجع تدرجياً التكامل الاقتصادي والتقارب بين مؤسسات المجتمع المدني.

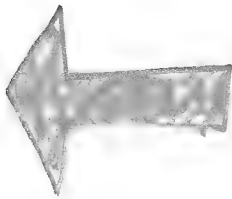
حتى أنه لم يكن هناك حديث آنذاك عن حوار الثقافات، كان كراكسي في الواقع يطبق مع العالم العربي المبادئ الأساسية لتلك الحوار: أي الكرامة المتساوية والاحترام المتبادل وعدم التفرقة، فلننسب إليه كان يتعين على كل الثقافات المشاركة في تكوين المعرفة العالمية والحصول على أنصبة متساوية منها. وكان يرى أن نهضة كبيرة في الثقافة الإنسانية والعلمية في أوروبا والعالم العربي كفيلة بجعل الظروف مواتية لتوازن أكثر استقراراً في منطقة الشرق الأوسط ولتقدم مخطوطة ومادى مشترك، ومن الصعب التشكيك في المآليات التي كانت مصدر إلهامها حيث إن تلك المآليات لازالت سارية حتى اليوم.

فمن وجهة نظره كان بالتأكيد الولاء لحلف الأطلسي وروابط الصداقة مع الولايات المتحدة أمراً أساسياً، لكنه استطاع أن يضع الحد الفاصل بينهما وبين المصالح الوطنية لإيطاليا، وهذه الصلة لا تتعلق فقط بحماية كرامة الدولة بل أيضاً سياساتها في منطقة البحر المتوسط عبر تضامنها مع الدول العربية من أجل احترام الشرعية الدولية. ■

أحدث إصدارات

دار الشروق





عرب

نايف حواتمة

■ بات من غير الممكن الحديث بدقة عن «اليسار العربي»، دون تناول تاريخه وتاريخ المجتمعات العربية تناولاً نقدياً. كما أن مصطلح اليسار هو تسميم يسمون بمؤرخينا الموضوعيين. أي دون تبيان الحركة ذاتها، والصراع الطبقي، والمصالح الخاصة، التي خلقت الظروف والعلاقات التي أتاحت المجال، لبعض من صنفوا في «خانة اليسار»، إلى التهاون والتعاون مع السياسة الأمريكية وعلى حساب أوطانهم وشعوبهم.

أولى المحدثات العامة لفهم اليسار الديمقراطي هو ارتباطه بجوهر مفهوم «العدالة الاجتماعية»، وتوزيع عائدات الدولة على أكبر قدر من الناس، فضلاً عن ارتباطه بمفهوم التقدم، حيث تتمثل رؤيته بالأهداف العامة التالية:

- ✦ تحقيق السيادة القومية والتحرر من التبعية.
- ✦ التنمية الإنسانية بكل أبعادها.
- ✦ الحلول الديمقراطية للمشكلات الإنسانية الخزمنة في أغلبية الأقطار العربية.
- ✦ التطور الصناعي والتكنولوجي العلمي.
- ✦ المساواة في المواطنة دون تمييز في الجنس والعرق والدين والمذهب.
- ✦ فتح نوافذ الحريات، وجميعها مهمات النهضة ربطاً بالجوهر «العدالة الاجتماعية».

في الحالة العربية يحيل البعض تبيد هذه الأهداف، إلى البنى المتخلفة بنيوياً وتاريخياً، التي ولدتها الإمبراطورية العثمانية، من تخلف اجتماعي وسياسي واقتصادي وأخلاقي ومعرفي، ويحيل آخرون الفضل إلى اغتصاب فلسطين، أو تجزئة الأمة بتقطيعها. ولنا في صد البحث في مصداقية هذه الخلاصات، لأن تصورنا هو مخالف تماماً لهذه الاستخلاصات وإن فعلت فعلها، وتفاعلت بمجمعتها مع أخرى بقدر ما هي، فالمسؤولية الأولى هي على النخب الحاكمة المتعاقبة منذ انهيار «دار الحكمة» وطفان النقل على العقل، زمن الخليفة المأمون عام ٨١٣ م حتى يومنا، باعتبارها فاطرة للحالة القائمة، ولأهم رهاً هو تجاوز العوامل البنيوية الضعيفة، انطلاقاً من الواقع الفعلي للعالم الراهن، انطلاقاً من اتساعه بالترابط المتنامي وإعادة النظر في سياسة ومنهج بناء الدولة الحديثة على آليات التقدم.

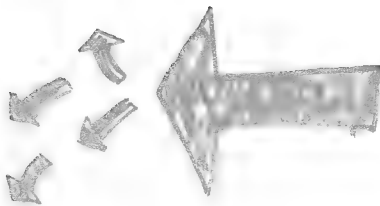
إن مشروع التنوير، تحول على يد الثقافة القدرية إلى محنة للتنوير، وتصل إلى الأفق التاريخي المسدود، أكابرو التناقل المرتبة على هذه الأزمة، التي تسمى بها الحداثة «مأدياً»، على الموروث القدرى وأقنيمه المستوحاة من القروسطية المتناقض والمتصادم مع عصر الأنوار وقيمه التحررية، ومواصلته التعبير الاجتماعي لمصالح الشرائح

الفقيرة في إطار الديمقراطية السياسية الليبرالية، وعلى الطرفين بيزر تحالف فقهيين، الشيولبرالية المتوحشة بإفرازاتها والثقافة القدرية «إن الله يرزق من يشاء»، وفل لن يصيبكم إلا ما كتب الله لكم، تميزها السفسطة الاستشراقية، والحالة العربية المزرية، والتي سبق واستخدمتها حروباً ضد قوى الحداثة والتغيرات القومية في المنطقة العربية، خاضتها تحت راية السلفية الإسلامية الإقصائية، ومعهما مختلف نظم الديكتاتوريات التوتوليتارية العربية. إن الدواء الناجع لقوى اليسار، لن يتمثل فقط في المشاركة السياسية على أصمتها، نظراً لاستفحال الداء، بل في إعادة بناء حركة شعبية تحررية تقدمية متطورة، بما يتطلب من جهود شاقة وضخمة، لأن السلفية الإسلامية السياسية ستصل في النهاية إلى الجدار المسدود، وإن كانت تستطيع الآن تحقيق أرقام هامة في أية انتخابات مجتمعية وشعبية، رغم فقدانها للبرامج حد الإفلاس. بما يفتح بتطور الحركة التقدمية الشعبية التي يتبنى على اليسار إعادة بنائها. كي لا يكون موقفه انتظاري، وبما يسمح بتجديد مصداقية الفكر اليساري، مقرباً أيضاً بالإفادة من تطور الحركة التقدمية الجديدة على المستوى العالمي، إن العمل التقدمي على الثقافة وإفرازاتها كحركة ميدانية تطمح إلى تحقيق سيادة الأوطان،

والقيم الجمهورية يتلازم لا ينقص ضرورة قصوى، وإذا كان لا بد للحركة النقابية والمعمالية في طلبتها من تنهض، فلن يكون ذلك إلا بوصف طلبتها في وجه الليبرالية المتوحشة، وتحقيق مستلزمات التنوير العربية، إشاعة الحريات، وفصل الدين عن الدولة وتحرير النساء، مع المهمة الأولى المتمثلة بالدفاع عن مصالح الكادحين العرب، وتحسين شروط معيشتهم، مقدمة لوعي قومي عربي شامل، إنساني المضمون يحترم حقوق مجموع مكونات المجتمع، ويرعى مصالحهم من الناحية المدنية وبأفق شامل، وعده يخرج رقية المجتمعات من أنشطة الأصوليات السياسية الفاسقة «الطهورية الإقصائية»، من هنا أهمية تقبير الثقافة والأفكار.



لقد خرجت تركيا من عباءة الرجل المريض، ولكننا ما زلنا ضحية لحظة سقوط عبايته عنا، الحالة العزرة بالمضى التاريخي والإستراتيجي، باستعادة الأجنحة حول «مسألة الشرقية»، وإسمال تلك العباة، دول ضعيفة لم تدخل إقطاع العصر، بل تشد على أوتارها قدرية العصبية على أنواعها القبلية الإثنية المذهبية والطائفية، تعقب عنها أولوياتها بعد أن أضاعت القرن العشرين، وقبله



السياسة

الدواء الناجع لقوى اليسار. لن يتمثل فقط في المشاركة السياسية على أهميتها، نظراً لاستفحال الداء. بل في إعادة بناء حركة شعبية تحريرية تقدمية متنورة، بما يتطلب من جهود شاقة وضخمة

وشهدا لبعض التيارات الماركسية. وبما يجب على تحولات العصر والنظام العالمي الجديد وبناقط الواحد. تحمل شالبيية تيارات الإسلام السياسي رؤية معلقة للعالم، تقوم على التكفير وتحريم ممارسات اجتماعية وثقافية مشروعة. وتدخل بصفاواها «الدنية» في ميدان الاقتصاد والعلوم والسياسة. وفي وسط شعوب عربية، تشير التقارير الدولية أن نسبة الأمية فيها بلغت ٤٠ بالمائة. مما يجعلها أداة للتقريب الاجتماعي غير الواعي. ومنه ويوسائل العنف. أما حركات المثقفين العرب لن يأت لها رفع خطاب تنويري لأن السلطة ذاتها تضطلع في وسطهم من لم يوالها، والأهم أنها تخاف من ذاتها أيضاً من هذا التنوير، لأنه لن يضع مصلحة النظام السياسي فوق أي اعتبار. وهي ذاتها أحد الأسباب الرئيسية لهذا الجؤس العام. وانطلاقاً من الطابع الاقتصادي والأهمية الإستراتيجية للمنطقة العربية. يتوافر أهم مصادر الطاقة في العالم. عصب الاقتصاد العالمي. وربطاً بالعولمة وتراكم القوى الجبرية لراس المال. المركز والأطراف فإن هذه المنطقة ستبقى تحت الموجات العاتية لها. وبأشكال متعددة. نظراً لحيارتها على الطاقة الإستراتيجية.

يقوم بعض البحاثة العرب، باقتفاء أثر اليسار

بإطال هذا التشخيص بعض الفيارات اليسارية. التي ما زالت ترد خطاهاها القديم. كما يطال التيارات القومية التي ما زالت تعيش في خطاب ستينيات القرن الماضي (شعارات بلا برامج للتقدم). وليس في القرن الحادي والعشرين. والصولة التي تتطلب إعادة صياغة المشروع. في ظل الظروف والتجليات الجديدة. ولعل هذه السمات هي التي أنهضت جماهير ونقابات وقواعد أحزاب. وشعوباً وكتلاً بشرية ومجتمعاً مدنياً في أمريكا اللاتينية. وأن تلزم التيار الثوري يبتنى برنامجها وأن يلحق بها ويتوحد معها. في إعادة صياغة مشاريع سياسية وإيديولوجية لليسار: تبرز هنا تجربة هوجو تشافيز في فنزويلا. ورافائيل كوربا في الكوادر. حين تلمست هاتان القيادتان وبإحساس عميق ومدرك لبرامج جماهيرها واستجبات لها، الشعوب ذاتها تخلت أيضاً عن الأحزاب التي لم تلحق بها وببرنامجها. وتتضوى مع من استجاب لها. كضرورة لا بد من تحقيقها. ذات هذه المجتمعات اللاتينية. هي التي اكتوت بالليبرالية المتوحشة منذ عقود السبعينيات. فصاغت نفسها المهاجرة بدائل للسياسات القديمة. مع حفاظها في الوقت نفسه على القيم الأساسية للمشروع. وأهمها التركيز على الحاجات الأساسية للمجتمعات. على الجماهير العريضة في مجال الحرية السياسية والعدالة الاجتماعية. معاً وسواها. ليس هذا فقط ذاتياً جريئاً وصلياً

الأخرة للحصول على السيادة الكاملة. حينها يريح الدنيا والأخرة. وأما الدنيا فهي مهاجمة التقدم المعرفي العلمي. التطور والحدائق السياسية والاجتماعية والواقعية. والعصرية والثقافة الإنسانية العالمة. وتسميم عقول أجيال متلاحقة من الشباب والأميين البسطاء. هي مجتمعات الهشيم لتتكون كالنار في الهشيم. والبيئة الخصبة هو العقر. ولأن من الصفائح والنهيمش ونمط الحياة السياسية في مجتمعاتها تعدم بلووها على الحركات الشعبية. والديمقراطية والتعددية السياسية والثقافية والدينية. وإذا ما حاولت الشعوب استيعاب المستجدات.

إن التأمّل العميق في الأحوال العربية المعاصرة. يعني مباشرة إدراك أزمة النخب والمجتمعات. قل الجماهير. مآلاً كليهما يقتدر إلى مؤشرات قياس التقدم وتجلياته في تحرير العقل لا تحريره بالنقل. وفتح المجال الديمقراطي. أما النتيجة فهي أنه لا يمكن إنتاج وإنجاز الإصلاح السياسي. دون أن يترافق معه إصلاح ثقافي فكري شامل. ولتختلف مع السائد الذي عجز عن إنجاز مراجعة نقدية وتشخيص للأزمة العربية في مواقفها صبر إستراتيجيات محددة للخروج منها.

فرون عبره ضاعمت حياة أجيال عربية مثالية. وضاعت مصالح كبرى وأساسية وأولويات تنموية من حياتها. دون أن تتعلم ماذا تريد؟ وكيف تريد؟ مجتمعات تغيب عنها الشفافية. وتغيب عنها حرية العقل. والحرية السياسية. التمسّال في هذا الجانب في المفاهيم والبررات المترسية التي تفترض بأن هزيمة المنظومة الاشتراكية. وسقوط الشائفة. والنصار القطب الواحد قد هزمت معها «اليسار الحرس». وهذا طبيعي في العلاقة التحالفية معه في مسكر حركة التحرر. والمشاركة في قتامة الصورة أن انتصار القطب الواحد الإمبريالي لم تنعكس على الأنظمة العربية التي تحالفت معه وصرحت المليارات في حروب أفغانستان. البوسنة. والهرسل. كوسوفو. حروب الخليج الثلاث. وغير مكان. لأن العلاقة «خاوة وتيمية». ولا يمكن لهذه الأنظمة المخلفة أن تحسب على انتصار المعسكر الإمبريالي.

على امتداد ستين عاماً من استخدام الإمبريالية للإسلام السياسي وأدلة الدين عقيداً. واستخدام جماعته في العنف السياسي كرميد احتياطي عندما يتطلب الأمر ذلك. والاضطهاد بحركة التحرر العربية وفيها. ساهمت في تعميق يؤس الثقافة واستحسان الموروث من قهر التاريخي المضاف على الصورة القائمة. ثقافة قديمة مؤدجلة يترك شؤون الدنيا التي لم يحز على فاتها المواطن وربع ذواب



وأجراء مقاربات، كيف حققت النهضة أهدافها بإبوابان المقدمة الحديثة وسيادة النظام الرأسمالي الياباني. وربما تكون المقاربة عامة، بيد أن الإقطاع الميجي، الياباني تولى بنفسه بناء الرأسمالية، لأن البوارج الرأسمالية الأمريكية أرادت فتح أسواقه بقوة السلاح لهذه التجارة، فاضطر إلى الانتفال حماية للذات، دولة إقطاعية تتولى ذاتها الانتقال إلى الرأسمالية. قام الحاكم الإقطاعي العسكري «الشوجون، بهذه المهمة، وهو الذي يحكم باسم الإمبراطور منذ أواخر القرن الثاني عشر وحتى ١٨٦٨ تاريخ الإصلاح الميجي، وتخلل هذه الفترة عشرات القصور منقطعة من الحكم الإمبراطوري الخاص.

ولا يعني هذا اختفاء الياكوزا (المافيا اليابانية) من سماع الإمبراطور، كما حدث عام ١٩٩٩ حين قام أحد أعضائها بطعن ناظر مدرسة ثانوية في أوزاكا رفض أن يرفع على سارية القدرسة علم الشمس المشرقة، كما لم يسمح بتزويد تشيد، بميشن الحكم الإمبراطوري إلى الأبد، وعلم الشمس المشرقة بما يرمز إلى تعمية النفوذ الياباني الكرة الأرضية بأكملها.

في السويد حصل الانتقال تدريجياً إلى الرأسمالية ويتسويات ويدون ثورات، العديد من البلدان خرجت من التثمين الستائني المسقط، ولسلة ستالين الخصاصة المصوغية المتسلسلة: المشاصة، الميودوية، الإقطاع: الرأسمالية؛ وأيضاً (شرقية نمط الإنتاج الآسوي)، الفاشترائية الماركسية والتاريخ قدمت تطوراً وثقافياً وهو عمل عالمي واحد، وإن الرأسمالية ظاهرة جديدة، وليست قديمة، فهل يمكن تعمية النمط العمودي الذي نشأ في اليونان أو روما على بلدان أخرى؛ بينما الإنتاج الرأسمالي نشأ في بريطانيا وليس في اليونان، والعديد من شعوب العالم الجديد الأصلية كانت مشاصة، إن الذي طرحه ماركس هو نظرية فلسفية مجردة نظام للظنرات وليس تحليلاً مفصلاً لكل وقائع والتطور التاريخي، وما نحتاج له هو مدخل نظرية ماركسية من الحال العربية. في العصر المصوفي الراهن، نرى أن العالم يعيش عصر التكتلات الإقليمية

الاقتصادية، بما سعى من تكامل وتقليص المجوة الفاصلة، والتجربة الأوروبية قد تبنو مفيدة للدول العربية، حيث تميز الأرقام من عام ١٩٨٦، ١٩٩٩، ارتفع معدل الناتج المحلي الإجمالي لأفقر أربع دول في الاتحاد من ٦٥ بالمائة إلى ٧٨ بالمائة، ويعود ذلك بفضل المساعدات المصخية والتجارة الحرة الداخلية (السوق الأوروبية المشتركة)، والاستثمارات من داخل الاتحاد، وكذلك السياسة الكيفية من قبل متلقى المساعدات، وتصبح التكنولوجيا وتبدو ماليزيا نموذجاً أكثر مناسبة للحالة العربية، في عملية المصاغية لسياساتها التنموية وبناء الدولة، وقد حققت تقدماً في لمسجها الاقتصادي. الاجتماعي القائم على التوازن للمعوس في الرخاء، ودعم الروابط العرقية على مدار الثلاثين عاماً الماضية، ولم دخولها على مسار سياسات تتناسب مع التعيرات العالمية، مثل العولة وتحرير التجارة والتقدم التكنولوجي في مجال العلوم والاتصالات، لأن الدول لا تستطيع مواجهة التحديات إن لم تستطع إحراز المزيد من تحرير العقل نحو المعرفة وعلم التقدم والرخاء. إن إستراتيجيتها تركز في تحقيق النمو المدعوم، لا سيما القدرة على المافسة، والتي تستخدم من خلال زيادة المعرفة ودعم القدرات التكنولوجية وإيجاد منتجات جديدة، والتأكيد على أهمية الاستثمارات المحلية والخارجية المدعومة. كما تضع في تحدياتها النمو الطويل الأجل على المستويين المحلي والعالمي، في سياق أوجه تطوير الرؤية الوطنية وأساسها اقتلاع جذور الفقر، بغض النظر عن الانتماء العرقي، وإعادة هيكلة المجتمع والتنمية المتوازنة وتطوير المعرفة، وبناء دعم وصمود الدولة من خلال توثيق الوحدة، وغرس الروح الوطنية، والتسامح، ودعم التضج السياسي ورفع مستوى المعيشة، وتطوير الاقتصاد الجديد القائم على المعرفة. وتكلمة فإن ماليزيا بتحرير العقل دخلت الثورة الصناعية والعلمية، وهي الوحيدة بين ٥٧ دولة مسلمة التي دخلت عصر الثورات الثلاث الصناعية، العلمية، الإصلاح الدنيي. بعد هذه المحطات الرؤيوية العامة ففهوم اليسار الديمقراطي المنشود، وفي

سياق بناء برنامجه ونظام نظراته، فكيف يمكن لما يسمى بـ «اليسار، أن يذهب إلى التهانن مع السياسة الأمريكية على حساب الوطن، واشتغلن هب من أحضرت معها أنظمة المذاهب والطوائف وسكتها في مساتيرها، الأمر البارز في تحافات الإسلام، السياسي واشتغلن على اختلاف مذاهبه على مساحة شتى عاماً من الحرب الباردة وحتى ٢٠٠١ بكارثة البرجين، كيف يمكن تجاهل دور الأنظمة الطبقية العربية التي تحالفت منذ مطلع سبعينيات القرن العشرين مع أحزاب ومنطري الإسلام السياسي ضد تحرير العقل، التحرر والتقدم إلى أمام، يساريين، قوميين، ناصريين، الأن ما زرع من «صنف وإرهاب، على يد حلفاء النصف الثالث من القرن العشرين، حيث لا يمكن للياسر الفعلي الانضمام إلى جوفقة مضطربة شعوبهم مع الاحتلال، وهم يوصلون هذا الاضطهاد إلى النقطة التي تبرسحفه واحتلاله، حيث تكون الانساقاة بعلمت حدها الأقصى، حين يعطون لأنفسهم حق المشاركة في الولايم وحفلات فئات نهب الوطن التي ينظمها الاحتلال، عبر دورهم في خدمات «القابلة، وعلى خرابل الوطن، الذي يتصاعد منه الدخان، يرفعون نخب صمعة الاحتلال. هل يمكن تسمية هذا الميبدأ بـ «اليسار، النسبة المصغرة والتحررة من مفاهيم اليسار، بالمزج غير المألوف والاعتباطي وبين ما هو سام وساقط، ومرعب ومضحك، يطولوي وتهريجى، إحدى سمات التراجيدية العربية، ولكن في أي مفصل ترتبط على المهرج النطق مقطوع من الدراما «الطويلية، فالأمر والقرار يرتبط على المهرج الأمريكي وحده، وهكذا لا يمكن حصر هذه الأفكار والمفاهيم في كل واحد.



المحدد الآخر وهو يشكل محوراً بذاته، حيث من غير الممكن الحديث بدقة عن اليسار، دون استعراض مجالات العلاقات الدولية، والرائن، والإفادة من تطوراتها بغض النظر عن الأصابع مع

ملاحظة إرصاصاته التي توشع مستقبلأ إلى التمدد القطبي، وعلى سبيل الأمثلة التاريخية؛ نسال، هل استفادت مصر من موقف واشنطن من العدوان الثلاثي عليها عام ١٩٥٦، وبعض النظر عن أسباب واشتغلن؟ أو هل رفضت «الجمهورية الأمريكية»، الولايات المتحدة راضاً ذاتها، الدعم الفرنسي لكفاحها من أجل التحرر من الطغيان الإنجليزي. أيضاً بغض النظر عن الأسباب، أو لماذا إنجلترا ذاتها قبل مؤلف فرنسا بمائتي عام حررت الجمهورية الهولندية من الظلم الإسباني، ١٩٠٠ وكيف ثأت الصين بنفسها عن الحرب اليابانية بعد اتفاقا ماو، نيكسون مطلع السبعينيات؟ وإثانون جاكسون فانيك ضد الاتحاد السوفيتي الذي أصعب الانشقاق المصيصي الأمريكي... الأمثلة كثيرة والمقصود الإفادة مما تشجحه مجالات وتطورات العلاقات الدولية.

في المحور الثاني الراهن؛ بات من غير الممكن الحديث بدقة عن اليسار الديمقراطي ودوره وهشوه، دون استعراض مجال العلاقات الدولية الراهن، ومن خلال دراسة منهجية لما بالترابك المتنامي بين الدول، والذي يتسم نظام دولي معكوكو عالمي، يمكن ملاحظة تقاصيله تحت عنوان بارز عريض اسمه «العولة»، ويتراقف معها الانفجار في الحركات والجماعات والشبكات والمنظمات التي تتداخل في حوار عالمي عام غير محلي، وهذه النظر في سياسة ونهج بناء الدولة التي تستطيع مواجهة طغيان موجات المركز المعول، ثقافات وممارسات إمبريالية الولايات المتحدة، القراءة البديلة التي تبين أن الامور جديدة التسقيف، نظراً لأن الولايات المتحدة نفسها غدت مركزاً إمبريالياً على نطاق لم يشهده العالم من قبل. أحد أبرز أهداف هذه النظرية هو عملية الكشف عن الجانب المظوري الذي يخف في مواجهة مصومها العلاقات الدولية العربية، وإضاحها للدول واجتياحها للحدود، وفري الآن بروز هذه الصمة الثورية في بلدان أمريكا اللاتينية في شكلها المتجدد، وسببها الأساسي تأثير مركز العولة وعلاقاتها الدولية على الشعوب والدول. الأمر

مشروع التنوير. تحول على يد الثقافة القدرية إلى محنة للتنوير. والمطلوب تدارك الحالة العربية قبل أن تصل إلى الأفق التاريخي المسدود



تحمل غالبية تيارات الإسلام السياسي رؤية مغلقة للعالم



المواة بين الجنسين، وتكافؤ الفرص. وحق التصويت والتصنيف. وبإبوابنا هي الدولة التي تعتمد على الواقعية الطبيعية التي تقوم على مصالح الدولة ذاتها. وتوفير البدائل لتجديدها وتطوير وضع شعبها. وإيجاد الحلول لفقرتها. وسيطرتها على موضوع البطالة والأمية. ولا يوجد بها مهمشون ومستبعدون. واستخدام النظام القانوني لتحقيق الرفاهية. فالأمر الحبيب هو إشراك الناس في حل قضاياهم العنوان الأبرز لبليساير الديمقراطية.

ويمكن أيضاً: مراقبة الدور الخارجي والذي يصره الفاعلون (الاحتلال) في موضوع الدولة العاطلة. وفي هذا السياق يمكن فحص الدولة العراقية التي بناها الحاكم المدني الأمريكي بريمر وبإبوابنا الطوائف. وتزايد المخاطر التي تفجر النزاعات الداخلية. والتي تجد تعبيرها في قوانين بريمر: المشهور بالحيل العسكرية. والتي قد منها إعادة بناء الدولة وقد فاقمت فقدان الأمن والأمان. والغزو الشديد والإضرار المتعمد الذي يمكن القضاء آثره في القوانين المذكورة. والتي يمكن تسميتها بحسب بلاسفا: التدمير والفضول الخلاقية. أي سياسات التدمير الذاتي للمراق. وإدخاله في محنة داخلية. فصلا عن محنة الاحتلال الذي يروم تشييد أهدافه بممارسة الضغوط على الجماعات التابعة. التي تفر بفضله لوصولها إلى السلطة. القوانين ذاتها وصمة جازمة لفشل الدولة. حيث يسعى الاحتلال والبناء الفوقي التابع إلى حل الأزمة باستخدام القوة وحدها. متجاهلاً الإجراءات الاجتماعية الضرورية والإصلاح الفصالي. وتحفيز الاقتصاد نحو الإنفاق الاجتماعي. واستعادة أمان المواطنين. بلئد عن موارده. وقلة نادرة من تعرف كيف تصرف هذه الموارد وإين تذهب: أي غياب معايير ذات مصداقية لحقوق الإنسان والشعب. وأهداف واضحة وأساليب محددة لرسالة الدولة الجديدة. وهذا المجرى يقود إلى حلقات متناهية من إراقة الدماء. يستقطب فيها العراقيون إلى مسكرات

الحداثة لم يمنع الحاجة إلى السرد التفصيلي فحسب. بل جعل من كتمانها مسألة معقدة. بعد إضافه الصلة التي تربط البحث بين الإنسان والاقتصاد السياسي. ربطاً بالفهم التقليدي لـ الدولة الحديثة. ذلك الكيان المسيطر والمتصلب والحرك الحقيقي. الذي يعكس التفاعل بين السياسة والاقتصاد والايدولوجيا.

المحور الثالث هو ميراث الاستعمار وآثاره المدمرة. دون إغفال فضل العديد من النخب التي قادت مجتمعاتها للاستقلال. حيث تنتشر في العديد منها المجاعات والأمراض والحروب الداخلية. والحروب على حدودها. وتشتت مجتمعاتها المحلية. وتصادم التوتر الإثنوي. الديني المذهبي أو العنصري. ولا يمكن أن يعزى كل ذلك إلى الجبراث الاستعماري. فهذه أزمات تاريخية مزمنة. رغم أنه قد تم وضع رد لحالات الفقرة في بعض البلدان. ويظهر ذلك بقوة في كتابات النقد المعاصرين. ففي أفريقيا على سبيل المثال قد انتزعت الأراضي من السكان المحليين في القرن التاسع عشر. حين كان الاستعمار الأوروبي هو الغالب. مرجحات ضعوفاته. وبعض الأنظمة المحلية التي حلقت هي فاشلة



إن مجموع هذه العوامل هي التي تخلق هوية اليسار الديمقراطي لهذا البلد أو ذاك. وهي وحدها ودون تسليح جيش حديث. بما يعني من مؤازرات باهظة. تستطيع أن تحمي ذاتها شعبها من الهيمنة العسكرية والاقتصادية الساحقة. بل تستطيع أن تفعل في إصلاح النظام العالمي في القرن الحادي والعشرين. لأنها تتعامل بذات الكفاءة المطلوبة مع قضايا العولمة الأخرى. التي تتراوح بين الصحة والبيئة والتمانة. ظلام أن العالم لا يستطيع الحصول على نظام تجاري عالمي دون وجود سياسة اقتصادية عالمية. وسياسة عالمية للرعاية الصحية. وسياسة تعليم عالمية وسياسة أمنية عالمية.

كما أنها الدولة التي تستطيع أن تقدم تحيراً هائلاً في دور المرأة. في

استقطاب الغرب. وأخيراً. ظهور مناح فكري عام. محافظ. اكتسب التجارب الاجتماعية الأخرى. والمطلوب تميزه كمنهج عالمي. أما الفرصة المؤقتة فقد كانت انتهاء الحرب الباردة فرصة غلابة اليمين المحافظ الذي يرى بضرورة وتجند انبعاث ثقافة إمبريالية. أما بشأن السياسة الخارجية فقد رأوا ضرورة الممارسات الحربية المتطرفة والفضول البناءة.

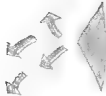
كما نفترض مراجعة المحاولات السابقة لصياغة القوميات والدول. خاصة في فترة الخمسينيات والستينيات في القرن الماضي. فقد جاءت في إطار حقبة تصفية الاستعمار. وفي سياق حقبة ثورية عالمية ازدهرت فيها التوجهات الماركسية نحو بناء تاريخ جديد للعالم. ومع ملاحظة استخدامنا الحذر. والتوقف لصلصط مرحلة ما بعد الاستعمار. فقد ظهرت تنويعات نافذة تبين مدى العلاقات الإمبريالية القومونية التي وإن كانت لا تزال فاعلة. لكنها حتى الآن نابضة بالتحليل الحي عن التنظيم الرأسمالي. وتبين أن النظام الدولي المعاصر لفقمة متعددة القومية هو ما ينتج دولاً وعقوبة نابغة لحكم عالمي شامل. يتشكل من الروابط بين قوى الشركات المتعددة الهياكل والتسويل الدولي. وجوهر الهياكل التنظيمية الرسمية هو البنك الدولي. وعلى رأسها صندوق النقد الدولي. وفي قمة الهرم الهيكلي ذا الطابع المحدد إمبريالية اليوم المرتبطة بمؤسسات متعددة القومية. والوقى فوق القومية. ويتنوع لتخصيص ذلك في قصة واحدة متحدة جيوبوليتيك العالم. فهذه الإمبريالية ذات طبيعة ديناميكية متغيرة ومتعددة الأشكال. ورغم أنها نظام واحد في متعددة الأركان وقومية. وعليه فلا يمكن أن تكون مستقرة. ويقع هنا أيضاً اهتمام الدراسات التاريخية الراهنة والموجهة إلى دراسة الصلات العالمية في الوقت الحاضر. وهي تتيح دراسة منهجية ليس لبحث الصلات بحسب. بل في إجراء مقارنات بين المجتمعات والدول وتطورها في أنحاء العالم.

وبالإدراك أن هذا المجال يواجه صعوبات جمة. بسبب من تعدد المنهجيات الفكرية. فحصر ما بعد

الذي دفع مصطلح «المجتمع المدني» إلى أعلى حركات الاحتجاج. بدءاً من رفضه الحروب باصتبارها مناقضة للعلاقات الدولية. وتبرز هنا الدولة التي تحرص على شئيل شعبها. ومهما «المجتمع المدني» العالي. على خشبة مسرح التاريخ الراهن.

وعلى ذات النسق يبدو أيضاً أن التاريخ الراهن بات ملاماً لتوجيه قدر كبير من الاهتمام للدراسات التاريخية السياسية. الاقتصادية لدراسة الصلات العالمية. وإجراء مقارنات مماثلة حول مصير الدول. بما تفترضه عودة الإمبراطورية الأمريكية. البريطانية. إلى العراق وأفغانستان وليبيريا ومنطقة البلقان. وبالتحالف مع ما تمسبه واشنطن الإسلام السياسي «المعتدل» دولاً وأحزاباً. أي الإدراك التام للطريقة التي تقع فيها الأحداث الكبرى في سياق هذا العالم. وجانب من ممارسات الإمبريالية الفاعلة المعاصرة يظهر جلياً في بعض الأحداث الدولية التي وقعت في الثمانينيات والتسعينيات ومطلع لقرننا الجديد. حرب الخليج الثانية. وتدخل الولايات المتحدة في جرينادا وبينما والصومال وهاييتي ونيكاراجوا الساندينيستية. وحرب الفولاندا النافستورية. وأياً كانت جوانب التقيد المتعددة لهذه العمليات. فإن هذه التدخلات الفربية الجديدة ينظر إليها من زاوية واحدة. هي من عدم التماثل في المستوى التكنولوجي للحرس التي تكفا إحداهما في وجه الأخرى. أما التدخلات ذاتها فهي تشبه تلك الحروب الاستعمارية الكلاسيكية في القرن التاسع عشر. ولدى البحث والتحقيق بالفكر. فإن الحالة تدخل في مرحلة تجديد الأيديولوجيا الاستعمارية. ومن ثم ظهور خطاب إمبريالي غربي صريح على يد غلاة اليمين من المحافظين الجدد قدم هنا الخطاب ثلاثة أسباب كل منها يعزى الآخر. يدعى الأول. فشل ما أطلق عليه تسمية العالم الثالث. بسبب الأزمات التي تتعرض لها هذه الدول. خاصة تلك الدول التي ترتبط أوثق ارتباطاً بالتركة الاستعمارية بعد أن تخلصت من الاستعمار. والثاني تدفقات أسواق الأسلحة نتاج حقبة الحرب الباردة. هذه الحروب التي انتهت «بانتصار مركز





متميزة. الأمر الذي من شأنه أن يقود إلى حرب أهلية في حال تمتمعه وعدم تداركه.

رؤى يسارية عربية

تمر البشرية بمرحلة انتقال جديدة وربما طويلة الأمد بفعل التناقض الجديد بين «المليار الذهبي، ومليارات الأطراف حيث يشملهم في الفقر والتهميش في قارات العالم الثالث والجنوب خمسة مليارات من البشر. قوة اليسار وفعاليته المستقبلية هي في قدرة الأمم على صياغة مستقبلها، أي توفير سياسات بديلة، كلما يحدث في أمريكا اللاتينية في مواجهة التفكيت والهيمنة الإمبريالية، في مواجهة محاولات خلقها لشاكل خطيرة في نظريتها، حول الفوضى البناء، تتحلل باليهودية والإثنية والتعصب الديني، حين تستخدمها لتحقيق أهدافها، فما يواجهها هو الديمقراطية ودولة القانون والإنسان الواحد أي الشعب الواحد، وكل هذا رهن بمدى العدوان وأولويات شروعه. وهي دروس من الماضي نحو قطاعات الغد، فالشعوب الموحدة تستطيع الصمود والانتصار والعودة إلى منهج التناوب الإنسانية، وهي يسارية بالتاكيد تدفع نحو التجديد الإنساني منذ بدء الخليقة حتى يومنا هذا.

وطالما أن الفقر من الصعب تجنبه في إطار النظام الرأسمالي، فإن الشبكة الاجتماعية الوحيدة التي تتجنب التباين الاجتماعي، لا تخفي وقم آثاره فقط، هي مفاهيم العدالة الاجتماعية. فالانتماء العالي هو بين أفراد النخبة، وبينهم نخبة ضئيلة تابعة من العالم الثالث والجنوب، والذي عصمت صورته كمهاجر باحث عن لجوء في غضم البحار، أو إرهابي، أو أصولي، بينما هو ضحية سوء التمية والنهب الوحشي، ضحية غياب المساواة في المصلحة داخل الشعب الواحد، غياب العدالة والديمقراطية بين الشعوب والدول، حين تدعى العولة الرأسمالية والسوق الحرة إزالة الحواجز، لكنها إزالة الحواجز أمام رأس المال لا الأفاق المدعى موصوماً.

كما أن المكاسب التي حققتها دول الرفاهية بعد الحرب العالمية الثانية تتراجع خطوة خطوة، وهذا هو طموح الليبراليين الجدد، بأن يعودوا بالعالم إلى عاقلات القرن التاسع عشر بين المركز والأطراف، بين الشمال والجنوب، وهو ما رفض في سيئات في أمريكا وبيروت والفيرو في البرازيل وديران في جنوب أفريقيا وجنوه في إيطاليا، وكل هذا في مواجهة قمع العولة على يد الدول الرأسمالية الصناعية السبعة الكبرى، وطالما أن الفاليرية في العالم هم مجرد مشاهدين مقهورين، يحدث ما نعيشه الآن، ثورات، مظاهرات مليونية، وحكومات لا تشع بالأمان، نتيجة اجتراح حروب وإرهاب، أي عدم استقرار اجتماعي، أي كما كان يمكن لماركس أن يقول، إنه لتناقض (تأخرى) لا إنساني داخل النظام الرأسمالي.

وهذه هي الإمكانيات الكامنة في التاريخ، في العودة إلى النزعة الديمقراطية التقدمية، فهي وثيقة الصلة بالنزعة الاشتراكية، وفي إطارها الحفاظ على استقلال وتطور الشعوب، وحقوق الإنسان والسلم والبيئة، وهي أقنصيم مترابطة، معها مجموع الجماعات الديمقراطية التقدمية الجديدة، فتمطحت حركتهم الاجتماعية، هو ثقل تطورات اليسار التاريخية، بمثله العليا، ديمقراطية الاشتراكية، واشتراكية الديمقراطية.

أيضا، هي الصورة الجمعية، القوة الفاعلة، التي يستمد تنظيمها علليا، والتي من شأنها أن تقدم أسسا جديدة، لتوليد مظاهر التضامن على صعيد اليسار الديمقراطي كما على صعيد شعوب العالم، فضلا عن التضامن الاجتماعي داخل الدول في مواجهة تفكيكها.



شمة نقاط كثيرة للتشابهك السياسي، لكن أسبابا عديدة للتفاوت منها: إن البشرية واقعا وفكرا على اعتبار تحول جذري جديد في ارتباطات واقعية، تستكمل به إطارها الفكري الذي تعمل على هديه. فالأزمة العالمية وضعت اليسار على طريق تحول جذري، أي نحو

مخاض جديد أشبه بمراكز التنبؤ بوقوع الزلازل، وهو وجه لواقع نسبي في الزمان والمكان، وتبسيق الخلاصة التاريخية الكامنة في أن الاشتراكية قد عرست جدورا، قيما وأفكارا، وأنها تجسد آمالي ومعالى في وجدان الناس، ولهذا عليهم ابتكارها من جديد كضرورة للتمسك بالديمقراطية داخل الشعب الواحد، وبين الأمم والدول في الإطار الكوني الكبير.

في البداية، على المرء من أهل الرأي أن يعلن موقفه بلا تردد، من أجل إحياء إحساس بالممكن، في سياق التحولات. هناك أحزاب فقدت إيمانها بالاشتراكية بعد سقوط الاشتراكية البيروقراطية السوفيتية، بيد أن الحركات العمالية في العالم قد ظهرت قبل الاشتراكية السوفيتية بزمن طويل، وانفصل المرء عن تراثه شكل من أشكال الاستسلام، يقود إلى التكييف، وهو الطبيعة التي تزعم الليبرالية الجديدة تبليغها للبشر.

على صعيد هذه النخب والأحزاب التي تغيرت، نقول لنا التجربة والخبرة (قيادات أحزاب استبدلت مواقفهم ولم تبق عقولها على أفكارها) إن من الخطأ ربط كونك مثقفاً بكونك يسارياً، فكونك مثقفاً ليس ضماناً حركة الديمقراطية الإنسانية، وعلى سبيل المثال فإن العمال والشرائح الكادحة التي انضوت تحت لواء تنظيم نقابي اجتماعي، هم عضوي يمتلكون تجربة أكبر بكثير من المثقفين، فضلا عن أن قوتهم مستخدمة. ونؤكد نظرتنا هذه واتى تعبيراها واشتغل حديثها الخلية، ففوض حركات اليسار الأخذ ببق تاريخ جديد، في البرازيل في دول، وفنزويلا هوجو تشافيز، وبوليفيا ايفو موزاليس، الكواريو، فيكراجور، من جديد، والأرجنتين واحتمال تشيلي وأوروغواي، وجوارهم صمود كوبا الحاضرة تاريخيا.

وهذا كله، يشير إلى أن محاربة طغيان وهيمنة الخطاب الليبرالي الجديد قد أزلت، ليس من موقع نظري، بل من موقع معنوي تقدي معمم بالتجربة على نطاق الشعوب، وأنه في نطلق الممكن إذا ما توافرت القعاكية والإرادة.

الهدف بالتسمية لكل القوى الديمقراطية والتقدمية على امتداد القارات الخمس هو الوصول إلى الجمهور، وجدار الصمت هو جدار مادي استنادا لرأس المال، ويذات الوقت التفتار هو الأداة التهميش التي تحتاج وتحاصر بأطروحاتها حياة البشر شعوبا وطبقات اجتماعية وعلاقات بين الأمم والدول باستمرار، الخروج على هذا الحصار «الإجماع، بالغ الصعوبة، ولكنه ممكن في مواجهة الخطاب المهيمن، وهذا يتم حين لا يشارك أصحاب الرأي والتقرير في هذه القفلة، حين يقيمون نوعا بديلا في مواجهة معتقدات خرافية تنشئها مؤسسات ضخمة بربوس أموالها، أي في مواجهة التهميشات التي يجب أن تطلع «ملاماتها، لماذا؟ فالبسبب لأننا نتوجه إلى الناس الذين هم موضع أحداث التاريخ من الضحايا والمستجدين، ليس السياسي وحده في هذا الميدان، بل هناك أيضا مجموعات من منتسبي الخطاب من مثقريين وكتاب وفنانين وباحثين، عليهم أن يكونوا أيضا قادرين مجددا على الاستيلاء على وسائل إنتاجهم.

لقد استخدمت هذا المصطلح الماركسي، الكلاسيكي الطراز بشكل متعمد، لأن المفارقة اليوم هي أن الكتاب والمثقريين الجدد، مبدعون كليا عن وسائل الإنتاج والإرسال، فلم تعد لهم سيطرة عليها، فما يجري هو خصخصة تسديم الثقافة المستندة على المعرفة الاقتصادية، أي القدرة على التحصيل والحوار النقدي، ورفض كل تلك التوافه أو تميز. لماذا؟ لأن الغلبة الاقتصادية هي مرادفة لتلقي الفكر اليساري، وهي الواقع مدخل أساسي للثقافة الإبداعية، وكل ما يبتغي منها من ثقافة إنسانية، حية، ثقافة متفاعلة مع نفسها.

أما خصخصة الثقافة، فهي تستلزم إحتاحتها عمليا إلى الفعل الخارجى فهو المهيمن والواقى، وإلى القوى السياسية المختلفة داخليا باسم الأمانة (أحكام قبضة الموروث الثقافي السيكولوجي القدرى على المجتمع وخاصة الطبقات الشعبية، فيجبري تخفيض قيمة المذاكرة التاريخية الحية للتسمية والتحول بعيدا عن التاريخ، مثلا لو حاولنا أن نقول ما نقوله على قناة ذات

كتاب الزاوية

في الحذر من العدو

كتاب النصيحة

اجتهد يا بني ألا تعادي. فإن يكن هنالك عدو فلا تخف. ولا تكن حرج القلب فكل من ليس له عدو يكون أمانة العدو. ولكن لا تكن غافلاً عن عمله في الخفاء والعلن. ولا تتعاس عن إسماته. واشتغل دائماً بتدبير المكر به والإساءة إليه. ولا تأمن بأي حال من حيثته ومكره. واستطلع حال العدو ورأيه. ونبه إليه سمعك وعقلك. لتكون قد سددت عليك باب الأفة والبلاء. ولا تظهر العداوة للعدو ما لم يبين وجه الأمر تماماً. وأظهر نفسك للعدو كثيراً. والتزم الغيرة والحمية مهما تكن عاجزاً. ولا تظهر نفسك من العاجزين. ولا تعتمد على كلام العدو الطيب وصنيعه الجميل. ولا تثق بالعدو ولا تنزل البئر برسمته. وإذا لقيت السكر من العدو فعدو سماً. وأخش العدو القوي دائماً. فقد قيل: يجب الحذر من شخصين: أحدهما العدو القوي والآخر الصديق الفداح. ولا تحقر في الظاهر العدو الحفيظ. ولا تقل من يكون هو. وعاد العدو الضعيف كما تعادي العدو القوي.

حكاية

سمعت أنه كان بخراسان عيار اسمه مهذب. وكان محتشماً ورجلاً طيباً ومعروفاً. وذات يوم كان يسير في الطريق، فوملت رجله قشرة شام فزلقت قدمه ووقع. فسل الدية وطعن بها قشرة الشمام. فقال له خدامه: أيها الرئيس أنت رجل محتشم وعيار ألا يخطئك أن تطعن قشرة الشمام بالسكين، فأجاب مهذب: إن قشرة الشمام أوقعتني فهي عدو ولا يجوز احتقار العدو. وإن يكن حقيراً. فكل من يحقر العدو سرعان ما يصير حقيراً.

فكن دائماً في تدبير هلاك العدو. من قبل أن يجتهد في هلاكك. أما الشخص الذي تعاديه فلا تحقره إذا حقرته. وحذار من أن تظهر عدوك عاجزاً. فلا يكون لك هخر كثير.

مرجل. اللامساواة في المواطنة، وطوفان الفقر والبطالة والجوع في صفوف أكثر من خمسة مليارات من البشر، بينما يفرح في الثراء الفاحش «المليار الذهبي الوحيد» في بلدان المركز الرأسمالي العالي المتطور بالمعرفة العلمية وتكنولوجيا المعلوماتية. في سياق عالمي وعربي والذات ينبغي العودة للمضطهدين، فالعولة الراضنة هي تلك التي تجلب الثروات لقلعة. وتتسبب في صدمات جديده مع رأس المال العائلي الاحتكاري، فضلاً عن ضغوطها على البيئة وتخريبها المتوحش للطبيعة، فالجارة الحرة بالأسلوب الذي صممته ودعمته منظمة التجارة العالمية. قد استبعد العديد من الأمم والشعوب، ليس فقط طبقات معينة. بل حولها إلى مجرد مذهب ومتفرج على نهج ثرواته، ونمو «الثروة العالمية» كيف يمكن لهذا التناحر أن يستقر.

لقد قام تقرير الأمم المتحدة للتنمية البشرية (٢٠٠١) بتلخيص الوضع في فترة دقيقة، إن أعظم مزايا العولة أنها تدخر لقلعة محظوظة. ويفترض أن الموجة المرتفعة من الثروة ستدفع كافة القوارب، لكن البعض قادر على الإبحار في هذا الخضم أكثر من الآخرين، وترتفع الفيضات والبطاخر العابرة للمحيطات، استجابة للفرص الجديدة، بينما تجرف المياه الأطواف وقوارب التجديف، وتغرق القوارب الأخرى. وعلى ضوء ذلك حذر رئيس برنامج التنمية للأمم المتحدة في تقريره من الانتقال إلى عدم المساواة إلى الانسانيته.

ثمة اختلالات عميقة داخل الأمم الكبرى ذاتها، نمو مزيد من الوحشية وعدم المساواة للإنساني، فعائلات الغمة في الولايات المتحدة الأمريكية تبلغ ٦١ من السكان، فضلاً ما يقارب ٤٠٪ من الثروة القومية، يتراكم مع تزايد ونمو في نسب البطالة، ونمو هائل بعمق ثلاث نضالات المسجون، بعد أن تم استبدال قوى الإنتاج في عصر ما بعد التصنيع من بلدان ما وراء البحار. كما أنه قدر تحديب شعوب باكملها في أنحاء العالم الثالث والجنوبي فضلاً عن معاقبتهم بالفقر، فهم أيضاً معاقبون بتأمل مباحث إعلام العولة الثلاثين أمام أعينهم. ■

جمهور واسع لتقوطيناً هوراً، أي عودة للخضوع للرقابة. لأن الذي يمسك بالمرسة المالية من الجريدة إلى الشريط التلفزيوني والسينمائي إلى الفضائية، يغير الموضوع في اللحظة التي يصبح فيها أي شيء مهماً. وعندما تبرز القضايا الرئيسية، والتاريخ والواقع يرد القانون العلمي، ومن يملك يحكم.

وينبغي أن تبرز هنا تجربة الكاتب الجماهيري، خاصة أولئك الذين يملكون وقتاً للتفكير الإيجابية، ومن ثم وضع المهارات في متناول الآخرين، وهو أمر خصب في التعبير في مواجهة الجنون المنذبح باستتبعاد وراية المظلومين المحرومين، الطبقات الشعبية الضعيفة، بسبب من تدوير رأس المال الطليق حول كوكب الأرض، ومن ثم تواجبه في منطقتنا، والتعبير هنا شكل من أشكال المقاومة المهمة. ومهما تنوحت الوان الإبداع.

الفاقد في السياسة، عليك أن تكرر أفكاراً تعرف أنها مصححة ومجربة، إلى أن تسمع صدى صوتك، أي نتاجه على الناس، وهنا من المهم أن تبحث عن كل وسائل التعبير الممكنة، لإيصال رسالة إلى جمهور واسع، للكفاح ضد أشكال الظلمية الجديدة.



أخيراً: لقد رأينا الماساوي في البدايات الصطورية والدموية للقرن الحادي والعشرين، ثم مظاهر المسخط والاعتراضات الشعبية الجماهيرية في جنوة، ضد اجتماع زعامات أمم العالم الأكثر قوة، لمناقشة مصير العالم. ثم العنف الاستثنائي للبرالية الجديدة المستسلمة للاقتصاد الكلاسيكي، مداً بتقصيب يوغسلافيا بالتقصيف الجوي المتواصل، وتلا ذلك سلسلة من الأحداث الدموية. بدأت بكارثة هجمات الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) في نيويورك وواشنطن، والحرب على أفغانستان، وإطلاق معوية شارون ضد شعب تحت الاحتلال في فلسطين، وصولاً إلى احتلال العراق. ناهيك عن نزاعات وصراعات عرقية ودينية تتفجر في العديد من جنات هذا العالم تحت

احتضار فكر أم أمة؟

نذير جزماتي



■ لم أستطع إلا أن أجاب عن المقال المهم للأستاذ جهاد فاضل بعنوان «احتضار الفكر العربي»، المنشور في العدد ١٠١ من مجلّتكم الفراء، وجهات نظر، الصادر في نيسان/ أبريل هذا العام، وإن كنت قد اختلفت معه قليلاً في الأسباب التي أدت إلى النتائج التي استخلصها.

ومن أحدث الأدلة، وهو أقدمها في الوقت نفسه، على صحة ما ورد في مقال الأستاذ جهاد فاضل مقال الأستاذ فؤاد خليل في لبنان بعنوان «العروبة.. الراسمال الباقي»، في ثلاثة السام، نشر الأول في جريدة «الشرق» في ٢٦/٦/٢٠٠٨، ونشر القسمان التاليان في الجريدة نفسها في اليومين التاليين، والبحث بمجموعه صورة عما يسمى الفكر القومي العربي الذي لا يتضمن إنتماً ورد غير امجادنا السابقة التي لم يسبقنا إليها أحد، وخصوصاً في مجال البطولات «العنصرية»، ومستقبلنا الذي لا يمكن أن يتحقق بغير الوحدة العربية الشاملة، ويضيف القوميون العرب إلى ما ورد وتحشير كل ما عدا ذلك، أي الماضي الأسطوري، فنحن «خبرامة» أخرجت للناس، والمستقبل الخيالي، لأمة عربية خالدة، لا تلتقي مع العلم إلا من حيث الترجمة غير الدقيقة لفهوم (الأمة/ الدولة)، وما عدا ذلك لا علاقة له لا بالعلم ولا بالتاريخ، بل يشكل من أشكال شعر المديح في أيام الجاهلية.

ولا يمكن أن ينمذ حتى في الخيال مثل هذا البرنامج، برناج الماضي الأسطوري، والمستقبل الذي لا يستند إلى غير التمثيلات في عالم الخيال، غير العسكر الذين بدأوا مسيرة لا تقل طويلاوية من أواخر الأبرعيتيات في القرن المائت، لم تنته، ولا يعلم غير الله حجم الخسارات على كل الجبهات وكل المستويات التي حصنها الأمة العربية الخالدة. ومع ذلك، فإن التهديد بانقلاب عسكري جديد لا زال قائماً.

وإدنا عدنا إلى ما يمكن تسميته

التعليم الابتدائية أي الصفوف الخمسة الأولى من التعليم. ولم تكن الأحوال التعليمية في باقي أحياء دمشق أفضل بكثير. وبالنسبة، فإن الأمية في بلدنا العربية ومن ضمنها سورية، بعد أن تراجعت نسبها في خمسينيات وستينيات القرن العشرين، عادت فارتفعت نسبتها من ٣٠ - ٣٥٪ إلى ٤٥ - ٥٠٪ وأكثر في صفوف النساء. أما الأمية المتقدمة بالافق قناع وقناع فقد انتقلت من صفوف الحازنين على التعليم الابتدائي والإعدادي، أولئك الذين فكوا ارتباطهم بالورق والقلم منذ سن مبكرة، لكي تشمل الخريجين من الجامعات الذين لم يكن الدافع عندهم للتعليم العالي غير الحاجة للحصول على وظيفة، وما أن تحقق لهم ذلك، حتى فكوا ارتباطهم هم أيضاً بالكتاب. وزاد الطين بلة، تراجع المؤسسات التعليمية من المدرسة الابتدائية إلى الجامعة، ووسس الأوضاع المعيشية لجماهير المعلمين والعلماء، وعلى سبيل المثال فإن أحراب ترك التعليم واشتمل في حرفة من الحرف يتجاوز راتبه أستاذ في الجامعة يصوت جوعاً، إن لم يلجأ للفش والارتزاق وفق أساليب لا تعد ولا تحصى.

ومن جهة أخرى، فإن الأشخاص الواردة أسماؤهم في المقال المذكور لم يكن بإمكانهم أن يقفوا في قفزة واحدة من قهر البئر الذي أضرت إليه إلى سطحها... ولنسأل كم من قاهر أجنيب قفر والكسرت رقبته قبل أن ينجح هو أو ينجح غيره في فرض احترام أفكاره أو رأيه؟ وصحيح أنه لم تكن هناك وجودية عربية، وإنما كان هناك انبهار بصيغة ثقافية أو بهيصة ثقافية في باريس ولسنا بعض أصدائها مشاركتا فيها متحفظين لا نملك سوى إعجاب ساذج بسيرة «الينا أكثر ما يحسن، ولا يحسن أبداً»، ولكن مثل ذلك حدث مع الاستقرويين في بدء نهضتهم التي تمثلت في ألف وسيلة ووسيلة للقضاء على النظام الإقطاعي الذي لعب الدور المنوط به في مرحلة

هو الرغبة في قطع المراحل بقوة الإرادة وحسب، مع أن ما يتصل بالفكر بحاجة، بعد عملية نضوج فوق نار هادئة إلى الانتقال الهادئ والمتواضع إلى عملية اختصار، تلحقها، في أغلب الأحوال، عملية الإبداع والاختراع إذا توفرت الظروف اللازمة لذلك. وأما إن لم أكبر الشيوعيين السوريين من حيث العمر، فعلى الأقل واحد من القلائل ممن تجاوزوا السبعين وأكثر قليلاً. وأذكر أن عدد الذين كانوا يقرؤون ويكتبون في حينها، في دمشق، لم يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة. ولم يكن أكثر من واحد أو اثنين قد حملوا أكثر من شهادة

التقصير العربي العام إزاء النظرية الماركسية، اللينينية استيعاباً، ومن ثم إضافة، إن كان في تبين مغولة أو مقولات معينة، أو تلافي نقص في جانب من الجوانب، أو نقد ما هي بحاجة إليه انطلاقاً من رأي ماركس وانجلز المذكورين في مقدمة بيان الحزب الشيوعي، من أنهما لا حظاً بعد خمس وعشرين سنة أو نحوها أن بعض الموضوعات قد شاخت، وسيقومون بالتجديد الضروري إذا ما أتبع لهما الوقت في المستقبل. انطلاقاً من هذه النقطة فإن عوائق كثيرة وكبيرة وقفت وتقف في وجه المثقفين العرب وغير العرب في المنطقة. وأكبر هذه العوائق

كتاب الزاوية



في التجارة

كتاب النصيحة

أى بنى، ولو أن التجارة ليست بحرفة يمكن أن يقال لها صناعة مطلقاً إلا أنه إذا نظرت إلى الحقيقة فإن رسومها مثل رسوم المحترفين، ويقول الأذكياء إن أصل التجارة مبنى على الجهل، وفروعا على العقل، كما قالوا (لولا الجهال لهلك الرجال)، معنى لو لم يكن الجهال لفسدت الدنيا، والمقصود من هذا الكلام أن التجار، طمعاً في زيادة المال، يحملون الأشياء من الشرق إلى الغرب، ويخاطرون بأرواحهم في الجبال والبحار ولا يخشون اللص والصعلوك، ولا يخافون الحيوان المفترس للناس، ولا الطريق غير المأمون، ويوصلون لأهل المغرب نعمة المشرق، ولأهل المشرق نعمة المغرب، ليكون بهم تدبير عمران الدنيا، وهذا لا يكون بغير التجارة، ويقوم بمثل هذه الأعمال الخطيرة من تكون عين عقله منمضة.

والتجارة نوعان، وكلاهما مخاطرة: أحدهما المعاملة والآخر المسافرة، وتكون المعاملة للمقيمين، إذ يشترن المتاع الكاسد طمعاً في الزيادة، وهذا مخاطرة بالمال، ويلزم لذلك رجل جرى وبعيد النظر يخوله قلبه أن يشتري شيئاً كاسداً طمعاً في الزيادة، وقد ذكرت ما هي المسافرة، وعلى كلا الوجهين يجب أن يكون التاجر جريئاً غير وجل على المال والنفس، وينبغي أن يكون أميناً، ولا يرغب في إضرار الناس من أجل نفعه، ولا يطلب نكاية الخلق طمعاً في ربحه، ويعامل من هم دونه، فإذا تعامل مع أكبر منه فليعامل مع شخص ذي أمانة وديانة ومروعة، ويعتز من المخادعين.

إن عوائق كثيرة وكبيرة وقففت وتقف في وجهه المنقطفين العرب وغير العرب في المنطقة

تاريخية محددة، ثم تحول إلى عائق للشعوب الأوروبية، يمتنها من التقدم إلى الأماس.. وما أن سقطت سلالح الإقطاع التي لم تزل قائمة في بلادنا، في هذا البلد الأوروبي أو ذلك بقوة الثورات الديمقراطية البرجوازية، حتى قامت الثورة الصناعية، التي أطلقت العنان للتقدم الأوروبي في كل مجال من المجالات، وأدى ذلك إلى إحداث فجوة هائلة ما بين الأوروبيين المخترعين والمكتشفين... إلخ، وبين باقي بلدان العالم التي تغطي شعوبها الضجوة بالتقليد الخادع إن كان في لباسهم أو في بناء مساكنهم، وتناول طعامهم وشرابهم... إلخ، ويصبح بالتالي ما كتبه هشام جعيت من أنه لا وجود لمثلث عربي باستثناء قلة قليلة جداً، ولا يمكن أن يوجد فكر في بلدان متخلفة اقتصادياً وفي ظل أوضاع سياسية كالقومية والعروية... ومن ناحية أخرى، لا ننسى غياب الحريات فكيف يمكن أن يشيع فكر معين في مجتمعات تسيطر الحكومات فيها على وسائل الإعلام بغبابة شديدة؟ فالمناع هو، التصفيق الحاد، أو العلاء المسبق أو المطلق.

والواقع أن شيئاً أكبر من عدم الجدية والصرامة والثبات يهيم في أفق جامعاتنا كما في منابرنا الثقافية، وقد تجلى هذا الشيء ما تجلى في اغتيال رجال العلم من أساتذة الجامعات وغيرهم في العراق، وبالتالي فإن أعداء ثلاثة انتصروا أمام متطلبات الأستاذ جهاد فاضل في بحتة القيم جداً، يتمثل العدو الأول، بحكام الغرب في أوروبا وأمريكا الشمالية الذين يوظفون كل انتمهم العلمية المتقدمة جداً من أجل قطع طريق التقدم على الشعوب في العالم الثالث بألف وسيلة ووسيلة، وكان من أخطر هذه الوسائل، إقامة دولة إسرائيل الصهيونية التي نجحت نجاحاً كبيراً في تنفيذ مهامها القدرة التي حدثتها لها الإمبريالية العالمية وعلى رأسها الإمبريالية الأمريكية.

وهذا العدو هو الذي يجعل التواصل

بيننا وبين العالم الخارجى صعباً، بل متعذراً مع الوقت، لا يسبب الناس السبلاء الذين يتلهمون على معرفة الغرب، وأكثر من ذلك يضحون بالعالم والنفس من أجل الوصول إلى شواطئ تلك الجبلان التي، فشت وتقف، القشدة من فوق الحليب الذي تحليه بلدانهم.

ويتمثل العدو الثاني بمعظم الحكام العرب الذين لا يقل خطرتهم كثيراً عن العدو بعد أن انتقلوا إلى صفه كأجراء يتبعون أساليب في منتهى المكر والخبث في خدمته، منها إطلاق الشعارات التي يزيادون فيها على الوطنيين الحقيقيين، ويقدم البعض من اليااسيين خدمات مماثلة من دون أجر، ويطلقون على انفسهم تسميات مثل: الليبراليين الجدد.

أما العدو الثالث فيتتمثل بالجهل والأمية اللذين يرسخهما العدوان الأول والثاني بأساليب تتراوح ما بين الإغراء والإرهاب.

وقد سمح هؤلاء الأعداء الثلاثة لكي يتولى المسؤولية في القطع الحكومي العام أباطرة حقيقيون لا يزحزحهم من عروشهم شيء غير انقلاب عسكري، يحل محلهم أباطرة جديدة، أما أصحاب القطاع الخاص في مجال الطباعة والنشر والتوزيع خصوصاً، فحدث ولا حرج ويسبب ذلك ما تصل ليد الأستاذ جهاد فاضل محاولات متواضعة مثل:

١ - هل سقطت النظرية الماركسية اللينينية في الامتحان العملي؟
٢ - هل كانت ثورة أكتوبر ثورة اشتراكية؟
٣ - مساهمة في دراسة العوامل التي أدت إلى إلحاق الهزيمة بـ"المعسكر الاشتراكي"، واختفاء دولة الاتحاد السوفيتي.

ملاحظة: ما دهغنى أيضاً للكتابة إليكم هو عدم وصول عند شهر كانون الثاني/ يناير من هذا العام إلى بائع الصحف في حينا، وانتظرت كل هذه المدة على أمل أن يؤمن لي البائع العد المذكور، إلا أنه لم ينجح. ■

حسان الزين

السبب، التي تحدد بموجبها نفوذ السلطان (في الساحل) ونفوذ الإمام (في الداخل).

وبعد وفاة الإمام محمد بن عبد الله الخليفي عام ١٩٤٥ عادت الصراعات القبلية من جديد مما اضطر السلطان سعيد بن تيمور للتدخل عسكرياً لترسيخ الوحدة الوطنية وتوحيد البلاد، وعرفت تلك الفترة (١٩٥٧، ١٩٥٩) بأحداث الجبل الأخضر.

كانت تلك هي المخاللات الأولى، التي تكونت على قاعدتين، الصراع على عمان، والصراع في عمان.

فمن جهة برزت إلى السيطرة قوى استعمارية من سبق لأي قرن في التاريخ الحديث أن شهد مثلها، ومن جهة ثانية برزت أعراس تشير إلى صراعات داخلية قبلية كانت مكتومة، إضافة إلى أعراس الأمرات الناشئة عن المديونية الكبيرة وتدابيرها الاجتماعية.

تعاظمت أيام الفقر والبؤس، وفي بيتها راحت تتجلى متجاوزة ومتداخلة صراعات متعددة الوجوه، وكانت أشبه ما تكون بذلك الإيقاع الاستثنائي، في عملية التمازج، والمشاعر المتشجرة، والقبائل المتصارعة فيما بينها من أجل الحكم، والأناثيات المتصادمة تصادماً عنيفاً.

في أوقات كهذه، كان الزمن في عمان قد كف أن يكون سهراً أو ملاملاً لأحلام وريدة، في «هالة الجلال»، ما إن تنهال المطرقة على صياح كبير، حتى يملع صدى فذاظ وثلاث مرات متتالية، من مدفع يترصد بالبنات، وهو فابع متعالم في قلعة الهنائي.

إنه «الدوم» أو القصة الحزينة التي كانت تروى مرة بعد أخرى ويسائر اللهجات العمانية كلها: لقد أثبت الخوف أنه ليل يستحيل أن يقاوم إلا بضوء فانوس، وهذا الأخير كان أن يكون على الدوام هوية، مملوءة أمام الشرطة بالضل، ولهذا لم تبرز الشهادة على السطح إلا حين يفقد، الشرطي رفاقته على الناس.

وهي رقابة اكتسبت الية وسلطة، مدججة بكل أنواع الأسلحة العنصرية والمادية التي تمتلكها قوة عظمى استعمارية.

وبالعودة إلى الجبل، وبعد أن تكون الأبواب قد أغلقت، وقرض من التجول بسبب الأوضاع المتوترة، فإن نصيب من لا يحمل تصريحاً وقنديلاً، هو العيش في قلوب الظلام.

مع قوة الظروف المعيشية لم يكن

ومن يومها مستورا الأسماء البوسعيدية الحكم في عمان.

وفي عهده سيقم السيد سعيد بن سلطان بن أحمد بن سعيد إمبراطورية وصل اتساعها إلى شرق أفريقيا وجنود الباكستان. هذا بالرغم من محاولات بريطانية وفرنسية لزعة بلاد، تمهيدا للسيطرة على جزء منها، وبالرغم من ظهور أحصاء جدد تمثلوا حينها في آل سعود والقواسم، جنباً إلى جنب مع «ثورات داخلية ضد حكمه».

الآن، وبعد وفاة السلطان سعيد ستمتد يد الاستعمار لتقطع جسم الإمبراطورية العمانية إلى قسمين. * سلطنة سقط وعمان في الطرف الأسيوي.

* سلطنة زنجبار في شرق أفريقيا. وكان على رأس كل سلطنة سلطان من البوسعديين.

في بداية العقد الثاني من القرن العشرين (١٩١٢) ستعود الإمامة مجدداً إلى الظهور، لقد تم انتخاب الإمام سالم بن راشد الخروصي إماماً لعمان، إلا أن التركيبة القبلية للسلطنة جعلتها في تلك الفترة عرضة للصراعات التي

بدا البرتغاليون شروتهم للسواحل العمانية في بداية القرن السادس عشر. وفي منتصف القرن السابع عشر تمكن الإمام سلطان بن سيف البيرسي من

لقد اعتقد الغرب الصناعي أن القرن العشرين لا بد أن يسير باتجاه واضح نحو الطاقة.. ويسبب من الأوضاع المزرية للأمان القومي، فإن «البيع السوداء» تلك لن تستطيع الدفاع عن نفسها!

شرفت الأبواب في أكثر من مرة للتدخل الأجنبي. وسوف تدخل بريطانيا في الشرق، المتصدعات الناشئة عن هذا الصراع، خدمة لمصالحها من جهة، وتركيز الاعتماد على قوتها من جهة ثانية. هذا ما كان في العام ١٩١٩ عندما وجه

القتل البريطاني في مسقط تهديده للإمام بوجود خمسة آلاف جندي مغربيين وسعيهم في العراق، وأن بضعة الآلاف منهم تكفي لاحتلال عمان كلها، وبأنه سيتمنع عنه المواد الغذائية، ويبيع المنتجات... وهذا أيضاً ما حصل في العام ١٩٢٠ من خلال توقيع «اتفاقية

السلاح وقتاً للتجول بين جبال ظفار، كما لو أنه يلعب دور دليل لسياحة الكوراث.

لقد كانت الصحافة تستقبل من عدن إلى حواف سهول صلالة استقبالا حماسياً (١).

وكان أي صحفي يريد تعطيه «حرب المعصبات» (٢) يعرف أي باب يلق: عدن. وكان بهذا يعرف عن نوعيته كضيف مناصر.

و.. ومن أجل فهم صنف هذه العبرة الإعلامية وهشاشتها يجب مغادرة مواقع الميدان. إلى عمق النسيج الاجتماعي لقضال ظفار المتناحرة وإلى مقدمات حيثيات الصراع بين أبنائها بما في ذلك تأثيرات العواصف الإقليمية والدولية فيها.

فيها. * المواقع المعنية بالواد الأولية * المواقع المأهولة بالسكان.

على هذه القاعدة قسمت الأراضي تقسماً سياسياً وعسكرياً واقتصادياً إلى مبيعات محدث، وبطريقة لكل منها وكيفية استثمارها ووضعها في خدمة المصالح الاستعمارية.

لم تعد المردودية إذن مجهولة على الأرض.

وانشئت الحرب العمالية الثانية لتعطي الفاضلين، أو المتضررين، دورهم في «اللعبة للمحمية، للتقدم على حساب الآخرين..» ذلك من الطبيعي ألا تجري الموافقة على ذلك في قصر الأمم المتحدة الزجاجي، «... ولكن عبر تمعق صراع العسكرات في قلب القارات، حيث سيكون بإمكان أن تربي عودة السيطرة على «مناطق مستعمية».

في هذا الإطار لن تكون عمان بمنأى عن لعبة الأراضي المستهدفة من القوى الاستعمارية، إضافة إلى الدور الذي لعبته دول الجوار في موضوع البيرسي على سبيل المثال.

وهكذا تلاذبت عماناً تقريباً، وجنوب عمان سيهدد ثورة، وحرب أهوار، كانت طويلة وأدوية تقديها حالة الانقسام والتناحور البدوي الذي حصل بعد الحرب العمالية الثانية تلاوب فيها السلاح، والسلاح المضاد، في ظلام مخيف. ويمكن القول إنه لم يسبق في سنوات الستينيات، أن أمضى هذا طردهم لتعيش عمان في عهده دولة الجارية، التي وفرت قدراً من القوة والاستقرار لا يستهان بهما، ولكن في فترة أخرى، ويسبب خلافات وصراعات محلية، قام الفرس باستغلال الموقف للسيطرة على السواحل الممتدة إليهم من عمان، غير أن فكرة الغزو الفرنسي، هي نصها ستعيد اللحمة بين العمانيين، وسيؤيد الإمام أحمد بن سعيد البوسعدي حرب الواجهة مع الغزاة، لا على مساحة عمان فقط، وإنما على مساحة الخليج العربي أيضاً، وصولاً إلى «قك الحصار الذي فرضوه على البصرة عام ١٩٥٦».

في سنة ١٩٢٠ كانت الأطالس الجغرافية لاتزال تحتفظ ببقع سوداء للإشارة إلى المناطق غير المكتشفة بشكل كاف أو غير المعروفة بتألاً... لقد اعتقد الغرب الصناعي أن القرن العشرين لا بد أن يسير باتجاه واضح نحو الطاقة.

ويستب من الأوضاع المزرية للأمان القومي، فإن «البيع السوداء» تلك لن تستطيع الدفاع عن نفسها

وهكذا، شيئاً فشيئاً بدأ انكشاف «أراضي الداخل، أمام الأطماع.

وهكذا سنبدا الدول الصناعية متفعلين الأرض، وبطريقة التي يتم فيها تقطيع مفاصل أعضاء الثور.

لقد جرى تصنيف هذا «الجسم الكبير الحي»، هذه المساحات من الأراضي إلى نوعين من المواقع:

* المواقع المعنية بالواد الأولية * المواقع المأهولة بالسكان.

على هذه القاعدة قسمت الأراضي تقسماً سياسياً وعسكرياً واقتصادياً إلى مبيعات محدث، وبطريقة لكل منها وكيفية استثمارها ووضعها في خدمة المصالح الاستعمارية.

لم تعد المردودية إذن مجهولة على الأرض.

وانشئت الحرب العمالية الثانية لتعطي الفاضلين، أو المتضررين، دورهم في «اللعبة للمحمية، للتقدم على حساب الآخرين..» ذلك من الطبيعي ألا تجري الموافقة على ذلك في قصر الأمم المتحدة الزجاجي، «... ولكن عبر تمعق صراع العسكرات في قلب القارات، حيث سيكون بإمكان أن تربي عودة السيطرة على «مناطق مستعمية».

في هذا الإطار لن تكون عمان بمنأى عن لعبة الأراضي المستهدفة من القوى الاستعمارية، إضافة إلى الدور الذي لعبته دول الجوار في موضوع البيرسي على سبيل المثال.

وهكذا تلاذبت عماناً تقريباً، وجنوب عمان سيهدد ثورة، وحرب أهوار، كانت طويلة وأدوية تقديها حالة الانقسام والتناحور البدوي الذي حصل بعد الحرب العمالية الثانية تلاوب فيها السلاح، والسلاح المضاد، في ظلام مخيف. ويمكن القول إنه لم يسبق في سنوات الستينيات، أن أمضى هذا

ميلاد المائة العمانية حسان محمد الرين بيروت: دار الناشر العربي

المقالة

المخزون، الذي انتجته تراكيم الإمارات وقصر يد السلطة عن حلها واستمجال الصقوط الإقليمية والدولية على البلاد في تلك الحقبة

إلى الأرخيل، الآخر الذي انتجته تلك السنوات، هو أرخبيل (تجمعات الهنود) ، يسان عادة إلى هذه الظاهرة بكثرة العمالة الوافدة، وحشد التجار الهنود الذين وفدوا إلى هذه المنطقة في فترات سابقة والشاؤوا كياناً تجارياً وسوقاً تجارية في مسقط. إن ،تصميم، مدينة مسقط إنما جاء من هذا الجزء مالدات، وسواء أطلقت تسمية مدينة مطرح أو حي الهنود أو التخم، فإن وجه المدينة الفعلي هو الذي سيؤمّن بانتظام، ولهذه الظاهرة أسباب متنوعة

سي عمالية شبر مكتمة . سياسة زراعية وتجارية مأسوية، التحطاط لدى الجغرافى.. والتأثير الجاذب الخاص بالهجرة والتخلص بالهروب..

ومن هنا تسامت تلك الظاهرة في الأصل كرد فعل موافق، وهذا ما زاد من دورها، لتسبب ومن جاذبيتها بالنسبة للسلطان سعيد، إنها نوع من توارث العمل..

ولكن هذا التوارث اهتمل ،عاملاً جوهرياً يعطيلها فرادها، حيث إنها كانت تجمعا للمشهد الخارج، شكل أشكال الازدهار التجاري، إنما يراها المواطن كما لو أنها ،شروء، يتدفد بتأملها . فوج من العيش في شقوق غش لا يستفيد منه، باختصار كان مشهداً جميع تشكيكة لا تتحد بالعمالة فقط، وإنما بحالة الصراع الوطنية التي سعلت فيها المدينة حالة عمل متشتر في مجمع خاص ،ندماء حطية.. وهذا الامر لا يتعلق بنتاج وإنما باستهلاك، كسك الأرباح وليس بإنفاقها (لا ما كان ضرورة للحياة وهذا لم يكن شأناً عمالياً فقط، إنما كانت سمة لكل الأسواق الناشئة في تلك الحقبة، خاصة في منطقة الخليج وعلى امتداد العالم العربي بأسره.

وعند هذه النقطة من الموازنة، لا تظهر مسقط عُمان إلا كبلد تحده هيرات ناهية هي غير وطنية حتى ولا تقدم نفسها كنمو يقدم نفسه لمن يريد أن ينمو

وخلف تنوع هذا المشهد يصمم الجنوب ليضيف فضلاً آخر من فصول المأسى الكبرى التي عاشتها خلال عهد السلطان سعيد الذي كان يدبر شئون الدولة من قصر الحصن

كان ،قصر الحصن، في صلالة عاصمة محافظة

الاعتراف به داخل هذه الجمعة، إلا بصفتها أساساً من كل شيء. وسيجري الإبقاء عليه هنا في وضع غير قانوني. أو في نوع من ،الفخ السياسي، إذ لم يعد ابن في قريته أو مدينته، أو قبيلته، ولكنه أيضاً إلى ينتمي إلى مكان ثابت، لأنه بات ،حالة على حدة، حالة تقتصر حمايتها على ممارسة توبد كرهه الواقع المعاش .. إن آلة الحرب، المصداة مهؤلاء ستميش في جانب منها على هذا

التصاعد، والذي سوف تبتني عنه بيئة موافية لأن يكون ،القتال خيراً من البطالة، وكان قد انطبق على مجموعات من الرجال والشباب، لا على أفراد.

وكان هذا ،الوضع المادى، الخاص بالهاربين من قتال الأرملة لا يقدم مكان استقبال نهائياً لهم، بل من الآن فصاعداً، سيقدم له مكاناً لتجمع ثالث وهو مكان ،اقتلاع أقصى، للجنود. إنه ،الدرجة العشر، من التماثل حيث لن يجري

السفر إلى الخارج متاحاً إلا إلى الهند أو باكستان، ومن يسافر فقد يستقر في الخارج ولا يفكر بالعودة مرة أخرى. وبالطبع لم يكن هذا الإجراء متاحاً إلا للرجال فقط، ولذا نشأ عن ذلك خلل بنيوى في هيكل السكان، إن ما كان ينتاهي صده عند تخوم تلك الأمكنة هو العمل الذي كان يهيب مردوده للبيت الذي هجره صاحبه.. ولكن أين هو هذا العمل؟

بالطبع لم يكن العماني ليحده بسهولة، خصوصاً أن الهند أو الباكستان تماثل فيها الجؤس أيضاً منذ قرون فإذا به ،عملية الإنفاذ الأسرى، هي عبارة عن جهد مبدول، من أجل الإمساك بأطفال تسلقوا إحدى التلال، ويسمى الأب على إنزالهم إلى ثلة أخرى لا تفل وحشة وعدا وبردًا.. وهكذا كان على البعض من العمانيين أن يعيش بين مقتلعين مثله، في أرخبيلات الفقر والتلاجل ومدن الصفيح.

لم يكن خارج هذا المشهد إلا النخبة وأصحاب الكفادات وربما أصحاب رؤوس أموال.. وسيشكل هذا بدوره تصدعاً وزيفاً في الهيكل الاقتصادي والعلمي، والثقافي، فضلاً عن مفاصله الخالقة في الهيكل الديموغرافي.

والمشهد هنا لن ينتهي عند هذا الحد.

في خانة المقتلعين، ونتيجة للأوضاع المصيرية بالبلاد وقلة الموارد، ومن أجل البحث عن موارد للفرز، تشرج حركة النزوح الكثيف نحو مدن لا عودة منها، حيث الفازح الذي اجتاز ريفه إلى مدنه، يبدأ الشعور بأنه انتقل من مكانه المكش، ليصبح ،أجنبياً، في وطنه المبريل. إن المواطن النازح من ريفه ليلتقى المدينة في صريه، أصبح تساناً مثل ،اللاجئ، الذي يلتقى الحنود. وجميعهم يأتوا يفكرون، بأن الجؤس بات خالداً مدى الدهر!!



ولكن من جهة أخرى، وفي الثلاثين سنة الأخيرة من حكم السلطان سعيد تراكيم ثروات طويلة من ،الحراك... من الهروب. كان هذا في الداخل الذي سويج الصراع المتماهى الذي يزيد حدة عجز السلطة عن إيجاد الحلول للأزمات المتعاقبة، القبلية والاقتصادية والاجتماعية.

هذا الصراع الذي لن يكف عن

مطار التي أبت رغم كل شيء أن تعادر التاريخ
السلطان سعيد بدوره لم يفادها لمدة 14 عاماً حتى تاريخ خروجه من السلطة.
لقد عاش السلطان في هذا القصر وقتاً طويلاً، يحكم ويدير البلاد، ويوقع المعاهدات

عندما كانت عمان، وهم، وثلاث، إيماناً كانت تفعل ذلك أمام المحيط الأكثر همهمة منها: في لحظات حوارها وفي مقاربتهم للتاريخ الذي خبا وجهه، كان المشهد يزداد عمقا

كانت، موضوعات، كثيرة في هذا الحوار جارية بالإفصاح، ولكن غالباً ما كان الصمم هو، والبقاء، الوحيد الذي بقيت عليه الإهمال، ولذلك بقيت المدينة أعرق أنماؤه للمحيط، وهي ترقب لحظة الفسق، إن الفسق الخريفي، رغم تروده الضباب، حيث تندرج الشمس من يد عربة منتهية أمام الجبال المتهمة أوحى للأطامير بحرق هائل... وفي تلك الأيام من ستينيات القرن العشرين، كانت الثورة في طليعة هذا التسبب لفسق سيطر أمد غوصه وراء الأفق.

بعيداً جداً عن الأفق، فإن ضوء القناديل المتناثرة خلف النوافذ، لا تلبث أن تظهر مثل دواس محترق، يحاول أن يلتصق بساعاته القصوى، مارقه العميق، يظلم نادياً، ولن يفدو موجود إلا في سياق ذلك الاستعراض الشهدي، للظلام الدامس.

لقد مضت تلك الأيام التي كان فيها السلطان سعيد بن تيمور يقوم فيها برحلات طويلة في عمق عمان ويرفقه عدد من الوجوه، وذلك في إطار حرصه ومساءه من أجل توحيد مناطق البلاد المحتلة ومنها (زوى) التي كانت تشهد توترات قبيلية، كما أدت الرحلة إلى تأمين سلامة العاملين في حقول النفط في فهد.

وفي مقابلة بين زمين، رسم الإقامة في خيمة، وزمن، الإقامة في قصر محاط مطبوعة تم احتيازها أمنياً نظراً للثغرات التي عاشتها البلاد، تظهر كآبة الظروف الأمسي، الذي جعل السلطان بعيداً بعض الشيء عن شبيهه، بعيداً عن مصباح وقوم باطلانه وعن دار تحرسه، ولا تنظم إلا في الساعات الأولى من الصباح.

إنها خضرفة أن يكون السلطان هو ذاته!

سلطان يعبر الدويان والجبال ويمر على قبائل طاهرة مثل قبيلة الصار، ويعبر جدران الحراسيم، الواقعة ما بين الجبال الساحلية والزبعر الخالي وإلى غيرها من الأماكن السالية، من غير توقف

إلا في أوقات الصلاة، ودون حساب للأسيال، والإرهاق والعرق، والأيام المتواصلة، على قدر ما كان يريد الاتصال مع الناس.. وسلطان لا يعبر حتى المسافة الواقعة بين القصرين، الحصن في صلالة والجلالي في مسقط، الأمر الذي فرضته عليه الظروف الأمنية والسياسية لتلك المرحلة.

غير أن هذا هو ما حدث، الأذان وحدها بدأت تتمتع بالعلاقة الصامتة مع الناس!!



ولهذا فإن فترة حكم السلطان سعيد بن تيمور (1432 - 1490) التي بدأت لتفانيتها وانتهت بالمرحلة القاتلة تشكل أحد الأزمنة الأكثر يأساً والأشد كآبة في تاريخ الدولة الموسمية، وذلك لما شهده عمان في تلك الحقبة من ازدياد وقلاقل كانت بمعظمها خارجة عن إرادة السلطان ومرتبطة بشكل أساسي

وجهة عسكرية، سيكون قادراً على تمتيت ذوق الطبيعة ذاتها!

أما على مستوى الكبير اللامتناهي، فتحت الثورة الفضائية مجالاً لاتخاذ الكون وتجاوز حدود النوع في نطاق الكوكب الأرضي.

وأما ما خص مستوى المركب اللامتناهي، فإن الثورة السبرانية، وهي (ثورة الألات الحاسبة، وأوتوماتيكية الإنتاج، والحساب العلمي) بدأت تحضر لمن يبوب عن دماغ الإنسان، وتحريره من دأبائه، لأجل وظيفته في الحلف والذي سيتضع لاحقاً كم أنه قد هاق خيال الإنسان وهم سينتج أمامه أفاقاً لم يكن ليتصورها أبداً.

في هذا كان يحتاج، وإن بالتعامل والملازمة، إلى وعي د التحول الأساسي الجاري.

وكان أول شرط من شروط توفر هذا الوعي، هو أن تدار الدولة ب عقلية المتصل مع العصر، وأن تسير متطلبات هذا العصر، ومتطلبات الديمقراطية والنمو التعليمي في الاتجاه نفسه.

ولكن حتى أواخر ستينيات القرن العشرين كان كل جيل يجد نفسه أمام الشروط الخاصة للتحولات، وكأنه فاعل أمام معطى، زمني لا يمكن تعديل ثوابته التي فرصتها الثوابت الناجمة عن تلك الثورات العلمية والتكنولوجية وانعكاسها على البنى السياسية والاقتصادية والاجتماعية لأي بناء مجتمعي ولا حتى تحريكها قريباً أو بعيداً عن هذه الثوابت.

وهكذا فإن شباب 1968 - 1970 هم الذين تلقوا المازق الناشئ عن القصور في مواكبة تلك التحولات، فمن ابن سينولا الصجب إذا ما شردوا أو شاربوا أو... من يلومهم على ذلك؟.. كان التصرف هو النتيجة الحتمية للتمترل الذي رافق تطور بناء الدولة في ذلك الوقت.

والواقع أنه في كل نظام يعاني من الأزمات ويتجاهل أو يستبعد المشاركة الواسعة للمواطنين في تحمل المسئولية بمواجهتها من إبداء الرأي إلى المساهمة بإنتاج القرار، ولا يتيح لهم المشاركة الحقيقية في بناء البلاد لا يرتبط مصيرهم بنموها وسلامتها، سيضعف حكمها في التوصل إلى إجتراح الحلول الناجمة للآزمة ويقتصد كثير من المواطنين لأسبابها، ما يدفع في أحيان كثيرة إلى تفجر حالة الرضا في المجتمع.

لكن في الواقع أيضاً أن التجربة الصغرى اللامتناهي، بحيث لا يبقى هناك أي حد للفني والتحكم اللذين يورفهما هذا المستوى، فهو على الأقل إذا ما اتخذ

أولاً، كانت الحرب العالمية ذاتها قد كشفت عن إرهابات ثورات ثلاث، الثورة الإلكترونية، والتي تمثلت بأجهزة التار، لحل الشفرات الثورة الإدارية التي وجدت تعبيرها بتنظيم الإنتاج الحصري وتحركات الجيوش.

الثورة الفضائية التي ظهرت تباشيرها في الرادار والصواريخ ثانياً، كانت الحرب بإيها. قد أحدثت انقلاباً نوعياً في موازين القوى الدولية، بل بعد الدور لقوى أوروبا القديمة، بل انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي.. هذا فضلاً عن يملك السلاح النووي.

ثالثاً، الأطامس الجديدة للجغرافيا السياسية، والتي رسمت خطوطها ومناطقها ومواقع الثروات فيها، الجوائز التي منحت للمتصرين في تلك الحرب، وكان من بينها محتويات ما سيرف بالعالم الثالث

أما ما بعد هذه الحرب، فإن الطريق نفسه كانت مفتوحة على مجالات



ستار محمد عربي

حسوية اقتضت أن يُحسم مداهها، وجميعها وتأثيرها؛ إن ما بدا يظهر جلياً، أن تلك الزلزلة التكنولوجية، والتي كان بالإمكان حتى وهي في بداياتها أن يرى المرء - آثارها رويداً رويداً - ثورة دائمة في شروط الحياة الستاد المبصرة حينئذٍ على الثلاثيات الثلاث وإخضاعها؛

لقد فتحت السيطرة على الطاقة الذرية صغراً في تقنيات المادة الخامسة للحرق، وفي الانصاف مع مستوى الصغرى اللامتناهي، بحيث لا يبقى هناك أي حد للفني والتحكم اللذين يورفهما هذا المستوى، فهو على الأقل إذا ما اتخذ

بالخلاقات القبلية والتدخلات الاقتصادية والخارجية وبفشل الأزمة الاقتصادية كما أشير إلى ذلك سابقاً. ولم يكن واقع الارتباك في إدارة شؤون الدولة ولا مداه هو الشيء الوحيد هنا، وإنما أيضاً عنصر الجمود وعدم القدرة على مواكبة التغيرات والتحولات العالمية التي ظهرت في الحرب العالمية الثانية. وبدأت مرتسماتها تتجسد على خارطة الطريق، حيث لا يمكن لأحد أن يتجنب نتوابعه وإقصائيه، ما لم يكن مجهزاً تجهيزاً بنوياً وفي ذروب التجهيز السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعلمي والثقافي كافة؛

قراءة في وثيقة أمريكية سرية

«الميج» المصرية والمنظمة الإسرائيلية

أحمد حجاج

التسليح الذي يعد أكثر حساسية هضم منذ عام ١٩٥٥ هي التي أخذت زمام المبادرة في هذا الشأن عندما بدأت في الحصول على الأسلحة السوفيتية. ومنذ نهاية ١٩٥٧ بدأت في الحصول على المقاتلات السوفيتية من طراز ميج ١٩ وهي أفضل بكثير من أي مقاتلة لدى إسرائيل وفي قدرتها إطلاق صواريخ جو جو. وعندما سأل المستر باندي عن أي نوع من الصواريخ يشير إليها السفير الإسرائيلي، أحاب أنه ليس لديه معلومات حول هذه المسألة ولكن بـ تأكيد فإن الميج ١٩ تستطيع حمل صواريخ فصلا عن سرعتها الهائلة وقدرتها على الطيران على ارتفاع عال وهي تستطيع التوجه على أفضل طائرات لدى إسرائيل مثل الميور ميسير الفرنسية. ولذلك فإن إسرائيل تتفاوض مع فرنسا من أجل الحصول على طائرات ميراج والتي لا يمكن في الوقت الحاضر توريدها قبل ١٨ شهرا.

وقال السفير أن إسرائيل متأكدة ولديها الدليل بأن الجمهورية العربية المتحدة (لم يكن انفصال مصر وسوريا قد حدث بعد) تملك طائرات ميج ١٩ ويهوى هذه الطائرات تم تزويد العراق بها، إضافة إلى أن المصريين السوفييت قد وصلوا إلى مصر.

وعندما سأل باندي عما إذا كان الطيارون المصريون أصبحوا أكثر كفاءة عن قبل، قال السفير أن ج.م.ع قامت بجهود كبيرة وناجحة من أجل زيادة نوع التدريب لطيارها وتحسين التنسيق بين أجهزة الجيش المختلفة. وقد تعلم المصريون أكثر درس عن طريق تجاربهم في سيناء وعملوا بجد من أجل تحسين كفاءة ضباطهم. على أن زيادة القدرات العسكرية المصرية أمر يدعو إلى التساؤل وهو ما كان محل بحث من جانب إسرائيل منذ عام مع الخارجية الأمريكية حول مدى قدرة إسرائيل على مجابهة أي هجوم جوي مفاجئ. ووصف السفير إسرائيل بأنها دولة صغيرة ليس لديها دفاع في العمق ومجرد شريط ضيق عرضة لشدة أميال ومساحتها لا تقدر خمسين ميلا في ٣٥٠ ميلا. والجمهورية العربية المتحدة لها ٢٦ قاعدة جوية في محافظات شمس، وسطا للميرة الجغرافية التي تتمتع بها فإن طائراتها تستطيع أن تطير فوق إسرائيل وتعود مرة أخرى لإسرائيل لديها ثلاث قواعد جوية عاملة فقط إضافة إلى مطار مدني رابع يمكن استخدامه في حالة وقوع أي أزمة كل ذلك يسمى طبقا لرواية السفير الإسرائيلي. أنه

■ افترحت الخارجية الأمريكية منذ فترة عن عدد من الوثائق السرية الخاصة بها وليايت الأبيض فيما يتعلق بالشرق الأوسط. ولفت نظري عدد من الوثائق المتعلقة بالأسابيع الأولى من حكم الرئيس كينيدي عام ١٩٦١، وهي الفترة التي شهدت رغبة كينيدي في تحسين العلاقات مع القاهرة وعبد الناصر، ومحاولة استغلال إسرائيل موضوع الأسلحة السوفيتية كحصر لتخويف واشنطن من التدخل الشيوعي في المنطقة أو في أفريقيا خاصة مع اندلاع أزمة الكونغو وإرسال مصر لقوات ضمن قوات الأمم المتحدة لحفظ السلام الوثيقة الأولى بتاريخ ١٦ فبراير ١٩٦١ لحضر اجتماع ماكجورج باندي المساعد الخاص للرئيس كينيدي للأمن القومي مع افراهام هارمان سفير إسرائيل في واشنطن الذي كان برافته موردخاي جاريت الوزير المفوض بالسفارة وهو رجل عسكري قام بدور في العمليات الإسرائيلية ضد الدول العربية فيما بعد، ويبدو أنه كان حلقة الوصل بين وزارة الدفاع الإسرائيلية والإدارة الأمريكية فيما يتعلق بمسعى إسرائيل للحصول على أسلحة أمريكية حديثة، وهو موضوع كانت واشنطن مترددة بشأنه وخاصة بعد الاتهام التي تواترت عن إنشاء إسرائيل مفاعل ديمونا الذري واحتمال إنتاج أسلحة نووية عن طريقه وهو ما نفتته إسرائيل قطعا في ذلك الوقت من أجل التوفيق وطمأنه الإدارة الأمريكية فقط ظاهريا.

بما السفير الإسرائيلي الاجتماعي بقوله إن الأوضاع الهادئة في الشرق الأوسط استمرت الآن لأربع سنوات، فمنذ عام ١٩٥٨ فإن السياسات الهادئة للجمهورية العربية المتحدة قد تم إبقائها تقريبا في الأردن ولبنان والعراق وأظهر الاجتماع الأخير للجامعة العربية في بغداد تراجع الاتجاهات الوطنية بين العرب التي عملت القاهرة على إثارتها ودفعها. عبد الناصر لم يستطع السيطرة على العرب مثلما كان يفعل في الماضي، وعندما علق باندي أنه ربما يكون تراجع عبد الناصر قد دفعه إلى الكونجو. قال السفير أن ذلك ليس بعيدا عن الواقع. فبعد الناصر شخصية قلقة وعندما يتم وقفه في منطقة ما، فإنه يسعى إلى جهة أخرى. وأن فإن أفريقيا هي هدفه الرئيسي.

ذكر هارمان أنه بالرغم من الهدوء السائد، إلا أن هناك عاملين يدعوون للقلق في الشرق الأوسط وخاصة بالنسبة لإسرائيل وبالدات موضوع

كيندي وغرونتشوف... وضم الحرب الباردة



أكد السفير الإسرائيلي للخارجية الأمريكية أن مصر تمتلك طائرات ميج ١٩ وأن بعض هذه الطائرات تم تزويد العراق بها. كما أن هناك مدرين سوفيتية وصلوا إلى مصر



هذا البرنامج، وقال: إنه مجرد مفاعل صغير (إذا كانت الجمهورية العربية المتحدة تريد مفاعلا أو حتى برنامجا مائلا أو مفاعلا أكبر يخصص لنفس الغرض الذي قامت به إسرائيل، فإن حكومته لن تهتم بذلك. هذا العرض الإسرائيلي الغريب بالطبع جاء في ثوب التوفيق مع واشنطن. ولذلك أفرح من جانب أن تقوم القاهرة بتقديم هذا العرض إلى الولايات المتحدة الآن للحصول على مفاعل أمريكي مماثل للمفاعل الذي حصلت عليه إسرائيل من فرنسا. ويجب أن نتذكر هنا أن الرئيس نيكسون عقب حرب أكتوبر ١٩٧٣ لم يهمل بتزويد مصر بمفاعل نووي للأغراض السلمية ولكن الولايات المتحدة تكثفت عن وعدها.

علق باندو على حجم المفاعل مثل هذا البرنامج ولكن السفير هارمان قال: إنها متواضعة حيث إن المفاعل مخصص للبحر للجارب العملية وتدريب العلماء الذين يذهب خمسة عشر عاما من الآن (أي في ١٩٧٩) سيكون له قيمة كبيرة إذا ما تمكنت القوى الكبرى من تحقيق اختراق نانسيه لوضع الاستخدامات السلمية للأغراض الاقتصادية. وكرر السفير اقتراحه أن تنظر الولايات المتحدة في اقتراح نزع السلاح في المنطقة (أ) بالطبع نزع سلاح الدول العربية وليس إسرائيل (ومن فوكد هذا الاقتراح في رأيه سيكون منع تدفق الأسلحة الشيوعية إلى أفريقيا. وقال إن المخابرات الإسرائيلية لديها معلومات أن الفئات الشيوعية (يقصد حركات التحرير) في الدول الأفريقية تلتقي أسلحة، ليس مباشرة من السوفييت، ولكن عن طريق الجمهورية العربية المتحدة.

جري الحديث بين السفير والإسرائيلي بعد ذلك حول موضوعات أخرى مثل موضوع تحويل مياه نهر الأردن واللاجئين العرب والنسبة الاجتماعية بتأكيد باندو أنه على استعداد لمقابلة السفير الإسرائيلي وزملائه في أي وقت، ولكنه أوضح أن المشاكل التي بحثت يجب مناقشتها أولا مع الخارجية الأمريكية. ومن المعروف أن الرئيس كينيدي كان يولم بالأمريكية وضرة عدم استبعاد البيت الأبيض على كل القرارات ولذلك بعد مقابلة السفير الإسرائيلي في باندو بعدة أيام أصدر قرارا بالسماح بأن تشهد إلى الخارجية الأمريكية بعض الشخصيات المتعلقة بالأمر القوي فيما يتعلق بطريقة التعامل مع المناطق الجغرافية في العالم والدول المختلفة على حدته مع التنسيق بين

ويعتقد بأن دول حول المنطقة تجبر على أن تحصل بالقوى الكبرى للحصول على المعدات (العسكرية) المميتة على حد قوله، لأنه نظرا لوضع المقلب في المنطقة فإن إدخال أي نوع جديد من هذه الأسلحة الهجومية يحمل في طياته تغيرات هائلة. وهنا بالطبع تريد إسرائيل أن تحتكر لنفسها فقط في هذه الصفة الاستعداد على توفير جميعها، لأن مبدأها هو عدم القتال مطلقا على أرضها بل يجب أن تكون أي معركة مع العرب في الأراضي العربية نفسها حتى لا يتعرض العمق الإسرائيلي لأي أخطار. سال قائد السفير الإسرائيلي عما إذا كان إنشاء المفاعل الإسرائيلي لا يشكل إدخالا للعنصر الحساس الذي أشار إليه السفير. أجاب الأخير: إن إسرائيل ليس لديها أية صناعة قنبلة نووية فضلا عن أن المفاعل أمامه ثلاث أو أربع سنوات للإشعاع. أكد باندو على تأثير مثل هذه التطورات في الرأي العام العربي، قائدي السفير قائلا إن هذا الموضوع قد تم تسريبه بطريقة غير ضرورية، ويمتني الصديق فإن تأثيره على المنطقة كان سلبيا (كانت إسرائيل تفضل أن يكون الموضوع سرى إلى الأبد وتضع الجميع مع فهم الولايات المتحدة أمام الأمر الواقع ومن ما حدث بالفعل). وأضاف: إن هذا التصريح يهدد بتعبئة أربعة ملايين رجل وهو أمر لم تستسفه إسرائيل في الإطلاق. وكرر السفير كذلك أن التكتونات المثارة ليس لها أي أساس وكما أوضح هو بنفسه فوزير الخارجية الأمريكي، فإن إسرائيل ليس لديها أية لاستغلال المفاعل إلا في الأغراض السلمية. كما علم صحيفي زيارته (المفاعل) من جانب من عالم أمريكي (أو غيري) وهو فكرة أبدت حكومته اهتماما بها، قد يتحقق بوساطة بن جوريون إذا ما عاد لتولى رئاسة الوزارة على ضوء الأهمية الوزارية (الحالية) بسبب فضيحة لا فون المتعلقة باكتشاف مصر لشبكة التجسس الخريبية الإسرائيلية. وهنا قال باندو، أنه لا شك أن بن جوريون الذي يسيطر إليه باعتباره شومان عالم السياسة الدولية (شومان هذا سياسي فرنسي شغل قدام باقترح ذوة الاتحاد الأوروبي الحالي في نهاية الخمسينيات من القرن الماضي)، سيعد إلى رئاسة الحكومة الإسرائيلية مرة أخرى. باندو مرة أخرى لتفسير مسألة مفاوضات الشرق العربي فيما يتعلق بالقرار الإسرائيلي. قال السفير الإسرائيلي من أهمية

أجاب السفير على هواء في تفسيره للموقف الأمريكي.. (بعدا أجاب قال: إن الولايات المتحدة توافق على أن إسرائيل لها مطالب مشروعة للحصول على قدرة دفع، وتفسير إسرائيل هو أن الوضع يتحرك نحو موقف بمقتضاه فإن ميزان التسليح هو لصالح الجمهورية العربية المتحدة وهو تفسير لم نعارضه واشطون. ولكن الولايات المتحدة لا ترغب في أن تدخل إلى الشرق الأوسط معدات هجومية وتنصح إسرائيل بأن تحصل على احتياجاتها (العسكرية) الرئيسية من المصادر التقليدية، وخاصة فرنسا وبريطانيا. وقد وافقت الولايات المتحدة أن تبقي إسرائيل معدات لتلازم المبرك بشروط التناهي لمدة ثلاث سنوات وقد أنهى فريق من الخبراء الإنكليزيين استخدامهم لأغراض الهجوم ولكنهم مثالية للدفاع عن القواعد الجوية الإسرائيلية). وقال إن الولايات المتحدة أبدت ليزدة بالتسليح إدخال نظم صواريخ من أي نوع في المنطقة ولكنها أكدت للإسرائيليين أنه إذا ظهرت عوامل جديدة فإن هذا الموقف يمكن مراجعته مرة أخرى.



وأضاف السفير الإسرائيلي هارمان: إن الولايات المتحدة قد وافقت أن تأخذ في الاعتبار العبد الإضافي على مالتق الاقتصاد الإسرائيلي فيما يتعلق بالاحتياجات الدفاعية (أي تخفي أمريكا تكاليف المعدات التي تطلبها إسرائيل). وفي الوقت الذي قد لا ترغب فيه واشنطن في تمويل هذه العملية مباشرة، فإن الإسرائيليين تم إخبارهم أن الولايات المتحدة ستقوم بدفع تأثيرات التكاليف العسكرية من حيث التطلبات الإسرائيلية ضمن قطاعات المساعدات المختلفة.

وسأل باندو السفير عما إذا كان يكرر من جانبه طلب الحصول على الصواريخ الأمريكية أو يقصد أن يقول أن هذا الطلب سيتم في المستقبل، أجاب السفير أنه ليست لديه تعليقات في هذا الصدد حتى مجرد تلميح يمثل هذا الطلب من جانب بلاده، ولكن إسرائيل تعيد النظر في طلباتها في ضوء حصول الجمهورية العربية المتحدة على طائرات ميج ١٩. وأشار السفير باختصار إلى إمكانية قيام نظام نزع السلاح الإقليمي (وهو ما ترفضه الآن إسرائيل منذ سنوات بالرغم من أنها هي التي اقترحت) الأمر الذي يمكن تحقيقه بسهولة في الشرق الأوسط باتفاق بين الدول الكبرى

يملك القضاء على قدرات الطائرات المقاتلة الإسرائيلية في الحال وتدمير مشاكل الاتصال في البلاد مما يخلق مشاكل هائلة من أجل التغطية البشرية التي تحتاج أن تظل الاتصالات كسده من أجل تعبئة الاحتياطي العسكري الكبير لثروات الجيش الصغير المتحرف. ونظرا لأن إسرائيل توقفت هذا الوضع من عام، فإنها طلبت من الولايات المتحدة تزويدها بنظام صواريخ مضادة للطائرات

طلب باندو تزويد بتفاصيل المذكرة التي قدمتها إسرائيل إلى الحكومة الأمريكية في هذا الصدد. أجاب السفير الإسرائيلي أن بلاده ترغب في الحصول على صواريخ هوك (وحصلت بالفعل عليها فيما بعد) التي وصفها بأنها مجرد صواريخ دفاعية أرض/جو لا يمكن استخدامها لأغراض الهجوم ولكنها مثالية للدفاع عن القواعد الجوية الإسرائيلية). وقال إن الولايات المتحدة أبدت ليزدة بالتسليح إدخال نظم صواريخ من أي نوع في المنطقة ولكنها أكدت للإسرائيليين أنه إذا ظهرت عوامل جديدة فإن هذا الموقف يمكن مراجعته مرة أخرى.

وسبقنا لما جاء في المحضر فإن السفير الإسرائيلي قال إن الوضع يتجه الآن إلى ما كانت تتخوف منه إسرائيل، فالجمهورية العربية المتحدة لديها طائرات ميج ١٩، وبالرغم من أن إسرائيل (من مصر) في الحال ولكن عليها أن تستعد لذلك في عام ١٩٧٢ (أي العام التالي بعد المقابلة) عندما تتمكن الجمهورية العربية المتحدة أن تكون في وضع يتيح لها استخدام قدراتها ضد إسرائيل، إلا أن هذا لا يضمن تمتك في هذا التاريخ سلاحا دافعا. وترغب إسرائيل في السدء منذ الآن في الاستعداد لهذه الفترة الحرجة من طريق إرسال خبرائهم إلى الولايات المتحدة من أجل التدريب على تشغيل وصيانة صواريخ هوك. وفي الوقت الذي قد تمت فيه إسرائيل هذا الطلب، تم إلباها أن التسهيلات التدريجية (في الولايات المتحدة) متعولة لبعض الوقت، ولكن إذا كان في استطاعة الإسرائيليين البدء في التدريب الآن فإن إسرائيل ستكون في وضع يفيها أن تكون مستعدة من الناحية البشرية في حالة حدوث خطر داهم ووافقت الولايات المتحدة على تزويد صواريخ هوك.

ومن الغريب أن باندو سأل السفير الإسرائيلي: كيف يسمر ويشرح موقفه الولايات المتحدة تجاه هذا الوضع بدلا من أن يقوم هو بشرح هذا الموقف، فيما

وزارات الدفاع والخارجية والمخابرات الأمريكية في هذا الشأن.

ونتيجة لهذه المواقف، لم تستطع الخارجية الأمريكية التي لم يحضر مسئول منها اجتماع باندو مع السفير الإسرائيلي في البيت الأبيض، ولذلك بادر السفير ستوسل وهو أكبر مسئول في الخارجية بعد الوزير إلى إرسال تعليق مثير للاهتمام إلى باندو مساعد الرئيس كينيدي الخاص بالأمن القومي. هذا التعليق الذي أرسل بتاريخ ٢٤ فبراير ١٩٦١ كان على النقاط التي وردت فيه لسان السفير الإسرائيلي، وحاول عليه ستوسل أن يفسد بعض الأسانيد العسكرية التي استند إليها السفير في تفسير طلب أسلحة أمريكية جديدة أو التهويل من قدرة الأسلحة التي حصلت عليها مصر. كان باندو نفسه قد طلب تعليق الخارجية وبعدها اجتمع خبراء من ثلاث إدارات أعداو الرد الثاني. (١) يقول السفير هارمان إن

الطائرات السوفيتية من طراز ميغ ١٩ التي يستند إلى الجمهورية العربية المتحدة قد حصلت عليها، تفوق بكثير أفضل ما هي حوزة إسرائيل من طائرات، متفائلة وهي طائرة سوبر ميستير، الفرنسية. في رأي الخارجية الأمريكية فإن سوبر ميستير لا تقل عن الميغ ١٩، ولو أن الأخيرة تتمتع بعتة نظام تيزن إذا ما عملت تحت ظروف معينة. وطبقا لمعلومات الخارجية فإن طائرات الميراج الفرنسية التي وافقت فرنسا على تزويد إسرائيل بها هي أفضل بكثير من الميغ ١٩، ووافقت الحكومة لقرارها مقارنا عن كمال صدق عن الميغ ١٩ وسوبر ميستير الميراج. ولم يتم نشر هذا التقرير ضمن الوثائق الأمريكية.

(٢) السفير هارمان يقول إن الحكومة الأمريكية اعتدلت عن تزويد إسرائيل بصواريخ هوك أرض / جو، ولكنها أكدت للإسرائيليين أنها ستعيد النظر في الموضوع في حالة ظهور تطورات جديدة. تقول الخارجية تعليقا على ذلك إن اعتذار الحكومة الأمريكية يرجع إلى عدم رغبتها في إدخال مثل هذا السلاح على إسرائيل إلى الشرق الأوسط مما يمثل عنصرا جديدا وخطيرا ويدخل المنطقة في حلقة مفرغة من السعي إلى الحصول على أسلحة أكثر تطوراً (وهو ما حدث بالفعل بعد ذلك). إن القول عن استعداد الولايات المتحدة لإعادة النظر في هذا التعمير منه من قبل مسئولين أمريكيين لم يضغط عليهم كثيرا (هذا التعمير الذي استخدمته الخارجية الأمريكية وهو ما يعني أن

الولايات المتحدة التي قام بالضغط على هؤلاء المسئولين في الكونجرس وغيره من الدوائر الأمريكية) الذين أكدوا أن مثل هذا التدخل لن يؤدي إلى إعادة النظر لتعديل هذا الموقف الأمريكي (هذا موقف شجاع من الخارجية الأمريكية ولكنه بالطبع لم ينشأ إلى الإسرائيليين). ووافقت الخارجية مرة أخرى على المساعدة في سبب اعتمادها في هذا الشأن وبموجبها تم الاعتذار عن تزويد إسرائيل بصواريخ هوك. وتقول الخارجية إن المبررات الواردة في المذكرة لاتزال قائمة (بالطبع غير الإدارة من موقفها فيما بعد ورضخت للضغط الإسرائيلي) ووافقت إسرائيل بصواريخ هوك. هذه المذكرة كانت تحت عنوان (الاعتبارات المتعلقة بطلب إسرائيل تزويدها بصواريخ هوك، وهي معاملة لمذكرة سابقة أرسلها مساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الأوسط إلى نائب وزير الخارجية للتعاون السياسية بتاريخ ٧ يوليو ١٩٦٠ أي قبل تولي كينيدي الرئاسة).

(٣) قال السفير الإسرائيلي: إنه بالرغم من أن الولايات المتحدة غير قادرة على توفير مشتريات الأسلحة إلا أنها ستأخذ في الاعتبار ذلك عند بحث الطلبات الإسرائيلية ضمن قطاعات المساعدات الأمريكية المختلفة. وتقول الخارجية الأمريكية إن موضوعها كان دائما يقوم على أساس أن طلبات إسرائيل للحصول على مساعدات أمريكية يجب أن يؤسس على اعتبارات اقتصادية (أي مدى قدرة الاقتصاد الإسرائيلي على السداد)، وقد حرصنا على الامتناع عن تأييد الاقتراح الإسرائيلي (أي الحصول على الأسلحة الأمريكية) ببلش أي كفة كما يحدث الآن منذ ثلاثة عقود تقريبا على أساس أن زيادة العميد العسكري الإسرائيلي

سؤدي إلى زيادة برنامج المساعدات والاقتروض الأمريكية لإسرائيل. وقد تم التأكيد على أن النفقات العسكرية والأمنية لأي دولة هو فقط مجرد أحد أوجه المسألة التي يجب فحصها قبل تقرير مدى قابليتها للحصول على مساعدات.

(٤) عبر السفير هارمان عن عدم سعادته بتسريب موضوع البرنامج النووي الإسرائيلي إلى الرأي العام (وهي إشارة غير مباشرة من جانب إسرائيل بأن بعض الجهات الأمريكية هي المسؤولة عن ذلك). تقول الخارجية في ملاحظتها: إن مشروعنا مثل هذا الأمر كان سيصل إلى معرفة الرأي العام له قريبا أو بعيدا، وغالبا ما يكون هذا الموضوع قد تسرب على مدار عامين من الزمن. لقد حاولت حكومتنا (أي الأمريكية) أن يظل الموضوع سرا في انتظار إسرائيل الرضا على ولكن كانت مضطرة لتعليق عليه بعد أن تسرب الموضوع بأسلوب دراماتيكي عن الصحافة البريطانية. وهناك مبررات قوية لما تذكره إسرائيل بأنهم مجبرون لإعانة الموضوع بنظر كثير من السرية مخالفة الموضوعين هذا المشروع. إضافة إلى ذلك فإن عددا من زعماء الكونجرس غير سعداء بأن إسرائيل أبقت مثل هذه التطورات المهمة سرية حتى أن الولايات المتحدة في فترة على من المفترض فيها أنهم يعملون على أساس من الثقة المتبادلة للصفحة من أجل طلبات حساسة تتعلق بالحصول على مساعدات عسكرية واقتصادية. (٥) الوزير المفوض بالسفارة الإسرائيلية مودخاي جازيت اقترح أنه من الضروري أن تتضمن خطة جونستون المتعلقة بمياه داني الأردن (والمعلقة بخطة أمريكية لتزويد مياه نهر الأردن بين العرب والإسرائيليين) يجب أن

تتضمن ترك مياه الأردن لإسرائيل وترك مياه اليرموك وهو أحد فروع للمملكة العربية (أي أن إسرائيل تتحكم في كميات المياه التي تتدفق من نهر الأردن إلى اليرموك). تقول الخارجية الأمريكية في تعليقها أنه بالرغم من أنه طبقا لخطة جونستون، يتوجب على إسرائيل أن تعطي الأردن مائة مليون متر مكعب من مياه نهر الأردن فإن الأردن سيحصل على كل توقعاته من اليرموك فقط إذا ما تم احتجاز وتخزين مياه الفيضان لهذا الغرض في بحيرة طبرية، وهي بالكامل تحت سيطرة إسرائيل. وبسبب هذه الالتزامات بين الأطراف فإن خطة جونستون تضمن وجود إشراف دولي للمياه، بينما يمكن للأردن أن يحصل على ٧٨.٥ من احتياضاته من نهر اليرموك. بشرط إقامة خزان في منطقة القنار. فإن نصيب الأردن العادل طبقا لحسابات خطة جونستون يمكن تحقيقه بالكامل فقط عن طريق تنازلات غلبية من جانب إسرائيل.



هذه المذكرة المرسلة إلى باندو موقعه من السفير ستوسل..... لا تعليق لدينا حول هذا الموضوع سوى أن الخارجية الأمريكية في بداية عهد الرئيس كينيدي كانت لديها الشجاعة لتقول رأيها في الطلبات والصفوف الإسرائيلية بقدر نسيب من الصراحة، ولكن بالطبع لم يتم إبلاغ إسرائيل بهذه الملاحظات المنطقية منصفه تأليب اللوبي الإسرائيلي وانصاره على الإدارة الجديدة، وللانصاف فإن باندو عندما تولى منصب مساعد الرئيس كينيدي للأمن القومي لم يكن عندما قابل السفير الإسرائيلي قد حصل على رأي كينيدي سوى أقل من شهر واحد ولم يكن على علم بعد بالتزامات إدارة إيرتشار السانعة تجاه إسرائيل. وهذا يفسر حذره في تناول موضوع الأسلحة الجديدة التي طلبتها إسرائيل. كما أن باندو كان مفرقا عنه خبراته العميقة وأفق الواسع ونظركه استراتيجيية الواسعة وكان ناصحا أميناً لكينيدي الذي بدأ مدع من المشايخ، ولكن التناقص مع الاتحاد السوفيتي وأزمة الصواريخ السوفيتية في كوبا أعادته إلى أرض الواقع. اغتيال كينيدي المفاجئ، في رأيي، عطل مسيرة الولايات المتحدة في الخارج وخاصة في مجال السياسة الأمريكية نحو الشرق الأوسط. ■

قلل السفير الإسرائيلي أهمية برنامج بلاده النووي وقال: إذا كانت مصر تريد برنامجا مماثلا فإن حكومتها لن تهمم بذلك



تطور صورة الشرق في الأدب الإنجليزي



تطور صورة الشرق في الأدب الإنجليزي

ناجي عويجان
ترجمة: تالا ميناغ
مراجعة: د. سمود المولى
المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٨
بدعم من مؤسسة محمد بن راشد آل
مكتوم
توزيع مركز دراسات الوحدة العربية

The Progress of an Image. The
East in English Literature
Naji B. Ouejani
Lang, Peter Publishing,
Incorporated 1996

فحسمه بل اهتماماً كذلك، أكثر ما
اهتموا، بإعاشي القراءة. بصورة غريبة،
لاستحوذوا على اهتمامهم بدل تقديم
صور تمكس الواقع.

ومن جهة أخرى، تجلّت صورة الشرق
الحقيقية في أدب الرحالة والباحثين
المستقلين الذين حرروا أنفسهم من التحيز
المعتقدات التقليدية ومن التحيّز
السياسي والمبني عند الشرق، فتنبّهوا
فهماً حقيقياً لحضارة هذه الرقعة
الغنية من العالم، وما كنّوه من أدب
الرحلات والأعمال الثقافية، العاقبة
والموضوعية، كثيراً ما غير في موقف
الجمهور البريطاني حيال الشرق، وروى
الأدباء البريطانيون بمعلومات حقيقية
وقد تبلور هذا الموقف العلمي الجديد، إذ
الشرق غلب الموقف البريطاني المهذب، في
منتصف القرن الثامن عشر، حين باتت
الاتصالات بين الشرق والغرب متواصلة
ومباشرة، والعلاقات تترسّخ من أي
الرحالة الأوائل التي اعتمدت على
الخيال أكثر منه على الواقع، فاستحووا
منها لكثافة الأعمال التي ساهمت
بدهورها، صمداً أو من دون قصد، في تعزيز
الصورة الخاطئة من الشرق. لم يتغير
هؤلاء الكتاب إلى التجارب المباشرة

■ ■ ■ يحال قارئ اليوم أن الاهتمام
العربي للعصر، بمحضات الشرق
الأوسط وشؤونها نشأ وتطور خلال
الحربين العالميتين الأولى والثانية، وفي
الفترة التي تلتها، علماً بأن هاتين
الحربين تفجرتا في النصف الأول من
القرن العشرين، إن مشاعر العداوة
الرافقة أحياناً، والتنافسة أحياناً أخرى،
مشاعر تشهدها اليوم بين الغرب والشرق
الأعظم من شعوب منطقة الشرق
الأوسط، تجلّت في النزاعات السياسية
والاقتصادية والعرقية القائمة بين هذين
القسمين من العالم وتبرز باعتبارها
نتيجة طبيعية لهذه الخلافات، وهذه
المشاعر إنما هي في الواقع قديمة العهد،
أبصرت النور منذ قرون عديدة، وفي هذا
الوقت سالتنا حيث تنشأ هذه
العظمى، أكثر من أي وقت مضى، راب
الصنع وتطوير الموقف عبر إقامة
علاقات وملازمة بين شعوب العالم، وإلا
تساهم وسائل الإعلام، من خلال
تكنولوجيا عالية ومتطورة، في تعزيز
حملات التوعية التي تطل حصاراً
العالم المتأخر، إلى عملي هذا ليؤكد
القارئ، سواء كان غريباً أم شرقياً،
ماستقاص موضوعي حول نشوء صورة
الشرق في العالم وتطورها.

صورة الشرق هذه، في انكسارها
السلبي والإيجابي، ظهرت، إن جلياً أو
ضمنياً، في أعمال الرحالة الغربيين
الدينية والتاريخية والأدبية، لأسما في
كتابات البريطانيون منهم، وعندما كتب
الشاعر بايرون (Lord Byron) الروايات
الشرقية (The Oriental Tales) في
أوائل القرن التاسع عشر، كان قد بلغ
الاهتمام الإنجليزي بعالم الشرق
الغريب، أوجه وكانت قد ظهرت أعمال
جيدة حول دين هذه المنطقة وتاريخها
وأدبها، ويكتفي هذا القدر الكبير
من الكتابات إلى القرن الثامن عشر إلى
في الاهتمام الإنجليزي بالشرق يرقى
إلى الحقبة الأنجلوسكسونية، ولأسما
بعد اعتناق المسيحية في الغرب،
ولأسما في إنجلترا، في أواخر القرن
السادس، حيث ترسّخ هذا الاهتمام
بسبب توسع التمسك إلى التجارة والحج
والتجارة والعامة،
إن أكثرية الرحالة الغربيين الذين
بحثوا عن المعامرة في الخارج، هي غزاة
الحجاج والباحثين الأيرلنديين، في
أوائل القرن الخامس، والصليبيين في
القرن الوسطي، عادوا إلى الوطن الأم
ليخبروا أو يكتبوا روايات، تشقّت إلى
الواقع وإنما تعريض ناخيلها في الشعوب
الشرقية ومنطقة آسيا، وبهذا، لا يمكن
لغرائز التعمق في قراءة هذه الأعمال
من دون أن يشعر بأن هؤلاء الرحالة

إن خصائص الشرق التي اعتد
عليها الكتاب الإنجليزي وغيرهم من أدباء
الغرب لإنتاج عمل ما، حقيقة كانت أو
مشوّهة، شملت أحداث هذه المنطقة
وجغرافيتها وسكانها وأعراقها وأربابها
وأسلوبها، ولا سيما الأفكار الشرقية
السائدة، كلها خصائص، إن غابت غاب
معها اللون الشرقي والروح الشرقية،
وكلمة والشرق، ترد هنا بالمعنى الذي
فسره سيدني نيتلتون فيشر (Sydney
Nettleton Fisher) والتي تمثل والشرق
أو الشرق أو الشرق الأدنى، وفي أيامنا
هذه، تمت الاستعانة عن جميع تلك
التمايم لتعبر أكثر دقة، وهو الشرق
الأوسط، وفي منطقة تشمل البلقان
والهندية واليونان وتركيا والعالم
العربي، وتستند على طول الشاطئ
الشرقي الجنوبي للمتوسط، ثم تفوس
في آسيا،

يناقش لويس وان (Louis Wann)،
في تحليله للشرق، في دراما العصر
الاستعماري، «مسرح الأحداث»،
والجنسيات والأعراق المطروحة في
الدrama التاريخي، ويشهد كذلك على
دلالة الأفكار الشرقية في المسرحيات،
وفي الإشارة إلى الرواية الشرقية، لسلط
مارتا بيك كونانتي الأناضول على أهمية
اللون الشرقي البحث لهذه المنطقة
التي تجسّد «الغنية الشرقية» للثقافة
الشرقية، واللغة المولدة بأسلوب
شرقي، هذه الخصائص الشرقية التي
تسري في الدراما والأدب القصصي هي
نفسها تقريباً في الشعر والأنواع الأدبية
الأخرى، وعليه، فتمتد أعمالنا أساساً
بميزان بين الصورة الأدبية الشرقية
الصحيحة والصورة الخاطئة، وألهمنا
تواجدت في الأدب الحقيقي، أدت إلى
إضفاء اللون الشرقي الخاص به، وإلى
تعزيز الأفكار الشرقية، إن استخدمت
في الأدب المشوّه، فلهذا، الخرافة ليس
إلا، وثانيهما كاتب الفصل الذي، إن
اتّسم إلى النوع الأول من الأدب، قدم
صوراً حقيقية عن الشرق، وأما الثاني
من كتاب النوع الثاني، فقد عرض، عمداً
أو بدون قصد، صوراً طغى عليها الخيال
والتشويه
إلا أن الجمهور الإنجليزي لم يكن
يحب، في بادئ الأمر، من قبل العاملين، بل
كان يعتبر كل الأعمال المشوّهة الشرقية
والغربية، متحيزين من الواقع، بعض
النظر عما إذا قدمت معلومات
صائفة أو كاذبة، هذا الجمهور الذي كان
قد نهض لتدوين صور الجبل
والخرافات اغتبر الشرق مصوراً للظلام
والسحر والعجب، موطّن أناسه من
الوثنيين بطبيعة وحشية وغادرة، كذلك

ناجى عويجان



«الحریم» للنان الإنجلىرى جون فریدریک لویس (۱۸۵۰-) ألوان مالقة . متحف هیکتوریا وألبرت

لم يعد يقتصر على المواد الطبيعية، بل أخذ يستخدم أساليب شتى لنقل الآراء وتبادلها. ومما لا شك فيه أن هذا الموضوع واسع وشئى جداً ليناقتش في عمل وجيز كهذا. وبما أن الهدف الأساسى لهذا العمل يقتضى بإرصاء الفراء والباحثين العربيين والشرقيين على حد سواء، أولئك الذين يشتبهون فهمنا أفضل لحضارات العالمين، بدلت قصارى جهدى بعبارة أن التقى أبرز الكتاب الذين كان لهم الوقع الأثمد على تطور صورة الشرق فى الأدب الإنجليزى. ومن بين هؤلاء الكتاب، ناقشت بالتفصيل أعمال سامويل جونسون، ولیم بيكمورد، لورد بايرون، وتوماس كارلايل بسبب التأثير الهائل الذى كان لهم على تعزيز صورة الشرق فى إنجليترا، وبحكم مساهمتهم فى تصحيح هذه الصورة الخاطئة للشرق فى الأدب.

من الخلفيتين التاريخية والأدبية، اللتين أدتا إلى نشوء صورة الشرق وحضاراته، وتطورها فى التيارات الأدبية الإنجليزية، موضوع كتابى الذى يتألف من ثلاثة أجزاء، يضم الجزء الأول نشوء الثقافة الشرقية فى الأدب الإنجليزى وتطورها، وذلك منذ الحقبة الأجلوسكسونية وحتى أواخر القرن السابع عشر. أما الجزءان الثانى والثالث، فيتناولان التحول عن المفهوم التقليدى الخاطئ للإسلام والشرق فى أدب القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. يبحث أولاً فى الأجزاء الثلاثة، الروابط التاريخية القاطنة بين إنجليترا والشرق، ثم ناقشت تأثير هذه العلاقات على تطور صورة الشرق فى أدب الفترات موضوع البحث. لقد أحجمت عمداً عن إبراز تطور هذه الصورة فى القرن العشرين بسبب تنوع التعبير الأدبى الحديث الذى

وأعمل شخصياً أن يشكل هذا الكتاب حافزاً للباحثين كي يواصلوا الاستقصاءات والأبحاث فى هذا المضمار، ولأسماعنا أن هذه المسألة لم تعد متعلقة اليوم بالاهتمامات والدراسات الأدبية فحسب، بل يمتد إلى دراسة أخرى. وعلى هذا الكتاب أن يفيده أيضاً المؤرخين والسياسيين المعاصرين إذ إنه يناقش أسباب الخلافات الثقافية التى غالباً ما تصفر عن نزاعات سياسية بين مختلف شعوب العالم. إن ثقافة اليوم، على العكس من ثقافة الأمس، هى نتاج بحث العالمين عن الحقيقة، وذلك عبر الدراسات والاستقصاءات والبحوث العلمية المعممة. ومن هذا المنظار أدت عمداً أن أكتشف النقاب عن الحقيقة الكامنة وراء الخلاف الثقافى هذا، لا أن أصدر أحكاماً على ثقافة أو على أخرى، ولهذا السبب، جعلت

صلىك ذلك الجمهور روايات شوهت صورة الإسلام، لأن الإسلام كان يشكل تهديداً للدينية، يرقى إلى عدة قرون. إنما مع مرور الزمن، أخذ موقف الإنجليز يتغير إزاء الشرق وشعبه، وذلك بعد أن أصبحت الأعمال الأدبية أكثر مصداقية فى أعلاها لعالم الشرق. وبات هؤلاء يميزون تدريجياً بين ما هو مسيح وما هو كاذب. ولكن حتى القرن العشرين، لم يشهد انتدثاراً كلياً للأخبار المشوهة التى تتناقلها وسائل الإعلام الشرقية والغربية. إن العوامل السياسية والاقتصادية والعرقية، أكثر منها الدينية، تعزز مشاعر العداء بين العالمين العربى والإسلامى. إن مما لا شك فيه أن خدمة الأكاديميين والطلاب الذين يبحثون عن المعارف، ويدرسون أدب الفترات المعينة.

الثقافة من الحداثة إلى العولمة

محمود الذواودي

ينتهي هذا الفصل بملاحظة سلبية حول جهود المقاربة الأنثروبولوجية بوجهيها القديم والجديد؛ ينخلص من أن إثنولوجيا النصف الثاني من القرن العشرين شامها الكثير من التضارب، وهي القفدت إلى الاستقرار الأكاديمي الذي مررل توصلها إلى نظريات علمية، (ص ٢٣).

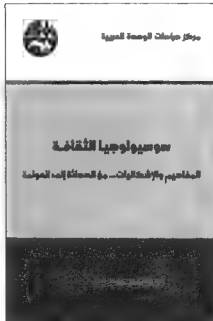


يطرح الفصل الثالث من الكتاب الميولوجيا الإيدولوجية للثقافة، وأصلحها الإيدولوجيا دلالات متعددة من بينها استعماله كمرادف لعلم الأفكار. لقد اتخذ هذا المصطلح معنى سلبيا لدى كارل ماركس، إذ هي عنده عبارة عن وعي مفحوط أو زائف يتكون للفاسلين الاجتماعيون تحت تأثير السيطرة الطبقية والتفوق العنصري للمدون يملكون الثروة والسلطة. فهناك تطابق بنيوي بين السيطرة المادية والسيطرة الفكرية، ومن ثم، لا يمكن أن تكون الإيدولوجيا غير وعي خاطئ لتحقيق الأشياء الواقعية، فهي الحرفة والباطلة، المستبدة والخادعة. فهي الإيدولوجيا مفحوط للتاريخ الإنساني وأقربون الشعب، وكما هو واضح فنتقله الانطلاق مادية في الطرح الماركسي.

يتعرض المؤلف بعد ذلك إلى افكار رسة من المفكرين حول الإيدولوجيا Louis Althusser في التفسير المادي الذي وأنطونيو غرامشي وميشال فوكو وعالم الاجتماع الألماني كارل مانهايم الذي يعتبر أن نقطة انطلاق الحركة بعد بنى الجبر ليست جاعدة بل متحركة. أما عبدالله العروي، فهناك هي كتابه (مفهوم الإيدولوجيا) نسبة هذا المفهوم، أي أنه متعدد الدلالات تبعا للمجالات التي يمتدحها، فالتفسير المادي يعمل في إطارها، لذلك يتميز هذا المفهوم باليسولة والنسبية في نظر العروي.

يبدأ المؤلف الفصل الرابع (المقاربة السوسولوجية للثقافة، بتعريف لمسولوجيا الثقافة بضميم: عنوان هذا الكتاب، فيعبرها تحليلا طبعية العلاقات والتطورات الموحدة بين أبعاد الإنتاج الفكري وسماته العامة، من جهة، ومعطيات البيئة الاجتماعية كعامل لاجتماع الاقتصادي والسياسي والعلمي والتاريخية منها والعاصر من جهة أخرى وبالتالي فهذه المقاربة هي دراسة وظائف هذا الإنتاج الفكري والبيانه وقائلاته في المجتمعات على مستوياتها كافة، (ص ٢٧).

فهي إبطان بهذا التحليل السوسولوجي يؤكد المؤلف أن كل ثقافة شفا موروثا وسمليا، وشفا أن كل



مركز دراسات الوحدة العربية

سوسيولوجيا الثقافة

المفاهيم والأطروحات... مؤلف: محمد إسماعيل

الأهمية المركزية للغة في نشأة وتطور الثقافة الإنثانية الطبيعية-الثقافية في المقاربات الأنثروبولوجية المتعددة لا تكاد تثير تساؤلا إبيستولوجيا أساسيا عن طبيعة الجانب الثقافي في ازدواجية هوية الكائن البشري. وهذا ما جعل كليف براون يقول بأن الثقافة تستعمل كتجريد غامض، كما رأينا من قبل.

لقد فادنا تساؤلاتنا بهذا الصدد إلى الاستنتاج أن عناصر الثقافة (اللغة، الفكر، الدين، المعرفة، العلم، القوانين، الأساطير، القيم والمعايير الثقافية...) الاجتماعية العامة التي تعمل في إطارها، لذلك يتميز هذا المفهوم باليسولة والنسبية في نظر العروي. يبدأ المؤلف الفصل الرابع (المقاربة السوسولوجية للثقافة، بتعريف لمسولوجيا الثقافة بضميم: عنوان هذا الكتاب، فيعبرها تحليلا طبعية العلاقات والتطورات الموحدة بين أبعاد الإنتاج الفكري وسماته العامة، من جهة، ومعطيات البيئة الاجتماعية كعامل لاجتماع الاقتصادي والسياسي والعلمي والتاريخية منها والعاصر من جهة أخرى وبالتالي فهذه المقاربة هي دراسة وظائف هذا الإنتاج الفكري والبيانه وقائلاته في المجتمعات على مستوياتها كافة، (ص ٢٧).

المحال، (ص ٢٩). ومن ثم فالتأثير الأولي/الأم لدسول باب الثقافة في دنيا المجتمعات البشرية هي اللغة. أي أن اللغة البشرية في شكلها التطويق والكتوب هي الأساس الوحيد لتحديد ظاهرة الثقافة في المجتمعات البشرية. فاللغة، هي كتاباتنا حول هذا الموضوع^(١) هي أم كل الرموز/معالم المنظومة الثقافية في المجتمع البشري. ومن هنا جاء نقدا لتعريف تييلور للثقافة الذي تخلو عناصره من كلمة اللغة، بينما هذه الأخيرة هي المنفعة أصلا لبقية عناصر المنظومة الثقافية في المجتمعات البشرية. وبعبارة أخرى، فالعلاقة بين اللغة والثقافة في المجتمعات البشرية هي علاقة حميمية جدا.

يحتل الفصل الثاني (المقاربة الأنثروبولوجية للثقافة، بأسماء ضاهير علماء الأنثروبولوجيا والتعاهير والماعيم والانابعات والنظريات التي أنشأها هؤلاء العلماء، نتيجة لدراساتهم ثقافات المجتمعات البشرية.

يقوم المؤلف بملاحظة هامة حول التعاريف الأنثروبولوجية للثقافة، إن مختلف التعاريف الأنثروبولوجية حافظت على القالبية بين الطبيعي والثقافي، (ص ٢٩) ههناك باليونفسكي تعتبر الثقافة نتيجة لتلبية الحاجات البيولوجية عند الإنسان. بينما يرى في ستراوس أن ليس هناك ثقافة إلا بعد تجاوز البيولوجيا ويتم هذا بطريق متفوقة أهمها اللغة فيصبح العامل البيولوجي ثانويا بالنسبة إلى علم الثقافة. تؤكد هذه الرؤية من جديد مدى

سعى المؤلف إلى تعمية كاملة لمبدأ مفهوم الثقافة كما تطرحه على الخصوص العلوم الاجتماعية والإنسانية الحديثة. ولعله يكون بذلك أفضل الكتب العربية شمولية لجال الثقافة، من ناحية، وأحسنها منهجية وتركيبا في كتابة المصطلح، من ناحية أخرى. الأمر الذي يؤهل ربما محتوى هذا الكتاب ليكون نصا مرجعيا لطلبة الجامعات الذين يدرسون مقررا حول الثقافة في العلوم الإنسانية والاجتماعية. ونظرا لطول الكتاب بسبب التفاصيل التي تحتوي عليها فصوله، من جهة، ومحدودية عدد الصفحات لكتابة مراجعة هذا الكتاب، من جهة ثانية، فإننا سوف نقتصر على ذكر بعض الأفكار الرئيسية التي يبررها كل فصل من فصول الكتاب، مع إمكانية تحليلها ومناقشتها باختصار.

في الفصل الأول (الثقافة وإنشائية التعريف والنشأة، يتعرض المؤلف إلى ولادة كلمة Culture والتي تعد التعاريف لهذه الكلمة التي تجاوزت ١٦٠ تعريفا (ص ٢٦) هيمن فيها علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع. ومن ثم أصبح مفهوم الثقافة أحد المفاهيم الرئيسية الثلاثة التي يكثر استعمالها في العلوم الاجتماعية المعاصرة، إلا وهي مفاهيم المجتمع Society والثقافة Culture والشخصية Personality (ص ٢٧).

يقوم المؤلف بمرور أدبيات علمي الأنثروبولوجيا والاجتماع الغربيين بخصوص كل من مصدر وتعريف الثقافة ههنا لنسبة لهذا الأخير يكتب بحروف غليظة التعريف: المشهور للثقافة لعالم الأنثروبولوجيا البريطاني Edward B Tylor (١٨٣٢-١٩١٧) دون إبداء أي نقد أو حتى أي تصحط لخل ذلك التعريف القابل للتحقق سبب ما يتضمنه من قصور، كما يتجلى ذلك في مساهمة مصدرا جرد ضاهير الثقافة هي المجتمعات البشرية.

فهناك بالتأكيذ بعض الاصطرابات عند المؤلف بالنسبة لصدر ظاهرة الثقافة في المجتمعات البشرية، فمن ناحية يقول: «فالثقافة لا توجد إلا بوجود المجتمع، وعناصر المجتمع الأولى هي الأفراد، والأفراد كائن اجتماعي لا يقوم ولا يبقى إلا بالتفاعل» (ص ٢٨). ومن ناحية أخرى، يؤكد: «والثقافة تدور لغة في ضرب من

سوسيولوجيا الثقافة، المفاهيم والإشكاليات... من الحداثة إلى العولمة

المركز عبد الله عماد
مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،
٢٠٠٦

يتكسبه الخلف بالقوم من الامايط الثقافية السائدة والمؤسسات التي تقوم بإنتاج وإعادة إنتاج شروط الإنتاج الثقافي، (ص ٨٧). وهذا الطرح متأثر كثيراً بفكر عالم الاجتماع الفرنسي بيار بورديو. ويؤكد المؤلف على السطوة الأولى من الفصل الخامس على أن الإنسان يطرده من المعطيات الأخرى بفكرته على صنع الثقافة دون أن يرجعها إلى اللغة المخلوقة والمكتسبة التي تتميز بها الجنس البشري من سواه من الأجناس الأولى. ومن ثم جاء غرض تحليله لمصدر نشأة الثقافة في المجتمع (لا وجود للثقافة من دون مجتمع إنساني، ولا وجود لمجتمع إنساني من دون ثقافة، ص ١١٥). إنه من نوع تفسير المأاء بالماء، كما يقال فهو استعمل المتكبر عماد عامل اللغة كمسبب حتى يبرز ظاهرة الثقافة في المجتمعات البشرية تلك الظاهرة التي طرأ تفسير أكثر مصداقية للثقافة يمكن مصاديقه على النحو التالي: (١) يمكن وجود مجتمع بشري بدون لغة/ لغات. (٢) الثقافة هي نتيجة لوجود اللغة/ اللغة في المجتمع (٣) اللغة/ اللغات هي إن الواسطة الرئيسية في تواجد المجتمع وثقافته.

ومسبب تضييق مآصل اللغة في التحليل والحديث عن الثقافة يأتي لفسور الكثير من موقولات هذا الفصل. ومن أمثلة ما يكتب عن خلال التفتيش إلى الثقافة: «دون كبر ما زلنا نلوي اللغة في ذلك، وعندما تحدث المؤلف عن موت الثقافة/ اللغات فهو لا يكتفي بذلك بل يذهب إلى أن هذا الشأن... قد صوّت الثقافة إلى تفكك المجتمع الذي يجعلها من طريق الفناء أو من طريق التفتيح... أو من طريق الانحلال» يتطرق أكثر ويظهر ثقافة جديدة تتماشى لا لاصهار الثقافة القديمة. حصل مع هذا التحليل المصيرية القديمة والفيزيقية والأوروبية والباسيلية.. وهذا المجال، الثقافي يعيش إلى عصر الثقافة العربية والإسلامية. فهل كان ممكنًا لهزيمة الثقافة العربية الإسلامية لا تتم - بدون انتشار لغة القرآن وعقيدته - هي مجتمعات الشرق الأوسط وشمال إفريقيا وصحو الثقافات السابقة الانتشار للإسلام واللفظ العربية في هذه المنطقة؟



يركز الفصل السادس مصادر الثقافة وإشكالية القيم وثقارت المصنوع، على التعرف على عناصر المنظومة الثقافية. يتناول المؤلف بالشرح لمصادر الثقافة، الثقافية البدئية، الثقافية الشعبية، الثقافة العالمية، العلم، القيم الثقافية، المعاني والأعراف والتقاليد والشعائر والمعتقدات، التراث الشعبي. يقدم هذا الفصل وصفاً لثراء الحواش كما تتحدث عنها العلوم الاجتماعية الحديثة على مفهوم المصنوع. فيحلل الكاتب مثلاً مفهوم القيمة المتطرقاً إلى عدة مسائل نجدها

في تحليلات أدبيات العلوم الاجتماعية فيقبل المؤلف اهتماماً خاصاً لبحث العالم ميلتون روكيش Milton Rokeach في موضوع القيم الثقافية (ص ١٤١-١٤٢). يتبنى هذا الفصل معرض وصفي لحدوث التراتب النفسي كجزء مكون لظاهرة الثقافة في المجتمعات البشرية دون أن يشرى هذا الموضوع بأصالة ميدانية من واقع المجتمعات العربية الإسلامية. وبعبارة أخرى، يقتصر صاحب الكتاب في محاور هذا الفصل على مجرد سرد وصفي هام لا يقوله مستخدم العلوم الاجتماعية حول كل محور دون تحلل أو نقد منه ليحس المسائل التي ورت في هذه العلوم، مما كان يمكن أن يؤدي بالتكثور عماد إلى إضافات في التحليل والمنهجية لدراسة مثل تلك الظواهر الخلاقاً من خلفية الثقافة العربية الإسلامية صاحب الكتاب. «المد الحضري في الثقافة، فيه يبدأ المؤلف الحديث عن معنى، الرمز، الذي يعتبر سوسولوجياً شيء ما يحدث مكان شيء آخر، أو أنه، ما حل محل شيء آخر ويستعصم به» (ص ١٧٠). في هذا الرمز هو ميزة الإنسان في بشية الكائنات، ويشتمل ذلك على كون الإنسان كائن عاقل وفكره ومثلك استمدادات تسمح له بتحمل الأشياء بأهمية رمزية وبالتالي بواسطة الكلمات (الطبعة) وللفاهيم العقلية والخيال. وقد أدت تلك الاستمدادات إلى تنمية لاستعدادات للثقافة الإنسانية في الإدماج والاعتراع، التي يحافظ عليه المجتمع البشري بواسطة منظومته الثقافية.

يبين صاحب الكتاب أن لرموز المجتمع عدة وظائف: الاتصال والمشاركة والتضامن، التنظيم التراتبي للجماعات، ربط الحاضر بالماضي، ربط المجتمع بدينه وقومه. يرى المؤلف بأن التفاعل الرمزي في المجتمع يشكل لب الشخصية والهوية الجماعيتين ولتتين بدونهما لا يمكن إقامة التواصل مع الآخرين. يركز الفصل الثامن من الكتاب على ظاهرة التغيير في الثقافة وعلافة ذلك بالتغير الاجتماعي، فيعرض مجموعة من الأسباب والتغيرات مثل العوامل البيئية والجغرافية والسكانية والإيديولوجية والتكنولوجيا والقيم والأفكار، وتكتفي هنا بذكر عدد قليل علماء اجتماع سامعوا بشكر في فهم الثقافة وطبيعية التغير فيها. فماكس فيبر يرى أن العوامل الفكرية والروحية تلعب دوراً مركزياً في عملية التغير في (ص ١٩٨). وكما هو معروف فقد فصل القول في قوة الأفكار في إحداث التغيير كما يشهد بذلك كتابه الشهير الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية الذي يؤمن منهجية سوسولوجية مضادة لتحتملها الاقتصادية. يناقش صاحب الكتاب نظرية سوريكين حول تغير القيم التي تستعمل

فمايون المعجم، الذي يعتبره سوريكين الأساس في عملية التغيير. يتحدث سوريكين عن مبدأ الحد في الثقافة والذي يعني أن الثقافة تتغير بمرورها الداخلية وحركتها المستمرة إلى أن تصل إلى حدود معينة تتباعد فيها حركة دائرية مستمرة بعد كل ثلاث مراحل إلى مسيرتها الأولى. والمرحلة الثلاث عند سوريكين هي: المرحلة الوحدانية والمرحلة المثالية والمرحلة الحسية. أما مساهمة وليام أوجيسر W. Ogburn في مسألة التغير في الثقافة فتتمثل في نظريته حول الهوية الثقافية Cultural Lag. تقول هذه النظرية أن التغير في الجانب المادي للثقافة يسبق دائما التغير في الجانب الرمادي. ومن هنا جاء مصطلح الهوية الثقافية

ويطرح المؤلف في الفصل التاسع موضوع «الحدث» وما بعد الحدث، فيعرض هذين المفهومين ويتطرق ويناقش بعد ذلك أبعادهما في المجتمعات وعند بعض الباحثين والمفكرين الذين اتسموا أكثر من غيرهم بفهم وتحليل طبيعة هذين المفهومين. يذكر بعض الأسماء البارزة في هذا الميدان أمثال إيدن أوجلاب المسيري وبيرتر برغر Peter Berger وآلان تورنر Alain Touraine وروبيرت هيرمانس Hbermans وفريديريك ليونارد Lyndard وأرنست غلنر Ernest Gellner. هناك عدة مؤشرات للحدث كما يتجلى في المجتمعات العربية وغيرها، مثل المشاركة السياسية والتسجيل الاجتماعي والوعي والاندماج الاجتماعي. استكمالاً لمتزايد للتكنولوجيا وتطور نموذج جديد للشخصية القاعدية في المجتمعات الحديثة. توصف هذه الشخصية بأنها رشيقة وعقلانية قادرة على اتخاذ قرارات مبنية على المعرفة والحسابات الدقيقة والروح والخسارة. ذات خصصية ذات تركيز على الذات (فردية) مدعومة مجموعة نحو الإنجاز وتحقيق الطموحات الشخصية.

يطرح المؤلف في الفصل العاشر «الحدث الثقافي» ويتبناها، بداية التاريخ وصادم الحضارات ومفكرات أفكار وتطورات ثلاثة من المفكرين الأمريكيين البارزين في الوقت الراهن، وهم سامويل هانتنغتون وفريديريك فوكاياما وألفن توفلر Toffler من القرنين العشرين والعشرين. أفكار توفلر من أفكار ريملي. يتناول توفلر رؤية جديدة للمحور الحضاري عبر التاريخ مستعصلاً مفهوم الموجات، Waves. فيظهر ثلاثة عصور: بدأ الأولى بالموجة الفلاحية وتمثل الثاني في عصر الصلصلة ذات الماخن. أما الموجة الثالثة فهي موجة عصر المعلومات الذي يحمل معه تغيرات ذات نوعية جديدة يكبر المؤلف جوده لتقنيو نتائجها التغيير الذي لحته.

إن الفصل العاشر عشر «الحدث الثقافي» ونزجها: العولمة وإشكالية

الهوية، هو آخر فصول هذا الكتاب يعرض المؤلف إلى العيش الكبير من المكتات حول طاهرة العولمة بأنها التي المحصلة من فيها العولمة الثقافية التي تهدد الخصوصية الثقافية والهوية القومية وتشتت هيمسة الثقافة الاستيعابية وتشل قدرات على فهم المحلية في المجتمعات التي تتعرض إلى عولمة الثقافة المسيطرة. فيرى صاحب الكتاب أنه إذا كان الباب الاقتصادي والسياسي قد شرع أمام العولمة، فإنه من الطبيعي أن يصبح الحال الثقافي بكل أبعاده محالاً خصباً لتداعياتها ولعل هذا الحال بالتدريج من أخطر النتائج المترتبة على العولمة لآثارها في الثقافة والهوية والانتماء للشعوب والأمم التي أصبحت مكشوفة أمام مؤثرات التحديثات لم تعد تشع معها المتربة على المحلية لآثارها في الثقافة والخصوصية والهويات الثقافية المحلية (ص ٢٨٨).

ويكاد يصعب مؤلف الكتاب أي شيء جديد وحديث لم تعد تشع معها (ص ٣٠٥). فيظهر مثلاً مصدر نشأة الثقافة غالباً أو غامضاً، كما رأينا ذلك في بعض فصول الكتاب. ومع ذلك، يهيب الكاتب على أحد معالم الهوية الثقافية العربية المعاصرة، فيصفها بأنها ذات شجرة إمبريالية تتشعب إلى أمم لا تكتفي بالحق ثقافات متعددة، بل هي في تسمى بقوة إلى تمكين تلك الثقافات واستيعابها بشكل ومحتوى. وهذا ما يساعد على صاحب الكتاب على إضاحل قسبل النزاعات الاموية والقومية والدينية. وكما أوضحنا في الصفحات السابقة، فإن الكتاب خليط من الإجابات والاسئلة في محاولة طرحه لعلم الاجتماع الثقافي للقرن العشرين، وفي نظره سوف يتحسن المستوى المعرفي والتحليلي لمفهوم الكتاب لو أخذ المؤلف على الأقل بعض الأفكار ذات فترات المودة في هذه المرحلة فيصحبها إلى فصول الكتاب في طبعة قادمة. ■

المراجع

- (١) العولاني محمود (٢٠٠١) الثقافة بينة تاصيل الرؤية الإسلامية وإشتراف منظور العلوم الاجتماعية. بيروت: دار الكتاب الجديد، ص ٣٧٦.
- (٢) العولاني محمود، في أبعدها الرموز الثقافية، (٢٠٠٦) ص ١٢.
- (٣) المبالا ربي (٢٠٠٥) آراء الناضج من أجل بناء نظرية في الثقافة عبرت الحركة الثقافي العربي، ص ٢٢.
- (٤) العولاني محمود، في الصفات الثقافية، (٢٠٠٦) ص ١٢٨.
- (٥) مارتين، يونيو ١٩٩٧، «الطاقة ذات التشتت الآخر»، أرمه الهويات الثقافية في الوطني العربي والعالم الثالث، تونس، الأطلسية للمشر، ص ٢٠٢-٢١٠.
- (٥) البلقوري، أحمد حسن (١٩٨٧) أثر القرآن الكريم على الدولة العربية، عالم درر المعرف.

أحمد على الجارم

■ ربما لم يكن الضردق أول الهجائين في تاريخ الأدب العربي، وإن كان أشهرهم، إلا أن تاريخ هذا «الأدب» حافل قديمه وجديده بسجلات ومناوشات.. تختلف أسبابها و، كوامنها، الموضوعية أو الذاتية. ولكنها تظل - مهما يكن من أمر - سطورا في هذا الكتاب



عمر الجارم

■ ظهر للدكتور ركي مبارك عام ١٩٤٧ ديوان شعر سماه «الجان الخلود»، وفي الصفحة السابعة من تقديمه لهذا الديوان نشر له ما يلي: «أذكر أنني قلت في إحدى كلماتي أن الاستقامة المطلقة ضرب من الجمود الترتيب جيده شاعر مبتدئ مثل الأستاذ على الجارم وهو أجهل من أنجبتهم مصر في حياته الشعرية وهو في حياته النفسية غاية في الانحطاط وحياته الأستاذ على الجارم شبيهة بحياته الأستاذ أحمد أمين: فالأستاذ على الجارم يأبى عليه الوفاق المصنوع أن يسير في شارع فؤاد والأستاذ أحمد أمين يأبى عليه الوفاق المدخول أن يسير في شارع عماد الدين. أخزاكم الله يا أدعياء الأدب والفكر في هذا الزمان. إن الطبيعة تشكر هذا الرياء: نهر النيل يتحول من مكان إلى مكان ونهر السين يتحول من مكان إلى مكان ونهر دجلة يتحول من مكان إلى مكان (هكذا). كيف كان يعيش على الجارم لو لم يمتصم بدعوى الميرة على النحو والصرف وهو أجهل الناس بعلم النحو وعلم الصرف وكيف كان يعيش أحمد أمين لو لم يمتصم بدعوى الفجرة على الأخلاق؟ أحمد أمين على خلق؟ لم ترضه المكافأة التي يأخذها من مجلة الرسالة فكانها بإنشاء مجلة الثقافة والمكافأة ليست من أخلاق الرجال وانتزع أحمد أمين كتاب الرسالة لتموت الرسالة فوقفت في وجهه وقفة أندرتة بلطت من الخوف».

وهي صفحة ١٢٠ من نفس الديوان نجده يقول: «الجارم يزعم أنه من رشيد وهو كذاب كذاب. فإن أهل رشيد عرفوا سقوه الشكيمة ولم يعرف هو بغير الاحلال».

وهي صفحة ١٢٤ من نفس الديوان نجده يقول: «وثبتت وأنا راغم أن الأرزاق بيد الله وأن الملام الذي تنطوى عليه نفسي لن يصير أحدا شيرى».

ولكي ننضم شخصية الدكتور ركي مبارك نستعرض بعض ما كتبه في هذا الديوان فنجده يقول في الصفحة السادسة: «ليس في أشعاري مديح فما أعرف رجلا أعظم مني لأنظم فيه قصائد المديح، وفي صفحة ٨ يقول: «إنما الحديقة الثابتة فهي الصباغة المعنية في ديوان (الجان الخلود)» إن كل

مناوشات أدبية

الضخم لسيرة الأدب والأدباء المحكومة بتراث عربي وأدبي راسخ من الضخر.. والشاز. هنا يكتب عن والده دكتور أحمد على الجارم، الطبيب المجمع، ويحكى لنا بعض ما كان بين الشاعر الكبير، الدكتور، زكي مبارك.



بيت في هذا الديوان قد وُزِنَ بميزان كأنه
صمحات من كتاب (الشتر الفتي) أو
صمحات من كتاب (التصوف الإسلامي)
أو صفحات من كتاب (الموزنة بين
الشعراء).^(١) ولن يستطيع نالقه
متحدث أن يكتب حرفاً في نقد هذا
الديوان، فما عرفت اللغة العربية في
تاريخها القديم وتاريخها الحديث قلما
أمسى من قلمي أو بيانا أبلغ من بيان.
قال الدكتور محمد صبرى إن ديباجتى
التعريفية ديباجة بخترية وهى كلمة يريد
بها الثناء ولكننى عن نفسى أشعر من
البخترى وأشعر من جميع الشعراء
لأننى ملك الشعراء..

كما نقرأ له فى صفحة ٥٤ قوله، «وما
هى إلا أشهر قلائل (كان ذلك عام ١٩١٦)
حتى صحت عزيمته (الفتى زكى مبارك)
على أن يكون من أئمة الراى والبيان فى
اللغة العربية. ولا تدش من هذا الأمل
الجارف فصاحنا مصتون بنفسه أشد
الفتون وهو يرى نفسه أذكى الناس وأقوى
الناس ولم يخطر بباله أن الله أنشأ
إنساناً أصح منه عقلاً أو أقوى جسمًا
ولولا نشأته على الوقار لكان من كبار
المصارعين..»

كما نقرأ له فى صفحة ٨٠ قوله، «قال
رشدى (أحد أصفياه) وتشرب الخمر
مع هؤلاء الموسسات؟ فقلت، أكره عن
ذنوبى يوم شربت الخمر مع بعض الوزراء
والحسناات يدهن السيئات..»

لقد رعموا أنى سكرت وربما
يظن العتى سكران وهو حليم
لعمرك ما نالسكر عار على الفتى
ولكن عاراً أن يقال للحم.

أما فى صفحة ٢٤ من هذا الديوان
فنقرأ له قوله: «تعدت فقلت إننى لا
أخاف الله إلا تأدياً مع ذاكه العلية فكيف
أخاف الناس؟ ثم يالعت فى التمررد
فتحميت الله لأننى أعرف أن الله لا
يستطيع مقابلة التحدى بالتحدى وأنا
اتحده إن تحدى وأنا حاضر للتحدى،
(ما كل هذا التحريف والتهيان يا دكتور
ركى).^(٢)

وهكذا فقد تدنى الدكتور زكى مبارك
فى تهجمه على «الجارم» إلى المستوى من
القول الذى لم يلتفت إليهما الجارم الذى
لا يد أنه كان يريد قول الله تعالى، «وعباد
الرحمن الذين يمشون على
الأرض هوناً وإذا خاطبهم

د. زكى مبارك





يقفاد ويبروت والخرطوم عرفت الجارم حين هتف في روعها هاوكد جذوات الحماسة وأشعل حمية العروبة

يقفاد في ١٩٢٨م

كانت الجمعية الطبية المصرية برئاسة الدكتور على إبراهيم باشا - جراح مصر الكبير - تقيم مؤتمر سنويًا وتحرس على أن يكون هذا المؤتمر في إحدى العواصم المصرية المختلفة حرصًا منها على تبادل الخبرات بين الأطباء العرب وعلى الترابط القوي بين بلدان الأمة العربية مما أثر في ترسيخ مفهوم العروبة وأدى إلى قيام جامعة الدول العربية عام ١٩٤٤. وكان الجمع اللغوي يختار الشاعر الكبير على الجارم ليمثله في هذه المؤتمرات ليحيي هذا الاتجاه العروبي القوي ويشيد بدور مصر القيادي في محاولة النهوض الحضاري للأمة العربية.

وفي هذا المجال تقرر للدكتور محمد رجب البيومي قوله^(١): "تقدم على الجارم إلى الأمة العربية بعلفه قبل أن يتقدم شعره فقد عرفته ربيع الضاد بمؤلفاته الرائعة ذات الأجزاء المتعددة في البلاغة والنحو لأن مكتبته الجارم في هذين العلمين كان فتحًا جديدًا جعل الصعب سهلًا والبعيد قريبًا. لذلك تعددت طبقات (النحو الواضح) حتى بلغت الخصمين وفُرت أجزاءه في مدارس الشام والعراق والأردن والسعودية حينًا طويلًا من الدهر. ونحن انتقل شوقي إلى دار الخلود تأتق الجارم شاعرًا كما تأتق عالمًا فصار ممثل مصر في محافل العروبة. والجارم قوى البيان مكتمل الأداة يارع الإلقاء. كان الجارم أحد المرسان الصالحة في ميادين الصراحة الباهرة حين كانت البلاغة مهوى النفوس وحين كان الجمهور ذواقًا يلم بشذون من روائع الأدب في القديم والحديث؛ فلما مثل مصر بشاعريته الحاضرة وديباجته العربية الناصعة جذب الأسماع لما يقول لقد كان الحفل

حين انتقل شوقي إلى دار الخلود تأتق الجارم شاعرًا كما تأتق عالمًا فصار ممثل مصر في محافل العروبة



الجهير يضم أفئدة الشعر من كل وطن عربي ولكل شاعر منزلته الرفيعة دون ريب؛ ولكن الجارم يقف في الطليعة بين شعراء كبار فتكون قصيدته مجال التقدير والملاحظة ويعود إلى مصر وكأنه عاد من فتح حرى بعد أن سجل بطولة الانتصار. وإذا كان المصريون قد تعودوا حينئذ سماع روائعه بالإذاعة المصرية إلقاء وترجيماً فإن بغداد وبغداد والخرطوم عرفت الجارم الشادي الفرد حين هتف في روعها كرة بعد كرة فأولاه جذوات الحماسة وأشعل حمية العروبة وأعاد مجد السابقين من فرسان البيان. وللقصيدة العربية موسيقى أسرة تهر من بضفي إليها ويشعر بها كل سامع على قدر استعداده مهما كان غريباً من تعمق المعاني واستشفاف الخواطر. فإذا كان من ينشد القصيدة عالماً بفن الإلقاء وتجويد الكلام وكان ذا صوت لؤلؤي الإيقاع فإنه يبلغ بتأثيره النفاذ ما لا يعد وراءه من التأثير. وكذلك كان الجارم وقد لقب (بالصناجة) لموهبته الإيقاعية، فإذا جمع إلى هذا التفريد الساحر عنوية البيان ووضوح الديباجة وملك التعبير عن الخواطر المكشوفة والهواجس الدفينة حتى كأنه ينطق عن أغوار الناس في موقفه الإنشائي فإنه يهز الحفل هزاً؛ والذين ينكرون ارتياع السامعين له يبههم من الشعر ويصدونه من قبيل

الخطبايات يتكرون الشعر العربي مند وجد إلى مصرنا هذا وعليهم أن يقطعوا الصلة بين الطريف والتلديد حين يأتون بضباب جائل تليده الريح. زار الجارم عاصمة الرشيد ثلاث مرات فكانت كل زيارة له موسماً شعرياً لا ينقطع صداها عدة شهور؛ زارها مثلاً للمجمع اللغوي في المؤتمر الطبي يقفاد سنة ١٩٢٨ فأُنشدت قصيدته الذاتية^(٢)

بغداد يا بلد الرشيد
ومنارة المجد التليد
وفيها تحدث عن سجل المجد الخالد، إذ كانت بغداد مضرب المثل للشهيد، وأنصح السمع للعروبة خطى في لوح الخلود، ولا يتبيك عن بغداد مثل الجارم حين أخذ يناديها متسائلاً:

بغداد يا دار النهى
نبت القريض على ضفافه
سلك بين أفنان الورود
سرق التذلل من (عنان)
والفتن من (وحيد)

بغداد أين البحري
وأين أين ابن الوليد؟
ومجالس الشاعري
بيت ابن يحيى والرشيد؟
أين القيان الضاحكات
يمسح في وضي البرود؟

الساهرات مع النجوم
الأنفاس من الهجود
يخطرن حتى تعجب الأغص
سان من لبن القدود
وإدا سمر قايين ضو
ش الشمس من شفق الحدود؟
سود، والجو يسطع بالمسيوق، والأرض
تخرج بالجنود:
حتى إذا رجعو بدا

بجباهم أذر السجود
أما عواطف مصر شئت ضاحض يقرأ
عواطف كل عربي مثقف ضاحض يقرأ
التاريخ ويحجب بالخيال إلى أبعد
مرايمه. فيقول القرون النائية، ويكف
أسرار العقود، ويهتاجه الطيف البعيد
فيصوب إلى ظل الجاه والحرّة في زمان
المجد الغابر، وينادي أمة اليوم أن تعيد
مجد الأُمم. فاليوم يوم السباق والسبق
لا التفتخر والتكوص، وللمجد يدعو ذويه
للمصود فلا تكل، كل هذه المعاني وجدت
متنفسها العاطر في قول الجارم.



ثم نقرأ لأستاذ عبد المنعم خلاف
مكتبته في مجلة (الرسالة): "وأضاف هذا
الحفل ويقول: ثم وقفت الجارم يرسل
قلبه في صوته المهود الذي يخيّل إلى
أنه كله هاء عريقة من فرط الشجوة وإثارة
النفوس واستحضار المعاني الكفنة التي
لا تظهر وتستعلن إلا إذا تلا لها ساهر
رقية أو عزف لها عازف بريّة أو نسا لها
شاد بسنة أو خيل لها مخيل بريشة -
وقف يقبل وجهه في السبل والسماء والأرض
والجهات الأربع في قلق وغيبوبة شاعر
ويمسح على أوصال الجميع بحركاته
ويرسل شفيه فيخيل أينما من سحره أن
قلوبنا تفتلها بالدكرى الحادة ثم
بالفخر التنازع ثم بالصالح المرسل ثم
بالعزم المرسي الدافع ثم بالأمل القريب:
فيخرج الدكتور ركي مبارك - طبيب ليلى
المرصية بالعراق - عن طوره وعن حدود
وقار الحفل فيستعيد ويطلب ويصيح
ويخاصة إذا جاء بين يديه ذكر (الحسان)
وإعود (الحسان). ثم ينتهي الحفل
السعيد بجوه الروحاني وقلوبنا وراضة
وأكتفا دامية ويقلل الأدياء والأطباء على
(الجارم) يظنون منه ثمن دواء للألف
المسلخة والعلوب الجريمة. ويقتبل

(طبيب ليلى) فيطبع على خدى الجارم بك قبلتين ذواتي رتبتي أدار الأضمار يا معسر ضمنتهم ما يثقلني بغير على بأنه نال بيهما ما لم أتل ثم يرتد إلى الحارم بك يشره بأنه من أول الداخلين إلى الحنة جزءا خدماته تنشره للغة للقران ولله في الدكتور زكي شوب.

تري ماذا كتب الدكتور زكي مبارك عن هذا الحفل؟ دعنا نقرأ في صفحة ١٣٢ من كتابه (ليلى المريضة في العراق) قوله، « وكنت مع الأسف - ذهبت إلى الحفل وأنا أصمر الشر للأستاذ على الحارم فقد كتب في منهاج الاحتمال أنه (شاعر مصر) وأذا أكره الألقاب الأدبية. فلما وقع ليلى قصيدته لم أصفق - وأعديت من حوئي بروح السخرية فلم يصفقوا؛ ولكن الجارم هجرني وهجر الحاضرين جميعا على أن يدموا أنفهم بالتصفيق وغافني أن تصفق (ليلى) لشاعر يرى بحكم منصبه أنه رئيس لأنه كبير المفتشين بمزاولة المعارف المصرية ولولا حكم القديمة تكنت الرئيس وكان المروءس ولكن ماذا أصنع وقد سبقني إلى الاستاذية بأعوام طوال؟ وأنا والله أظلم نفسي بهذا الكلام؛ فما أذكر أبدا أنه حدثت على إنسان، وما أذكر أبدا أنه عرفته معاني الحسد والضغف لا على الدهر الخبول الذي يتشعل فيرفع الأديعاء، لقد هجمت على شاعرنا الجارم عدة مرات وأجربته في وزارة المعارف يوم رأى الأستاذ أبو بكر إبراهيم (وكان معاشا بالوزارة) أن يكتب في نشرة رسمية أم أمير الشعراء. وقد عرف الجارم خطر ما أصنع فكان هو أيضا يهازني في مكتب تمتشيش اللثة العربية ولولا سماحة الأستاذ جاد المولى بك لكانت النتيجة أن أعيش بين المفتشين بلا صديق، فيا أيها العدو المحبوب الذي اسمه على شاعر مصر في المؤتمر الطبي العربي وستر أجيال وأجيال ولا ينسأك أهل العراق وأنت كنت خليفة شوقي في المعاش

وخليفة حافظ في الإلقاء. إنني أطلب المستحيل حين أطلب من مصر إنصافك وهل أنصفتني مصر حتى تصفك؟ وهل أنصفتني مصر وكنت مجنونها وكانت ليلى؟ يرحمسي الله ويرحمك فنهده وحده جزءا الجاهدين. وهنا أشاءل ماذا كان يفعل الدكتور زكي مبارك في نفس بغداد وفي نفس التاريخ؟ تعرف على إجابة هذا السؤال عندما نقرأ ما كتبه في ديوان (الحنان الخلود) صفحة ٢٢٦ مقدما لإحدى قصائده بعنوان (أدب الربيع) قائلا: «في شهر فبراير من سنة ١٩٣٨ عقد المؤتمر الطبي ببغداد وكنت أحد أعضاء المؤتمر ولأيام ذلك المؤتمر تقاصيل كثيرة في

كتاب (ليلى المريضة في العراق). كنت شرت بوحشه شديدة من اغترابي في بغداد فجاءت (روح مصرية) مع أييها في المؤتمر فأسرقتني عينها من أول نظرة وألقت بنفسي في سفير الغرام ثم كانت الرحلة إلى (سدة الهندية) وهي قنطرة على نهر الفرات يسمع للأموح فيها هدير عفيف، وفننا فوق القنطرة عينا إلى عين وفلها إلى قلب لنصنع ميثاق الغرام الجديد. زفرت زفرة محرقة وقلت: يعز علي أن تصور أنني لن أقف معك هذه الوقفة مرة ثانية فما انتظر أن تعودني إلى العراق. فقاتل ستكون لي معك وقفات على القناطر الخيرية أيام طعياي النيل فهناك هدير اعف من هذا الهدير ونسيم أرق من هذا النسيم؛ ثم كانت بيني وبين تلك الروح أشياء بعد رجوعي من بغداد. وفي يوم الجمعة من أغسطس ١٩٣٩ كان موعد تلاقينا بالقناطر الخيرية. مضيت إلى الكازينو وهو مكان التلاقي فوجدت رؤية السنهوري باشا وأمامه كأس والبرامبو ينقل سورة الكهف. قال السنهوري باشا: لا تلاخضاني يا دكتور زكي فأنا لا أفهم القرآن إلا بحضرة الكاس. فشرينا الخبز فامتسمت وقلت: وأنا أيضا لا أفهم القرآن إلا بحضرة الكاس. وشرينا حتى أروينا وفي السماء بهت التكنيق بصوت تلك الروح فأعرف أنا لم تخلف الجهاد ولكنها استعيت من لقائتي ومع السنهوري. قلت: تعود فالسنهوري لن يوجد هناك في كل يوم. وقد اتفقت معه على أن تكون مجالسنا المصرية في بار سيميل وفي الليل. عدنا إلى كازينو القناطر الخيرية مرة ومرتين ومرات وأمتعا أرواحنا وأسماعننا بهدير الأمواج وتناجينا بين أشجار تلك الحدائق الغناء. طاب لي أن أخذ لها صورة وهي تبتسم للأشجار بأرق من بسمات الأزهار فطربت لذلك وضع منها ثور الجمال وسحر الدلال. وكانت لنا بعد ذلك سهرات حمراء يصمر الجديدي في أصمعية أيام الثلاثاء. ثم تأتي هذه القصيدة (المصماء) التي أوهاها ذلك المجنون وذلك البعث للدكتور الشاعر زكي مبارك:

إنني وكل شاعر من البشر
شيطانه أنثى وشيطاني ذكر
أنني أحب الحب
وماذا تراه الليالي
ماذا ترى الأيام
الحسن وحى خيالي
والشعر للأحلام
حفظت في الحب عهدك
يا زهرة الربيع
فاحفظ عهودي عنك
عهد الهوى لا يضع
إنني خلقت جمالك
وأنت أبعدت شعري

ما كان سحره يوما
إلا خالة سحري
من أنت في الزهرات
لوشنت سميتك
أنى بوحى الهوى
من مهجتي صعتك

الإسكندرية عام ١٩٤٣

كان المؤتمر الطبي هذه المرة بالإسكندرية التي كانت تن تحت وطأة الحرب العالمية الثانية إذ انقرب الجيش الألماني بقيادة الجنرال روميل من العلمين بينما كانت طائراته تطعمها بقنابلها. وكان الجارم مملاا لمجمع القوى أيضا في هذا المؤتمر والقي في حفل افتتاحه قصيدته «الإسكندرية»:

بنت اعلامها هفا وهاما
سلامة درة الوادي سلاما
بعشا باتحيا حق قلب
يطير إليك شوقا واضطرما
عروس الشرق دونك كل مهر
وأين لئل مهرن أن يساما
بهرت بنى الزمان على وسنا
ودلت الأواخر والقداسي
ثم يشير إلى تاريخها المجيد واخضره
في العلم والحصارة متفرا قائلا:
بعثت النور من زمن تولى
وكتبت لنهضة العلم الدعما
وهي فجر الزمان طلعت فجرا
على الدنيا فأيقظت النيام
ثم يشير إلى ما جرته الحرب عليها
من ويلات قائلا:
ذهبت لوزال أو زين رضوى
لما أيقين رضوى أو شهما
فكتم نغمو على ظمأ شهما
لنجم البرق قد حجب الغماما
أبايلا نشان معلعات
تسوق أمامها الموت الزؤاما
فما أطلقت صيحة مستجير
ولا شرحت عن عين منما
تحديد الخطوب تزيد هولا
فتزدان صبرا واعتزاما
ومن يكن إلا له نصير
فحاشا أن يضع أو يضاما
ثم يتذكر الماضي الجميل وشبابه
الفاتن قائلا:

أبنت البحر والذكرى شجون
إذا حست فؤادا مستهاما
ذكرت صباي فيك - وأين منى
صباي؟ إلام أنشد لإلام؟
فغذرا إن وصلتك بعد هجر
وما هجر الذي حفظ الدما
ثم يصل إلى المؤتمر ورسالته قائلا:
سعى لك من حماة الطب حشد
فكنت كريمة لاقت كراما
إذا اختلفوا لوجه الحق يوما
مشوا للحق فالتأما التنا



في أيها العدو المحبوب
الذي اسمه على الجارم -
تذكر أنك كنت حقا وصدا
شاعر مصر وستر أجيال
وأجيال ولا ينسأك العراق



إنني أطلب
المستحيل حين أطلب
من مصر إنصافك وهل
أنصفتني مصر حتى
تصفك؟



ما بين الجار.. ومبارك

في الشقة الخاصة بمصر الجديدة كما ذكر آنفاً).

رجعت إلى مهد العصابة والهوى
أسأل قلبك عنك في شعبة العتب
رجعت فألميت المهاد كهده
وأنت معي يا روح جنبا إلى جنب
ثلاثين يوما ما التقينا فما الذي
يروعك من أمرى لتفتر من قريبي
لقد شاب وأسى شاب من هول جوركم
ونار الجوى المكنون تزخر بالشيبي
أواجه في المرأة شمري فأنثني
خفيرا وأنى شيت بالمجد والحب
لئن شاب وأسى في الهوى فتشبيتي
على خير ما تجروه من قوة الهمب
وما تصنع الخمسون غامت خطوبها
بفضل شديد الأيس يفتلك بالخطب
وقد ذكرني هذا الشعر بما قاله الجارم
بالمقابل مستخرا بنسبه إلى الرسول
الكريم عليه الصلاة والسلام قائلا
يا جيرة الحرم المزهو ساكنه
سقى العمود الخوالي كل منسك
لي ينكم صلة عزت وأصبرها
لأنها صلة القرآن والنسب
وقوله،
ولي نسب ينمي بيتك صائني
وصانته متى عزت وأباه

المصطفى حين أشد الإزعاج. أسرعت
فأسفرت ويحتت منه في الشواطئ إلى
أن أشتيت إليه وهو يلعب الأمواج
ببوماء الشرق تغفينا معا في مطعم
كان يميل إليه. وقضينا العصرية في
نزوات مختلفات وبعد المغرب أضرت إليه
أن تقضى السهرة في منزلي ليستريح
من ضجيج الجنود في أوقات الضراب.
ولكن غارة جوية تنور قبل نصف الليل
فتوجب أن يبيت عندي.. وكانت ليلة من
أجمل الليالي.. ثم ينصرف مع الشروق
ليترك مكانه في الفندق خوفا من أن
يظن أصحاب الفندق أنه أصيب بشظايا
القنابل في تلك الليلة الليلية. كان
وجهه عند الصباح أجمل من الصبح.
قال وهو ينصرف: لقد شعرت بسعادة
عظيمة عندما الملل بالقرب منك
وأرجو أن أظفر مرة ثانية يمثل هذا
الحظ المعيد. رجعت إلى الإسكندرية
بعد أشهر والشتاء في الصفوف. رجعت
وسدى فانتقبض صدري، وشعرت بوحشة
تزلزل القلب أصف الزلزال.. المكان
نفسه موحش لأنه ليس فيه. فكيف لا
يوحش مع تلك الأحوال: فكانت أخباره
انقطعت عني ثلاثين يوما مع أننا كنا
نلتقي في جميع أيام الثلاثاء (بالخطيب

ملانكة إذا لمسوا عيليا
أزاحوا الداء واستلوا السقاما
وأخيرا - ولا ينسى ذلك أبدا
يدركهم بحروقتهم وينهضتهم
قائلا.
وهو العرب شاكم فريضي
وحس إلى معاهدكم وهاما
رعى الشرق العمامة بعد لآي
والقى تحت رجليه الخطاما
عقدنا للعبوة فيه عهدا
فلا وهنا نخاف ولا انحصاما
نلمس شتاتنا أنى نزلنا
حجازا أو عراقا أو أصاما
ونعشى إن دعت صفا فصفا
نصافح تحت أيتها الزواما
وهنا يثار السؤال مرة أخرى. ومادا
كان يعمل الدكتور زكي مبارك في
الإسكندرية وفي نفس الوقت تقريبا ١٩
وسوف نجد الإجابة - أيها القارئ
الفاضل في صفحة ٣٥١ من ديوانه
(أحسان الخلود) حيث يقول تحت عنوان
قلب تنيره العواصف، كان هواي كتب
إلى خطابا يذكر فيه أنه مضى إلى
الإسكندرية ليمسك وهو يحب أن
يراني هناك وكان ذلك في أحد أعوام
الحرب والسفارات الجوية تزعج

عليك سلام الله مآثر شارق
وما عطر الدنيا عليك ثناء
وقوله في قصيدة دار العلوم:
إن صاعدا الهوى لغير سفير
سندنا كرايم الأحساب
وقوله أخيرا:
شفت الناس بالانفوس وبالحقد
فإن تلق لعملة تلق حقدًا

هــوـاـمـشـ

- (١) أحسان الخلود للدكتور زكي مبارك الطبعة الأولى ١٩٢٧. طبعة دار الكتاب المصري بمصر رقمه في دار الكتب ١٧٩٦٢ إلى ١٧٩٧٨.
- (٢) هذه الكتب الثلاثة من تأليف الدكتور زكي مبارك.
- (٣) مجلة الهلال، على الجارم. سفير مصر في معاهد العروبة السنة الرابعة والشصون أكتوبر ١٩٢٨ وفي كتاب الجارم في صميم التاريخ أعداد الدكتور أحمد على الجارم ١٩٩٢ من ١٤٥.
- (٤) ديوان الجارم الطبعة الثالثة ١٩٩٧ الصادر ١٩٩٩ فبراير ١٩٢٨.
- (٥) مجلة الرسالة السنة السادسة عدد ٢٢٢ من ١٩٢٩.
- (٦) كتاب ليلى الخريصة في العراق للدكتور زكي مبارك الجزء الأول ١٩٣٩ طبعة الرسالة.
- (٧) ديوان الجارم الطبعة الثالثة الصادر المصرية الثانية ١٩٩٧ من ٢٦٨.

شركة المهندسين للتأمين

MOHANDES INSURANCE COMPANY



معاً مستقبلاً باقياً



المزكك



تخطى مستطافكم



صديقكم



أحلامكم

لنحارب معاً ضد عالمك أجمع يمين المهندسين للتأمين

Call 19318

www.mohandes-ins.com

وثائق التأمين على الحياة
وثائق تأمين المسافرين
وثائق تأمين السيارات
وثائق تأمين الحوادث
وثائق تأمين الحريق والسطو
تأمين النقل البحري والجوي

صناعة الوهم

هناك من حاول قنسى، لكنها كلها
ساهمات أريج أن تكون مبدعة
لكن مثل هذا العلم لا يبنى على
التواضع بل يخضع لقواعد وخبرات
مترابطة. لا تخرج في نهاية الأمر عن
كوبها حصص التخطيط Planning وتقسيم
به توظيف الإمكانيات البشرية والمادية
المتاحة والتي يمكن أن تتاح خلال سنوات
الصبي من أجل تحقيق أهداف معينة مع
الاستخدام الأمثل لهذه الإمكانيات ويقوم
على مجموعة عناصر، المدى الزمني،
معرفة الواقع، تحديد الأهداف والوسائل
ويرتبط هذا المصنوع والما يصنعه
السياسة، وإن كانت السياسة الرسمية
من الخطط فهي تتحدد الأسس
التي يتم في إطارها وجه الشاغل المتصلة
بالتخطيط فتتفقد السياسات في مهام
التخطيط.

لسنوات طويلة ظل المجتمع العربي
تسيطر عليه فكرة الهيمنة الأمريكية
على وسائل الإعلام وصناعته وغاب عنه
التحويلات والتشكلات في الإعلام
الأمريكي لكي هناك هيمنة الدولة
الأمريكية على العالم من خلال
الاقتصاد والقوة المسلحة والأدوات
التي تسيطر على عقول البشر
بصيت يصنع البشر أسرى هذه الأدوات
ومنها الأفلام الأمريكية التي تبيث
السلطة الأمريكية بطريقة ناعمة إلى
المشاهد وتطيلها للسياسات الأمريكية.
وهي قضية مثارة حتى في أوروبا، وبصورة
خاصة في فرنسا التي لديها مخاوف
حادة من الهيمنة الأمريكية، حتى في
محال محركات البحث التي تسيطر على
الإنترنت لا أن سيطرة Google على
محركات البحث تجعل هذه المواقع
اللكترونية الأمريكية هي القائمة أمام
الباحث عن أية معلومة على الشبكة
الدولية للمعلومات إن هذا النوع من
الهيمنة يفرص علينا بصورة التراجع عن
تفعيل محركات بحث عربية

إذا المشهد الإعلامي المسيطر على
الزوايا العام له أن أدعى من جلالته -
المجتمع الاتصالي، الذي يشمل كل
الوسائل الإعلامية بدءاً من الصحافة
أولى هذه الوسائل وهو التلفزيون
اللكتروني الأمريكية هي القائمة أمام
أحدنا، أما في بقوم بصناعة
إستراتيجية هذا المشهد هم بدهور
السياسات الإعلامية ويصنعون خططهم
الحكمة بصورة مستمرة، هذا يستطيع أن
أقام أبعاد صناعة السياسات الإعلامية
التي تشكل المشهد الإعلامي الذي
يسيطر على الجمهور غير الناقده
واللاوعي للبلبل الذي يتعصر له 115

خالد عزب

مهمرة متوقفة، تخيل طفلاً في نبح في
صعيد مصر في منطقة مسية مهمة
تصله فجأة أمام أهل قريته رسالة من
رئيس الجمهورية المتحدة الأمريكية
بوقية، كيف سيكون رد فعلها لدى أهل
القرية، لاشك أنه سيكون كبيراً، بل ما هو
تأثيره لدى الطفل سيدافع عن عبد
الناصر مدى الحياة، لما إن مستعرباً
أن أرى صورة جمال عبد الناصر معلقة
في بعض المحال أو المنازل، لأن من أعوا
له صورته لدى الشعب أحسوا وأدركوا
أهمية الاقترب من رجل الشارع.



هذا يعني أن الفت الانتباه إلى
الحضور الإعلامي فهناك أشخاص ليس
لديهم حضور إعلامي وخبرون تجميعهم
الكاميرا بل وأخرون يخطون الكاميرا
المرق بينهم شاعر، لما في هذا الكتاب
سجيد الشاير قسماً مخصصاً
للسكولوجية الإعلامية، وتحدث
السياسات الخاصة بصنع شخصية أمام
وسائل الإعلام، فعلى الرغم من جاذبية
جورج ألبان لحاجات عديدة
وتدريبات حتى تصبح لديه قابلية
جماهيرية

إن تفهم طبيعة الجمهور المخاطب
وسيلة أساسية من وسائل النجاح
الإعلامي، بل نجد كثيراً من الناسة
لجأوا إلى حيل عديدة لكسب الجمهور،
فها هو نابليون عند غزوه لمصر يظهر
إسلامه ويثني منشورات تدعو لثوب
في مصر لسانه ضد الظلمة
الماليك، ويحصر الموالد الإسلامية، بل
لرى الرئيس السادات يبرع في هذا حين
يرتدى أحدث الأزياء في القاهرة وعند
سفره خارج مصر، ويلبس الجلابيب
عربية إلى حيث أمر الحكوم، فالأولى
طيفة وجمهور معين يتناسب معها
البلدية ورابعة الرضى المتناقضة معها
وطريقة الإيادي في التعامل، والثانية
كان لدى السادات فيها جمهور آخر
يخطبه هو جمهور الفلاحين والعاملين
وأهل المدن الصغيرة، الذي كان يهدف
إلى إقناعهم بأنه واحد معهم وبأن الجب
الأمر في المولد النبوي على الطيبة،
بل نشأ مثلهم، وإن لديه قيم الريف
الأمسية

من هنا جاء الكتاب لا أعرف
هل ما أعرف إليه منه سيكون مؤثراً
بصورة أو بأخرى، لكنها محاولة لعلماء
تكون مفيدة، ثم هل هناك أصلاً علم
لإدارة السياسات الإعلامية، ولعل هذا
العلم موجود في العبر وتولد دراسات
وأبحاث، ولعلنا هنا أحوال، وقد يكون

بل حتى الحكومات تلجأ إلى الاتصال
المباشر بالجمهور، لأن العالقة المباشرة
تحمل حميمية التواصل الإنساني
حتى الولايات المتحدة الأمريكية
واليابان تلجأ إلى مثل هذا النوع من
الدعاية، فالولايات المتحدة لديها
برنامج الزائر، حيث تستضيف من
خلاله أحد الأشخاص المرشحين في
بلد ما لمصنوع السياسي أو الثقافي أو
الاجتماعي لزيارة الولايات المتحدة لمدة
شهر، ليهرب بلده العام سام، ثم من خلال
هذا البرنامج استضافة شخصيات
تتواتر مناصب عليا فيما بعد في بلادها
سواء من أوروبا أو إفريقيا أو آسيا أو
أمريكا اللاتينية، الملائق تفرقوا عند
حديثهم مع العديد من الأشخاص سواء
من مصراع أو دول أخرى ممن
استعدوا من هذا البرنامج، إن كل فرد
مهم أعد ملف مسبقاً عنه، حدد من
خلاله ميول وأهواء هذا الشخص وما
يجب وما يكره، بحيث تخطط الزيارة
وفقر هذه العنصر التي هي في جانب
منها لها بعد نفسي وآخر تشويولوجي،
ولكن أوضاع الجانب الأخير، فلا بد أن
أبيه، فلا يستحسن أن تدعو شخصاً
من بلد مسلم لدينوكي، في حين من
الحسب أن تجعل زائر أوروبا ينسهر
باجدانة في مجال التكنولوجيا، على
حين يجب أن ترمي شيئاً ذا طراغ عريق
متنوع المتروبوليتان، في جانب آخر
تقدم الولايات المتحدة نفسها على أنها
أرض للتعايش الحضاري بين ثقافات
متعددة، ولا مانع هنا من زيارة قاسا أو
مفاعل نووي أو مشاهدة مترو لوس
أنجلوس أو وادي التكنولوجيا في
كاليفورنيا أو مصانع بوينغ للطائرات
مع العروج على البيت الأبيض ومكتبة
الكونغرس، المهم في نهاية الأمر يتم
غرس نوع من الحب والانبهار وتركك
وقد اقتنعت بصحة أمريكا أم الدنيا
المعاصرة.



اللائق للنظر في مثل ترتيب هذه
الزيارات إن الزايف للزائر يحمل تعظيماته
تتوافق مع طبيعة الزائر، بل قد تكون
تركيبة الشخصيات أو كيميائه النفسية
تتكامل معه، لكي يتحول الإنسان إلى
أصفا، هناك تنشئ الدول العلمى لها
أصفاً في مختلف أنحاء العالم.

في عصر الرئيس جمال عبد الناصر
كان طلبة المدارس والعامية من الشعب
لديهم أحلام بكاريزما الزعيم، بل
كانوا يرسون له طيار بصورة شخصية
منه، سرعان ما يقوم مكتبه بإرسالها

115 هجاء وفي شهر سبتمبر 2001
وجدت نفسى مسئولاً عن إدارة السياسات
الإعلامية في مكتبة الإسكندرية، قرأت
كثيراً في هذا الشأن، هذا الاتجاه
أما باللغة العربية فلا يوجد مؤلف
محدد في هذا الاتجاه فقط مؤلفات في
الإعلان وأسسها، في الاتصال
الجماهيرى، الإعلام ومعالجة الأزمات
إلى غير ذلك، إن هذا أمام هم كبير،
وعبه حملته على كتفى 116

لا كانت هناك خبرات مترابطة ورسد
متتابع منى لجهود العديد من المؤسسات
في هذا المجال، لكن لا بد من أن تكون أكثر
تحديداً لسانة إدارة السياسات الإعلامية،
إن هذه الإدارة هي فن من فستون
الدبلوماسية شديدة التقيد والتريكة
إذ هي تجمع بين تواريات داخل المؤسسة
قد تتطلب في وقت ما كبح جماح التوجه
نحو الإعلام بسرعة غير مطلوبة من
بعض إدارات المؤسسة، وفي وقت آخر تحت
والإقناع بعض الإدارات على التوجه نحو
الإعلام وتلبية متطلباته، كما أن هذه
الدبلوماسية قد تمارس داخل الدولة
وأخارجها، إذ أن المطلوب تكتيف المادة
الإعلامية التي قد يجرى بها للوساطة
الإعلامية المختلفة، أو التقليل من حجم
هذه المادف لكي يتم بثها، وهذا يتم
ثالثه، لا شك أن ذلك يتطلب إرادة جديدة
يومية من شخص ما للتحية السياسية
والثقافية ولأحداث الجارية، حتى
يتسنى لهذا الشخص اتخاذ القرار
المناسب في الوقت المناسب.

ثم يلي هذا نوع المادة التي ستقدم
للجمهور من خلال العديد من الوسائط
الإعلامية التي أصبحت من الكثيرة
بحيث قد تتركك الشخص المسؤول، لكن
هنا يبقى العنصر هل حدد هدفه، هل
حدد نوعيته المادف؟ هل حدد وسيلة
الاتصال المناسبة؟ هل يستخدم
الوسائط أم يصممها؟ الماهرة الثامنة تكمن
في استخدام كل الوسائط لكن الانتقاء
بوسيط، هذا الآخر قد يصف اداء الوسائط
فالاتصال المباشر وهو أقدم الوسائط
تعرها الإنسان مثلاً أكثر الوسائط
فاعلية وأكثرها مصونية، كما فيه إما أن
يقذف القنصل به إلى الأبد، أو يكسبه إلى

الأبد.
هنا يبرز الإقناع وثمة الحديث وثقة
الخطاب كوسيلة من وسائل الإعلام، في
عصر المستعربا الصوتية والإنترنت قد
يبدو مستغرباً أن العديد من المؤسسات

من مقدمة كتاب المؤلف بعنوان
«صناعة الوهم... إدارة السياسات
الإعلامية» يصدر قريباً

التي دفعت تكلفة تطهير الأنعام عليه.

١. ينبغي تجميع فواتير تكاليف تطهير الأنعام التي دفعتها هيئة البترول للشركات الأجنبية البترولية. ثم طلب استرداد هذه التكلفة في الدول الثلاث.

٢. خريطة السحت عن البترول بالصحراء الغربية (الخطوط الغربية) هي نفسها خريطة تطهير الأنعام. ولا داعي لبيعها بمائة جنيه لفنان على أساس من يشتري الأرض يقوم بتطهيرها أو طرح هذه المناطق للشركات التي تقوم بتطهير الأنعام وزراعتها بنظام (T.O.B).

عبد الوهاب يوسف
مدير عام سابق بهيئة البترول

العربية. يعني أن تكون وجهات نظر، هي المكان الملائم للإيضاح بعض النقاط المهمة وهي:

مصر دفعت تكاليف تطهير الأنعام بالصحراء الغربية.

والملحوظ استرداد ما تم دفعه من الدول الثلاث التي تسببت في غرسها منذ أكثر من ٦٠ سنة وهذه الدول (إيطاليا، ألمانيا، إنجلترا). والحقيقة التي لم يتم ذكرها أبداً أو معرفتها حتى الآن هي أن شركات البترول التي عملت منذ الخمسينيات بالصحراء العربية قد قامت بتطهير الأنعام في جميع المناطق التي أجري فيها بحث عن البترول. ثم استردت هذه الشركات ما تم دفعه من تكاليف البحث عن البترول بما فيها تطهير الأنعام من هيئة البترول المصرية. وهذا يعني أن هيئة البترول هي

تستمر تلك الإنجازات وتقدم لكنها للأسف وبعد اختيار استاذنا الجليل لنعده لطريق آخر في مجال خدمة علوم الأرض بدأت تلك الإنجازات وبغيرها في التباطؤ شيئاً فشيئاً حتى توقف أغلبها تماماً... وتجسد نشاط البقية وذلك في غياب رؤية وأعية لأهمية تلك الإنجازات للعاملين في حقل البحث الجيولوجي. جيولوجي

مصطفى إبراهيم توكيل
استشاري تعدين . مصر

قصصية الأنعام

بالإشارة إلى الحديث المتكرر بخصوص تطهير الأنعام بالصحراء

فيتحولون إلى بحث منتجين وإداريين من الدرجة الأولى. كما أنها فرصة لتقييم الرؤساء المباشر لهم أمام جميع القيادات دون تمييز أو محاباة.

خاصة: إعادة ترتيب مهام ومسؤوليات المساحة الجيولوجية المصرية بما يحقق العائدة المرجوة منها. المسؤولية الأولى هي التخفيض الجيولوجي بمقاييس متعددة وتفاصيل مختلفة والمشاركة في الأبحاث الجيولوجية الأكاديمية مع جهات خارجية أجنبية ومصرية. استكشاف وتقييم الخامات المعدنية ذات صفة اقتصادية مهمة. تلك الجهود أقررت كثيراً من الخامات القيمة مثل التتالوم - الفوسفات - التيتانيوم... إلخ.

ما سردها هو نماذج داخل بيت المساحة الجيولوجية لا تم من إنجازات خلال فترة قصيرة. وكان المأمول أن

Yellow Pages

نختصر لك الطريق

النسخة الجديدة

عام ٢٠٠٨ / ٢٠٠٩

متوفرة الآن



دليلك للأعمال في مصر

YellowPages.com.eg

Print • Online • Mobile

لطلب نسختك المجانية

اتصل 19345

تهتم «وجهات نظر» بتعريف قرائها بجديدي المكتبة العربية والعالمية، وتشكر الناشرين والكتاب والمؤلفين الذين يساهمون في ذلك. وتضمن قراءها لإرسال مراجعاتهم النقدية لما يرونه من إصدارات.

ثقوب في الضمير

أحمد كشاشة
القاهرة دار الشروق ٢٠٠٨ ٢٥٠ صفحة



تلك الشكوى من سوء الأحوال وانتشار
المرض وغياب الإحساس بالإنسان أن تكون
عامّة. الجميع يتكوّن ويلقى بالذم على
الأخريين باعتبارهم سبباً في معاناته. دون
أن تتوقف لحظة لتسأل عن قصصنا
فيما أنت عليه أحياناً.

يدور الكتاب حول هذه المفكرة، وإن كان
يضم دراسات ومقالات تبدو بعيدة نظرياً
عن فكرته الجوهرية. منها ذلك القسم
الذي يتناول في المؤلف المرض العقلي من
العصر العرفي وحتى الإسلام، والعلاقة
بين الجنين، ولقسم الخاص لهذه
الدراسات تشير إلى خطوط ممتدة تربطها
بفكره الأساسية، فهي إلى ما شارحة لها، أو
مفسرة لبعض أبعادها أو مصدرة لكثير
من المفاهيم حولها.

يسلم المؤلف وهو عالم نفس وظيفته
مراقبة السلوك الإنساني في تجلياته
الفردية والجماعية. بغيا الضمير العام،
يسبب لعقد الحياة أن لا تعد هي حياتنا
البسيطة التي كانت تحكمها أعراف
تنطوي على قيم الكود والترقيم واحترام
أساسية الآخرين. وحل بدلا منها منطق
الأنانية وفشار أنا ومن يبدى الطوفان.

يوكد المؤلف على غياب القوة.
فالناس تسمع كثيراً عن الحرافات وشواوي
ورقات وهمت للمال العام في أوساط كل
يفترض فيها الانسجام بالنزاهة. كما
يلامح الناس أن العقاب لا يطال سوى
سطحها، ولا تتعد سهام عدالة إلا
في أجسامهم. أما هؤلاء أصحاب السرقات
الكبيرة واختلاسات العظمى، فإنهم دوماً
معدون عن مرسى القاموس ويد العدالة.
تحت قفها يعلّق بالخدمات العامة التي
وعدت للموازي، والتي يدفع مقابلها في
صورة اشتراكات أو صرالت، فإنها شديدة
السوء ويضعف عقد إيمان يجعل الموازي
في الموقع الأضعف. يقبل الخدمة مهما
كان مستواها وأيا كانت بيرونها

وهكذا. يقول المؤلف - تنوع الخبرات
المرّة للصمود الجصري، إلى الحد الذي
يحملة جراح عائلتيه في بلد الوطن، ينشأ
في الموقع الأضعف، يقبل الخدمة على عدم
الإسراف في الاستهلاك من المبدأ إلى توافرها
في متدبير منزله أصلاً، فإذا جئت أحد
هذا المواطن عن أمر من الأمور العامة بادر

محدثه على الصور، يا عم يعملوا إلى
يعملوه البلد بدهم، أما من هم الذين البلد
بدهم فعليك أن تحسن.

يشير المؤلف كذلك إلى غياب الهدف
العام الذي يسعى الناس من أجله. ولها
كل منا نحو تحقيق أهدافه الخاصة
وتحقيق مصالحه الدائمة جداً حتى لو
صارت، وهي تتضارب كثيراً. مع المصلحة
العامة، وتقيم معاني العيب، ويتسع
الضمير الاجتماعي لتقديم مبررات لكثير
من السلوكيات الشاذة

يقظة الضمير الاجتماعي أن تتحقق
إلا بالتصدي لكل هذه الحرافات، كي
يستعيد المجتمع صحته النفسية.

الاقتصاد عارياً

تشارلز ويلان
ترجمة ريتب حس البشاري
القاهرة دار كلمات عربية ٢٠٠٨ ٢١٠
صفحة



على الرغم من أن هذا كتاب في
الاقتصاد، إلا أنه لا يحتوي على معادلات
أو مصطلحات متخصصة يتعذر فهمها،
وهذا ما هدف إليه المؤلف بالذم. أن يكون
كتاب في الاقتصاد مفهوماً وبسيطاً، ويعلم

الكثيرون أن علم الاقتصاد أكثر صعوبة من
العلوم الطبيعية، فهي القوى التي يمكن
فيه إخفاء الظواهر الطبيعية للبحار
المعقدة المحركة. فإن هذا الأمر فيمكن
في حالة الظواهر الاقتصادية، وأما مهم
الاقتصاد فمسألة مهمة، إذ يات الاقتصاد
أكبر تأثيراً في حياتنا من أي وقت مضى،
وهو يتقاطع حتى مع سلوكيات الأفراد
وتفضيلاتهم، الأمر الذي شجع على مزيد
من دراسات الاقتصاد السلوكي، أي الذي
يبحث سلوك الأفراد، ولعلنا نتذكر أن
حملة بيل كلينتون الانتخابية عام ١٩٩٢
والاقتصاد هو المجه الذي.

ويعرض هذا الكتاب المفاهيم
الاقتصادية بطريقة مبسطة ليسهل على
القارئ فهمها، فهو يتطرق إلى فوائد
السوق الحرة التي تجعل حياة الناس
أفضل، ولذا لخلق الأنظمة الاقتصادية
المركزية في عهد ستروين معيشة المواطنين.
كما يعرض للبيئة القانونية التي تعطي
الفرصة لوجود الأسواق وتوفر السلع
العلماء والحكومة في توفير هذه البيئة.

ودورها كذلك في تصحيح الأوضاع عندما
تسبب السوق الحرة في تأثيرات عبر
ترتيب فيها لأثر سلباً على الإنسان،
من الواضح طبعاً أن المؤلف من
المتحيزين بقوة لفكرة السوق الحرة، على
الرغم من الاعتقادات التي يوجهها لهذا
النظام الاقتصادي في عدة مجالات،
خصوصاً في جانبه التطبيقي والعلمي،
وهو في النهاية يطرح تساؤلات مهمة. يرى
في الإجابة عليها شكل الحياة على كوكب
الأرض عام ٢٠٥٠: (١) كم دقيقة يستغرق
العمل لتوفير رغبت الجبر، وهو هنا
يسأل عن الإنتاجية وجدية العمل. (٢)
كم سيبلغ عدد النازيين تحت كوري وكر
دريف في شيكاغو، وهذا سؤال عن تقسيم
الكعبة أي تقسيم عوائل التنمية. (٣)
سيتستخدم السوق بطرق حيالية لحل
المشاكل الاقتصادية؟ هذا سؤال عن
ارتباط الحلول بالوسائل والحواجز
المنوعة للأفراد. (٤) هل ستوجد مراكز
التمويل التجارية عام ٢٠٥٠، هذا سؤال
عن أدوات الائتماني، وعن التفضيلات،
وما إذا كان الجيل هو الأهل لحياثنا.
أم الأكثر مفعمة؟ (٥) هل ستظل الحكومة
الفيدرالية تعدد كمية الدم على البترا
المعدمة، وهذا كتاب على تأثيرات عملة
السوق في أمريكا وأوروبا. (٦) هل
توصلنا حقاً لسياسة نقدية مناسبة
التي تتجلى على العمل ودفع الضرائب
وتقضي على الركود؟ (٧) هل تصحيح
النموذج الأوروبي بعد خمسين عاماً كافياً
على حياة البرازيل أم الفصح جراح
التنمية، وهو سؤال عن فرض استدامة
الاقتصادات النامية من العولة وأليانها.

كلمات

يوسف زيدان
القاهرة نومة مصر، ٢٠٠٨ ١٥٠ صفحة



تحرى على السنة الناس كلمات،
معتظها عاصي فخصها فصيح
يستعملونها دون أن يدروا ما تخفيها
الكلمات من معنى عميق، بفعل الامتداد
الطويل لتاريخها اللغوي.

ويجزم هذا الكتاب غزوات الكلمات،
معى المؤلف إلى بيان معناها ولالاتها في
حالتها العامة وفي تاريخنا الثقافي،
لنتكشف أن كثيراً من الكلمات التي
تحرى على السنة الناس كلمات،
معتظها عاصي فخصها فصيح
يستعملونها دون أن يدروا ما تخفيها
الكلمات من معنى عميق، بفعل الامتداد
الطويل لتاريخها اللغوي.

مطلقاً تحمل في حقيقتها معنى مصادراً
لما قصدت بالصبيح.

كلمة، فهو، مثلاً تسمى في كلامنا
العاصرين، إما مشروب القهوة الحبيب
لدى قطاعات واسعة من الناس، أو المكان
الذي يتم فيه احتساء هذا المشروب، علماً
تطورت الأمور وصارت، والقهوة، تقدم
مشروبات أخرى، تحولت إلى كافيتريا ثم
إلى كافيه، أما القهوة فقد عتقها المتصوفة
لأنها تساعد على السهر والعبادة، وقد
استخدمت القهوة في قصص عربية
قديمة شعرية وثيرة بمعنى الخمر. وقد
لاحظ المؤلف أثناء بحثه عن معنى القهوة
في الجذر، أي أنها تعني انسدت نفسه
عن الأكل، ومن عجب، أن هذا الاسم أطلق
على واحدة من شركات الأدوية والمشروبات
الشهيرة في مصر.

نحن نستخدم أيضاً كلمة زروفا،
للدلالة على العنقرض، جازوا بالروفة،
أما كتب الصيدلة القديمة ومنها موسوعة
النفس، والشامل في الصناعة الطبية،
فقد أورد باعتبارها اسماً من أسماء
الدواء، وهي نوع من الحشائش تنفخ
أعضائها على الأرض، ولصعوبة تقدير
كمية حشائش الزروفا، فقد صار الشاعلم
مهما بالجملة، أي بالزروفا.

وفي الصيد يستخدم الناس كلمة
«سخطه» تدليلاً على فعل جنسي بشع،
الغصان بالروفة، أما المؤلف فيصود
بالغصينة إلى الأصل الفروعوني القديم
للكلمة، سخطه، وهو اسم دودة، اتخذت
فيها الإلهة تحولت لتقديس مشية أمتهم
بتأديب الناس أساؤا العمل، فأرسمتهم
قتلاً وترويضاً، وإزاعاً أنون معاهل وأمرها
بالنطق فلم تسبج وأن تدمت فيها

نعد على ما هلته من سخطه
ويستخدم كلمة ريس، للدلالة
على التوقف، والكلمة صارت ذات أصل
فارسي، ومعناها حسب أي كسي، وفي
تحتى عند من معناها أيضاً العذر
والتنحية، أما كلمة كهاية، التي اتخذت
منها حركة احتجاج اجتماعية وسياسية
مصرية حديثة، معنى، فإنها لا تعنى
معنى سلبياً، بل في تعنى توقف الأمر
الإيجابي، فيقال، وفي هذا القدر كهاية
أو هؤلاء كهاية لعل، ما أن هذا الأمر
الشرعي فرض كهاية، بمعنى أن أقيام
البعض به يعني بقية الناس عن فعله.

وفرد كثيراً هذا التعبير، على رأسه
رشد، للدلالة على أن حشماً ما لم يميز
لسبب، أما الأمل فيعود إلى ذات العمل
عند المصريين القدماء «وامت، وهي إلهة
محكمة خاصة في القضاء المصرية
القديمة، وكانت ترسم على شكل امرأة
مجنحة على رأسها ريشة، وفي الرشيبة
التي تون بأن أعمال الناس يوم البعث،
توضع الأعمال في كفة، والريشيبة في

الكشف الأخرى، فإن رجعت أعمال الشخص دخل إلى عالم الميم وصار على رأسه ريشة.

بهذا المنهج يعرض المؤلف لعشرات الكلمات

حب على الهوا
انتصار العقيل
القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر،
٢٠٠٨، ١٩١ صفحة



يشجيك صوت فيروز مع بداية كل فصل من هذه اللوحات المتصلة، تسجيها صاحبها روائية، ربما لأن الرواية جسس فضاءها أكثر من غيرها من الأجناس الأدبية يستلهم طلائع التجريب في الشكل وفي المحتوى، وربما كانت هذه أبرز ميزاتها وأظهر عيوبها في رأي معاً مع بداية كل فصل مقطع من أغنية للمصرية الكبيرة، وهذا كل العمل، أحياناً، مقاطع أخرى، فكانها تهيم على النص وتقرض صوتها عليه، إلا أن أكثر ما يلفت النظر في هذه التجربة غير المتداولة لكتاتبية سويدية، وفي تلككل في الحب والماطفة بقاموس شديد الوضوح والجرأة.

تقدم اللوحات ذكريات امرأة عاشقة، عاشت حياة لو غيرت ما اختارتها...، وفي عالمنا النسائي، في هذا الصرمك الذي نحيا فيه ونسبح في، القرن الحادي والعشرين، نحن المالكات المملوكات، نعم، المالكات لكل شيء، الوفاي، في الحقيقة، لا يمكن شيئاً لأنهن لا يملكن أنفسهن اللاتي تملك الأشياء...

كان الفصل أبيضاً عن أمها هو أول غدر للرجل لها، وأول ضربة لقلتها من الحارة قبل أن تلى نور الحياة...، لقد خرجت إلى هذا العالم من رحم حزين، والأحرار في مخاضها لا تلد سوى الأحرار...، وبالعمل نوات عليها الأحرار، رواج يحيا، ألحاحته من فتاة أخرى، إيجارها على الزواج من زوج شقيقتها الموقوفة لأنها ستكون أحرص على أبناء أختها...، وتساءلت: هل تريد أمها أن تكمل دورها في القضاء والعبودية، كي لا يتحسر يوماً عن حياتها التي ضاعت هدراً وهي تقرأنها بحياة أيتها الفتاة المشردة الناجمة؟ ويوم رآه زينة، شعرت أنها تناسق إلى غيرها، رواج استمر سنوات، أدركت خللها أن عذرية المرأة ليست في جسدها الذي قد يحمك عليه ويتعصب مشهدة شادين ومأذون حبيو ورواق...، إنما عذرية المرأة في قلبها وروحها وفكرها، إن لم يلمسها الرجل فإذرة مارات بكراً.

ويسبق لهذه المرأة أن تحب، لكن من تحب، سيكون مسجوناً بالأخرين محاصراً بفكرهم، لا يستطيع التفخامهم برغم أنها فتحت أصرعتها لاستقباله وكان حلمها الدائم في المنام واليقظة...، أن تنام على عشب صمد.

وعلى غصن الوسم الجريء - الموشى بترايم أخلاقية، في اللوحات التي تصف لقاء الحبيبين، لكن السكائية تنتهي بالترقب بعد أن دركت العاشقة قدم المرأة الحبيب على الصكك من تقاليد وأعراف كيلة بأساو من جديد.

وفي شيا الكلام عن الحب والأحبة، تطرح المؤلفة على لسان بطلتها بعضاً من الآراء شديدة الجاهل، فقرأ مثلاً: أم العالم الثالث نعمت أن يلقى أفرادها ذواتهم كي لا يروصوا بالظهور والتكبر، وفي بهذا الإنكار حوشهم إلى رأي داويش يعلمون أنهم في خول وتبلد، لا تكاف ولا نجاح، أصلهم غفيلون، وحولهم على ذواتهم ولكنهم لا يملكونها، من يمتلكها هو من تلب من هذه الثروات واستخدمها ومن ثم إقباعها مقابل الصلاح تقابلها به هذه الأمم بعضها البعض ونقراً:

الحجاب فرض واجب، لكن لا بد أن يبدأ من الداخل إلى الخارج وليس العكس ونقراً أيضاً، صحت أن تعصية الأعمى للعرش الذي يصرل إلى حد الغباء يكاد يخنقها، شعرت بأنها عربية منفية من منفي العروبة

تعليم الإناث في الدول العربية

رقية سليم حمود
الشاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٨، ٤٦٤ صفحة



ليس صحيحاً أن النظرة البدوية للمرأة واعتبارها كائناتاً أقل درجة ذات مرحية دينية، إسلامية على وجه الخصوص، فقد كرم المرأة، ومنحها حقوقاً في حقوقها، في دياناتها ومعتقدات غير مسلمة سابقة عليه، لكن المأخذ أن هذه النظرة التي تبنتها المجتمعات العربية ذات الطبيعة البدوية التي عمدت دائماً إلى تهيمش دور المرأة وتكريس النظرة إليها على هذا النحو، وهو أمر تلمسه على الأمثال الشعبية المتداولة في كل قطر عربي، وفي الأحصالات التي تقهها الأسر إلاً عن مساعدتها لإيجاب الولد، والتمشيد بأجرن الذي يتباهى إذا كانت الفتاة موهبة وتحت ويرغم تطورات الدولة ومهمة تحت المجتمعات العربية في مجال تعليم الإناث وتشجيعهم على العمل فإن بقايا

جاهلية مارات تحكم خروج المرأة إلى العمل أو انقباضها في التعليم، وتلاحظ الباحثة نلاً على الملمة لا تتفقد رعاية صحيحة وقلدية مشابهة لتلك التي يتلقاها المصري، التي تؤثر الأم بالجم والطعام العاخر فيها تحصل المرأة على ما يتبقى منه، يحدث هذا في مناطق عديدة من السودان واليمن وتونس والأردن والجزائر ومصر، وفي الريف العربي فإن رغبة النساء في تعليم المتاة، حيث يعتقد الناس في الريف أن تعليم الفتاة يسلب لهم العار، ويسببهم على أمور ما كان ينبغي لهم أن يعرفوها، وحتى لو تعلمت الفتاة، فإن نوعية التعليم الذي يتم تزويجها إليه مختلفة، فالطب والهندسة وطول الحاسب الآلي مخصصة للكانات الأكلي، المذكور طبياً، أما المرأة فإن العلوم الإنسانية ودراسة اللغات وغيرها.

وتلاحظ المؤلفة أن الكتب المخصصة للذكور في مراحل تعليمية معينة مختلفة عن تلك المخصصة للإناث في بلد مثل السعودية، وفي الجرافيا والتاريخ والاجتماع إلى تنقسم تلك الكتب ببساطة وبمباشرة شكلية، فيما تركز كتب الأولاد على طرق التفكير ومنهجية البحث، وفي لبنان مثلاً، فإن الصور التي يتم تقديمها للفتاة هي كتب الماخالفة لمدرسة الابتدائية هي لرجل يقرأ أو يكتب أو يمارس عملاً ما، وهو إما طبيب أو مهندس أو قاض أو صاحب ماهر، أم الأم فهي دائماً مشغولة بالتطويز والطبخ.

وتشير المؤلفة إلى دراسة أجريت في مصر على ٣٠ سيدة حول معرفتهن عن أدوار المرأة، وبين فيها أنهن أقل من الرجال، برغم أن المرأة آحتوت على سيدات عاملات وريات بيوت.

المؤلفة تورد دجاول ودراسات عديدة تؤكد على أن الأمور، فيما يتعلق بنسب التحقن بالتعليم الجامعي وما قبله ازادت جداً في العقود الأخيرة، وأن نسب الأمية بين النساء تراوحت بشكل عام، لكن جهوداً كثيرة ينبغي أن تبذل في مجال تعليم الإناث، يقع أغلبها على عاتق الحكومات العربية، وأيضاً مؤسسات المجتمع المدني.

مع الإخوان

حسن أرف
الشاهرة: دار الهلال، ٢٠٠٨، ٢٥٥ صفحة



الافتراض الأساسي الذي يطرحه المؤلف، وهو من قيادات الحركة الطلابية

المصرية، في السبعينيات ومن مؤسس نادي الفكر الاشتراكي بالجامعة، هو أن الإخوان المسلمين جزء من مشاكل مصر اليوم، وهم أيضاً جزء من تلك المشاكل تعيرت قناعاتهم، بهذه الفرضية يدخل المؤلف حواراً مع قيادات الجامعة، ليس بهدف تغيير هذه القناعات ذات الطبيعة الإطلافية ويريد العودة بنا إلى القرون الوسطى خدمة لطبيعة قيادة تتمتع بأبهى منتجات ورعاية الدولة، ويحدث المؤلف محاور عديدة يرى أنها وحدها يمكن أن تؤدي إلى نجاح الحوار مع الإخوان، أولها أن يكون الحوار ديمقراطياً، أي أن تتوفر مساحة متفولة ومسؤولية للمشاركون في الحوار فإن يصرون عن رؤاهم الفكرية دين صادرة مسقة، ثانياً، أن يقوم الحوار على أرضية عديدة خاصة، أي إخراج المقدس من حلبة النقاش، لا يجوز أن تلتصق للمحاور المتناوئة أن تضع نفسها في موقف الدفاع عن إيمانها أو دينها، وأيضاً، أن يكشف الحوار عن عدم التناقض بين الاتحاد العام للتطور التقني في العالم والتمسك والفكر الإنساني، ومن يحاولون إعادة عقارب الساعة إلى الوراء يدعون الكفر إلى ماض صالح، خامساً، أن يكون الحوار مهادنياً، أي أن تعدد مناقشات ومناظرات مفتوحة حول قضايا تيسر سياسات محددة ويشارك فيها مكرمو كافة التيارات، أن يبرز الحوار لصالح السياسية والعقدية الميمنة للقيادات التي تزعم تلك الجماعات، أن يكشف الحوار التحالفات الداخلية والخارجية التي تقهها تيارات الإسلام السياسي، وإسار التناقضات داخل هذه التيارات نفسها

وكما نرى فإن ما يقترحه المؤلف ليس مرتكزات تراوحت يمكن أن تستقيم إليه أطرها المتصارعة، وأما هو استراتيجيته فيترجمه لفصيل يملكه ليسك به جولة أو جولات في الحوار.

يطرح المؤلف محاور عدة يمكن اعتبارها نقاط خلاف مع هذه التيارات الزبقي الخطير، كما يسميه وهي أن يكون الاحتكاك بين الأمليات الديمقراطية صادقاً في داخل الجامعة كما في تعاملها مع التيارات الأخرى، ويناقش المؤلف أيضاً، الخلاف، الشرعية التعليمية، الأنظمة، البرلمان، أمريكا.

بمع ذلك يقدم المؤلف نقداً تطبيقياً لبرنامج الإخوان المقترح، خصوصاً ما يتعلق فيه بالثلاثي المخطوطة بحسب قوله، الأبحاث والدراسة، والتفاهة، وإن كان قدمه المؤلف من الجاهد في كتابته يكتف من «استحالة» إقامة حوار مع الإخوان إذا تحولوا عن ميادين أساسية شكلتها في مصنفها الحالي، ما يمكن أن يقول «الجماعة، تخليها عن تلك المبادئ»

كتاب الحكمة العربية

دليل التراث العربي إلى العالمية
محمد الشبح

الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠٠٨



لئن بقيت بعض أمم العالم المتحضر اليوم تحترم العرب، فما كان ذلك مع الأسف بسبب من حاضرهم، وإنما ماضيتهم، وحسبها من معارفة، ولو بقيت الحكمة العربية جزءاً من الاهتمام والعناية فكانت في مصاف حكم مكية الأمم، وذلك لأن الوافق بنظره عليها - باقٍ ووقوفه وأقفه وأيقنه، يلقى أنها ما كانت دون حكم الشعوب الماضية في الجرئية جودة وصحة معنى ومثالة لفظ وقوة بيان. أصف إلى هذا، إن بعض تجارب العرب الماضية شهدت على أريحية حضارتهم وعلى تسامحهم، إلا أن مشكلة العرب الثقافية اليوم أنهم ما استطاعوا أن يشرخوا هذا التراث العظيم الذي امتلكوه وما تشكوه، فبالأحرى أن يجهلوا منه تراث العالين، وإن لم تقتضيات العولمة اليوم ما يمكن العرب أن يقدموا عليه، فيقولوا، تراثهم بحيث يصير ملكاً للناس أجمعين، وذلك مثلما كان هو ملكاً لكل الأمم فيما مضى من العصور، ومثلما صار تراث العرب اليوم ملكاً لنا. انظر كيف صار «توهم» تراث ابن رشد والتراث الأندلسي بوجه عام، وإلى بخلاف جوانب لتصنيقي العربي هنا ما قاله الباحث قديماً وتبيناه حديثاً، «والناس مولكون بتعليم الغريب واستطراف البعيد».

مفاهيم الليبرالية وروادها

محمدة من المزيني
واشنطن، بيروت: دار رياض الريس للكتاب
مؤسسة الفكر الحر، ٢٠٠٨



تتضمن سلسلة «مفاهيم الليبرالية وروادها» والتي تمت ترجمتها من قبل صلاح عبدالحق ومراجعة وتدقيق هادي حادين رئيس تحرير «مفاهيم الحر» والعالق الاقتصادي في معهد كيتو بواشنطن من سبعة أجزاء وتتناول خصوصاً لكبار واضعي أسس الفلسفة الليبرالية ومشتقاتها السياسية

بين هذه التركة. إذ اعتمدت عليها الدولة العثمانية في توفير كافة احتياجاتها لإقليم الحجاز بدءاً من كسوة الكعبة وانتهاء بمزيتات الماملين بالبحرين الشريفيين، إلا أن مصر أصابها ما أصاب الولايات العثمانية جميعاً من ضعف وترهل، فقد كانت تدار بالطريقة ذاتها من خلال نخبة عسكرية وقوى محلية متعارفة، وتحتوي مصر إلى ميدان للمصارعة بين السلطة المركزية في استانبول والزعامة الملوكية في مصر، ووضعي الأمر إلى تزداد عامة الشعب طمعاً في شيء من السلطة، مثل تزداد الهوة في الصعيد.

التحليل الذي يقدمه المؤلف يتفق في كثير من جوانبه مع ما ذهبت إليه مدركات مهمة أخرى يعرفها المترجم، ويقرن بينها وبين ما انتهى إليه العصر الأعظم، وهذه ميزة إضافية للمدركات.

أثر المنهج الأصولي في ترشيد العمل الإسلامي

مصطفى بن علي القحطاني
بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠٠٨ ١٢٥ ص



انزل القرآن الكريم تبياناً لكل شيء، وأوحى إلى الرسول (ص) أن يبين للناس ما نزل إليهم لمعلم ليعلمهم، فكانت مجموعة من النصوص تتمثل فيها شروعة كاملة تتمتع فيها أحكام شؤون الناس.

ولكن هذه النصوص على كثرتها لم تبين أحكام ما يحدث في مستقبل الأيام تقصيلاً، فكان لابد من شيء آخر غير النصوص يعينها ما اجتمعت، ويستنبط الحكم. فكان الاجتهاد ولا المصروف، معاونة، والمدارك متباعدة، والأحكام مختلفة، ولو ترك الباب مفتوحاً لكل راغب في أخذ الأحكام من النصوص، لحصل الاختلاط، ولوقع التضارب في الأحكام، ولأضرب أمر الشريعة فكان من الضروري وجود قواعد يسير عليها من أراد أن يستنبط الأحكام الشرعية من أدلتها، ولذلك وضع القانونيون على الشريعة قواعد يتبعها العمل، هي «أصول الفقه».

يتألف الكتاب من مقدمة وستة فصول، ويحاول الباحث أن يقدم مساهمة في تكييف بعض القضايا المعاصرة في ضوء النصوص الشرعية على، وقد قسمها لذلك بالتمناج والأمانة الدعوية.

وإضعاف الحرية الوضعية في التلاحم بين مختلف الشرائع الاجتماعية، خصوصاً مع زحف رأس المال إلى قطاع التعليم وتحفيزه لثقلته، وتتمازج هذا مع مشروعات أمريكية لتدوير التعليم هدفها الوحيد هو إكساب قبضة أمريكا من خلال الحرية والتعليم على منطقة الشرق الأوسط، وتشير إلى خطورة المعونات والقروض الأجنبية وتأثيرها بالغ المصير على جهود تطوير التعليم، ويتفق المؤلف بشدة التوسع في المدارس الخاصة والجامعات الخاصة، ويرى في شيع هذا القدر من الاختلاف والتباين بين هذه النوعية من المدارس والجامعات من ناحية، ومدارس وجامعات الحكومة من ناحية ثانية، تأثيرات ضارة على مفاهيم الهوية والانتماء والوطنية.

المسألة المصرية في أوراق الصند الأعظم

ترجمة: محمد عبدالمطيط هريدي
القاهرة: دار البين، ٢٠٠٨ ١٢٥ ص

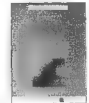


كتب هذه المدركات الصند الأعظم محمد كامل باشا (١٨٣٢-١٩١٢)، وهو أحد الصند العظام في عهد السلطان العثماني عبدالحميد الثاني، وقد عاصر تطورات المسألة المصرية واحتلال بريطانيا لمصر عام ١٨٨٢، والمفاوضات التي جرت بين الدولة العثمانية وبريطانيا لإجلاء الجنود البريطانيين من مصر. والكتاب في قسمين، يتناول كامل باشا في القسم الأول الأحداث التي عاصرها بما فيها المسألة المصرية وتطورها مع الأزمة المالية حتى نهاية المفاوضات مع الإنجليز، وهو لا يتكفى بالمرور، بل يقدم وجهة نظره ويحذر من عواقب الأزمة المالية التي تحدثت المولة العثمانية تعاني منه، وفي القسم الثاني، يقدم الوثائق والمستندات التي تدعم وجهة نظره، يشير الصند الأعظم إلى أن طواهر الضعف بدت واضحة على الدولة العثمانية في السنوات الأخيرة من القرن السادس عشر لأسباب مختلفة، ثورات داخلية، تسلب الأساليب الإدارية والمصرفية، تصاعد الحركة الاستعمارية الأوروبية، تصاعد المد القومي الذي تأثر بمبادئ الثورة الفرنسية، وهكذا تحولت الإمبراطورية العثمانية إلى رجل أوروبا المريض وأشد التناقض بين دول أوروبا وإمبراطورياتها لفتام تركه هذا الرجل المريض. وكانت مصر في موقع الصدارة

سحبها إلى كيان معابر تماماً، فهل تقبل الجماعة أن يجري الحوار، حتى لو كان له صفاً، على هذا الحوار؟

أعاصير الشرق الأوسط

حامد عمار
الشاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب، ٢٠٠٨ ٣٦٠ ص



يربط الكتاب بين الأحداث السياسية والمعارك العربية من ناحية، وقضايا الإصلاح والتربية من ناحية ثانية، وهو يقع في قسمين، يضم القسم الأول ستة عشر مقالاً جميعها تحت عنوان: «بين الفهشة والإمبراطورية والصدور»، ويتناول فيه المؤلف المواجهة مع الغرب، وحرب التتبع والإبادة في غزة، وحرب لبنان وحرب العراق، في محاولة لتفسير الأسباب الجوهرية الكامنة خلف هذه الحروب ودورها.

أما القسم الثاني فوشيك الصلة بتخصص المؤلف الدقيق كعظيم تروبي وتعليمي، وجاء تحت عنوان: «تأثير التعليم وتشكيل المجتمع».

وهو يوجه خطاباً إلى الرئيس بوش في الفصل الأخير من القسم الأول مخاطباً إياه بمخاطبة الإمبراطور، فضلاً له، لن يرحمك التاريخ ولا دعاوى محاربة الإرهاب التي تتخذ دريعة، تغذي بها من أجل الأمن القومي الأمريكي، ويمائله على الهدف الضميري من كل هذه القتل والتدمير في لبنان وفلسطين، مؤكداً أن جرائم لبنان محسوبة في رصيده الاسود للولاية الثانية، ويذكر مزاعم حول محاربة الإرهاب بقوله: لا ينبغي للإمبراطور أعظم قوة في عالم اليوم أن يباحث بجزيرة خضنة من الهاليس ومن تدوروا في مداركك صد الوصية، ليس هناك إسلام فاشي وإسلام غير إسلام، هناك إسلام واحد حنيف، ويسأله، هل الإسلام هو العائش أم أن الصهيونية بمساعدتك وتأييدهم في عين لثائيه وصورتها تتجسد.

وتحت عنوان دور التعليم في تشكيل الوطن، يردس شيخ القرويين لوجهات التعليم في مصر المعاصرة والذي تدعي هذه المخرات من يتعلم وإلى أي مدى وهذا ينبغي؟

ويشير إلى أن التعليم ليس موضوعاً علمياً وفنياً محايداً، لكنه نسق لعمليات سياسية، كما أن المعاصرة والتدعي لعمليات تروبية، وتوقع أن تؤدي محرماته الحالية على الأفق الرمزي المتوسط، بين ٥ و ٧ سنوات إلى مديات تشكل دول مدمر،

والاقتصادية والاجتماعية. وترتكز هذه الأسس على الحرية، ومقاومة مركزية السلطة، والفرديية، والحقائق الأساسية، والتبادل الحر والأسواق المفتوحة، والسعي نحو السلام.

الجزء الأول بعنوان «التشكيك في السلطة»، ومن موضوعاته: أصل الحكومة وهذبهذا، - توماس باين، - أأي نوع من الاستبداد ينبغي أن تخشى منه الشعوب، - جيمس ماديسون، - الديمقراطية، - اليكس دو توكوفيل، - اعتراضات على التدخل الحكومي، - جون ستوارت ميل، - المولة، - موزاي رولاندز، - المصلحة الذاتية والدستور، - ريتشارد آيستن.

الجزء الثاني بعنوان «الفرديية والمجتمع المدني»، وفيه: لا يمكن فرض القيم، - جون لوك، - العدل والإحسان، - آدم سميث، - الخضاع الفخساء، - ماري ستودنكوفات، - «لماذا نكن أخلاق مدرك، - سارة فرانكلين، - أبحاث عن الفرديية جون ستوارت ميل، - المساواة وعدم المساواة، - لودفيغ فون ميزس.

الجزء الثالث بعنوان «الحقوق والفرديية»، وفيه أبحاث عن الملكية والحكومة، - جون لوك، - العدل والملكية، - فريد هوبز، - نظرية الحقوق في الحقوق، - روبرت نوذيك.

الجزء الرابع بعنوان «النظام الثقافي»، ويحتوي أبحاثاً عن «التوافق»، - لاي تسو، - رجل النظام، - آدم سميث، - المجتمع والخصخصة، - توماس باين، - الأنظمة الصنوعة والأنظمة الثقافية، - فريدريك آيه. هايك.

الجزء الخامس بعنوان «الأسواق الحرة»، وفيه مقالات عن تقسيم العمل، والمجتمع والمصلحة الذاتية، والتجارة الحرة، - آدم سميث، - والاشتراكية والتدخل، - لودفيغ فون ميزس، - والعلاقة بين الحرية الاقتصادية والحرية السياسية، - ميلتون فريدمان، - ونظام السوق، - فريدريك آيه. هايك.

الجزء السادس بعنوان «السلام والتوافق الدولي»، ومن موضوعاته «التجارة في العلاج الناجح»، - ريتشارد كورنين، - «السلام»، - لودفيغ فون ميزس، - «نحو استقلال استراتيجي»، - إيرل سي. رافيتال.

الجزء السابع بعنوان «مستقبل الليبرالية»، وفيه من: «المراسلاتية والمجتمع المتساوي»، - صمويل برنتان، - نقاط القوة ونقاط الضعف في الفكر الليبرالي، - ريتشارد كورنين، - «ثقافة الحرية»، - ماريو فرانكس يوسا، - «النصار الأخلاق وعصر الابتكار»، - بيتر كيه. بيتش، - «أدب الحرية»، - توم جي. بالز.

هذه المجموعة تضع أمام القارئ العربي المعادي والتخصص المعنى بالاشتقاق أو السياسية، مبادئ الفكر الإنساني الهادف إلى «الحرية، حرية الفرد وحرية المواطن وحرية المجتمع، وتعرفه بوضعها من فائدة الغرب العرفيون بـ «رواد الليبرالية».

يقول الناشر في مقدمته: «لا بد للقارئ العربي أن يلم بكل هذا التراث الليبرالي، فينتقي منه ما يريد، ويعيد تقييم نظرياته في السياسة والاقتصاد والمجتمع. ولا كنا اليوم نطرح في هذه الكتب السبعة مجمل الأفكار الليبرالية ككتاب فلاسفة ومفكرين، تأمل أن ألقاها جديدة في النقاش في الندوات والمجموعات والمناظر، سنتفتح الباب أمام إعادة النظر في مواضعنا الفكرية ومواقفنا السياسية. وسعد هذا كله لاي من وقفة أمام التجريب التي نعيشه على مختلف الأصعدة والسياسات».

جوزف حرب وأباطار الوردية السوداء - دراسة نقدية

محسن الدين محسن
رياض الرئيس للكتب والنشر، ٢٠٠٨، ٢٤٤ صفحة من القطع الوسط.



كان هذا الكتاب من أواخر الكتب التي وضعتها محسن الدين محسن في النقد الأدبي قبل رحيله، وفيه دراسة نقدية لأربعة دواوين أصدرها الشاعر جوزف حرب ما قبل ١٩٩٩ وهي: «طيرت الأسماك»، «الفجر والزمزم»، «محسن الجبر»، «في الحكمة»، و«ملكة الخبز والورد». يتألف الكتاب من مقدمة وخمسة فصول. الفصل الأول بعنوان: «تحولات مشكلة الخبز والورد»، ومن عناوينه (الشعر والتاريخ، شجرة الأكاسيا، مشكلة الخبز والورد، الشكل المحسن، الحزب الأساوية والبنائية) وفيها الحرف يخط سطور الكتاب صدر لشاعر جوزف ديون، السيدة البيضاء في ههوتها الكحلية، فالحق بالفصل الأول دراسة نقدية فريدة لكن ضافية.

الفصل الثاني بعنوان: «الراهية وطقوس الجبر»، وفيه: (ألقائهم الشعر، جدية الداخل والخارج، الشعر والشاعر). الفصل الثالث، «ترحل زرقاء وتأتي عابرة»، ومن موضوعاته (في الغزل، الأنتى الجسم، في اللطة والبناء، تجارب اجتماعية).

الفصل الرابع، «العممة والمرأة»، من عناوينه (زهر القفاصة، الشعر والزمن، موتى الحبر).

الفصل الخامس: «الطبيعة والرواية»، وفيه (مدينة في خندق، أصداء الطبيعة، قصائد القفاصة، تشكيل الرواية).

تذكر أن محسن الدين محسن من أبرز المفكرين والنقاد العرب في النصف الثاني من القرن العشرين، ترك الأثر الأدبي

وفكري عديدة من أبرزها دراسات جمالية نقدية تعد من أهم المراجع في دراسة آثار كبار الشعراء العرب قديماً وحديثين.

يوسف والينر

فاضل الربيعي
بيروت: رياض الرئيس للكتب والنشر، ٢٠٠٨، ٢٥٦ صفحة



في هذا الكتاب يتناول المؤلف قصة يوسف والينر، الأسطورة الشهيرة ويتناول شخصيات مدققة في هويات كل منهم: الخ العزيز هو حقاً فرعون مصرام شخص ألى وامراته هل هي زليها ما واصل أم... وأحداث القصة هل حدثت في مصر ام باليمن؟

ينتج فاضل الربيعي هذه الأرباب ويشير التساؤلات في المدخل والقسم الكتاب الثلاثة، يتشعر القسم الأول «يوسف والينر» حول أسطورة الوقوع في غرام الحبيب، مسرح الأسطورة، «العزيز الحفيظ» والعزيز المزيف، الإله الحزين في البحر، من أس إلى يوسف، القسم الثاني، «النار والصلحان»، يتناول قصة «الغناء والتمني الخشبي»، فيما يبحث في القسم الثالث في «أسطورة الحلوى عند العرب، وبين جليشامش وسور لشمان السبعة».

هكذا يفكك الباحث فاضل الربيعي ما نسخ من أساطير حول قصة يوسف ثم يعيد دراسة مسرحها ورموزها وشخصياتها ومدلولاتها على أسس منهجية تاريخية وخرافية وميثولوجية، منفتحاً في آراء الرواية الإسلامية والتوراة والأساطير الأوروبية والفاهية واليونانية، بما يفرض الكثير من الفاهيم المسالمة ويضيف جديداً إلى كل ما كتب من هذه الموضوعات.

على ضفاف بابل

بيروت: دار الكوكبة، ٢٠٠٨، ٢٢٢ صفحة



جورج مالك وعبد السلام ماسون

رفيقاً معاهد الدراسة تخصصان في الطب، جورج طبيب الجهاز الهضمي وعبد السلام طبيب الأمراض النسائية.

عبد السلام على كلية بغداد الراقية، يلتحق بآبئة الجبران ويحبها، تحبل الفتاة ويتشاء الصدق أن يأخذها أخوها إلى عيادة الدكتور ساسون، وعندما يتأكد من حمل الفتاة يجبرها الدكتور على إجهاضها وتؤارق هي خوفاً من عقوبة الزنى وغسل العار!

يبدو حسن ويتوء الطبيب وتتوء الفتاة!

حسون يضع بين المقابر والشواهد... والطبيب يصبح ضيفاً على مستشفى الجنانين الفتاة تصعب عاهرة!

تتميز الرواية بأسلوبها السهلة وحواراتها المبصرة وسردية الممتعة، وتطور أحداثها في مدن العراق وشوارعها، حيث يستمتع القارئ بوصف تلك المدن والشوارع وطبائع سكانها حيث تتعدد الأديان والمذاهب والأحزاب ويميش وسط التناقضات الحضارية والفكرية والثقافية..

على خلاف الرواية الأخير نقراً؛ لكن جورج مالك وعبد السلام ماسون لم يختلفا فقط في ذرعتهما الموسيقية، بل وكذلك في موقفهما من مهنة الطب. اعتقد جورج أن الجهاز الهضمي القصر طريق لجيوب الناس في الشرق الأوسط، فلا يعينهم شيء كما يعينهم الأكل ولا يجعلهم في حاجة لأطباء، كما فرطهم في تناول أسوأ الأطعمة. اختلف عبد السلام عن صاحب في هذا الموضوع، وراى أن الناس من يعطون اليد العليا، إلا جاز القول، لتجس، يدور اهتمامهم وألما حول العضو الذكرى أكثر من الجهاز الهضمي. إنه الطريق الأقصر لجيوب الناس، تراهم مستعدين لدفع أى مبلغ من أجل فرج سليم وقصصهم أكبر، كانت النتيجة أن تخصص جورج بابل أمراض المعدة بينما تخصص عبد السلام في الأمراض النسائية.

الملكات العربيات قبل الإسلام

هند محمد الزكي
الناشر: مؤسسة الرحمن السديري الخيرية، ٢٠٠٨

يلقى هذا الكتاب الضوء على جوانب مهمة لقصة المرأة العربية في التاريخ السياسي للحضارة العربية، ففيه تتبع للملكات العربيات قبل الإسلام، في كل من مصر والشام وبلاد الرافدين والأناضول وإيران، كما يستعرض

الأنظمة السياسية في الجزيرة العربية، كتنظيم المشيخة القبيلية، ونظام الكريمين، والنظام الملكي، ويناقش من الزاوية العربية ومكانتها في ظل الأنظمة السياسية آنذاك، بدءاً بمملكة سبأ، وانتهاء بممالك شمالى الجزيرة العربية، (زبيدة، وششمي، وطيطسة، وبافا، وباسلو، وتعلخلو، وتبواء، وعادية، وأخيرًا مملكة دمر زوئيبا). والكتاب غنى بحصص الشواهد في التنقوش الإسلامية، والعربية الجنوبية القديمة، والنبطية والتدمرية، التي أشارت إلى ملكات العرب، والعلاقات السياسية لكل ملكة مع الممالك المعاصرة لحكمها.

جاء الكتاب في تمهيد وأربعة فصول، واشتمل على لوحات لمعامل معدنية عربية قديمة، عشر عليها من عدد من المناطق العربية. تطورت عليها صور لبعض تلك الملكات.

استعرضت المؤلفة في التمهيد الإعمار الجغرافى والحضارى لمنطقة الشرق الأدنى القديم ومكانة المرأة فيه، من كل من الجزيرة العربية وعصر وبلاذ الشام والرافدين وبلاذ الأنطاكي ويران. وفى الفصل الأول تحدثت عن النظام السياسى فى الجزيرة العربية قبل الإسلام من خلال استعراض نظام المشيخة القبيلية ونظام الكريمين والنظام الملكى، وبينت الألقاب السياسية التى استخدمت آنذاك فى ممالك جنوبى الجزيرة وشمالها. وكذلك المرأة فى ظل الأنظمة السياسية السائدة فى الجزيرة العربية فى مملكة سبأ وممالك شمال غربي الجزيرة العربية.

وفى الفصل الثاني تحدثت عن الملكات العربيات من خلال النقوش والأثار العربية القديمة، وقد ضمن الكتاب صوراً للعديد من الملكات البونزية والنبطية التى ظهرت عليها صور تلك الملكات، إضافة إلى دراسة النقوش السبئية، والنقوش المنطقية للملكات الأنباء، خلدو، وشبلة، وجملية.

وتحدثت فى الفصل الثالث عن الملكات العربيات فى المصادر الدينية والموارد العربى، أى المصادر الرابع فخصصته لتحدث عن الأدوار السياسية لهن. كما تطرقت لعلاقة ملكة سبأ بالنبي سليمان عليه السلام، وعلاقات ملكة دمر مع الأنظمة السياسية المعاصرة لحكمها. عن زوجات الملوك وودهن السياسى.

واشتمل الكتاب على ملاحق للخرائط واللوحات والأشكال وفهرس للأعلام والأماكن وأخر للآليات القرآنية ذات العلاقة بموضوع الكتاب. وخلاصة القول إن الكتاب يقدم دراسة علمية متعمقة تتخفف بالشمولية والتفصيل تاريخ الملكات العربيات قبل الإسلام، والأدوار السياسية التى لعبتها

المرأة فى النظام العربى القديم، ما يقدم خدمة كبيرة للباحثين والمتخصصين فى دراسة تاريخ المرأة العربية وأدوارها السياسية فى الممالك والأنظمة العربية القديمة.

أفاق تربوية متجددة أزمة الجامعات العربية

تأليف: د. يوسف سيد محمود
تقديم: د. حامد عمار
القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٨، ٢٢٨ صفحة



أزمة التعليم الجامعى فى العالم العربى، كانت ولا تزال منارات الحديث والنقاش، خصوصاً وقد خرجت كل جامعاتنا من التصنيف العالمى لأفضل الجامعات فى العالم، ويشهد الحديث عن تلك الأزمة، كلما جرى طرح موضوع تطوير التعليم، فتعقد المؤشرات والندوات، ويضعل المتحدثون ويشيرون إلى مواطن الخلل، وينفضي الخرد وخرج بلا شيء... هل الأبلل إذن؟ إذا كنا نعرف مواطن الضعف، ومواطن القصور فى تعليمنا، فماذا نحتاج لى نطوره؟ هل إحصاء العتين بالأمر؟ أم أنه القرار السياسى الذى يتوقف عليه كل شيء فى حياتنا؟

هذه الخلفية، كانت الدافع وراء كتاب د. يوسف سيد محمود الذى أصدرته الدار المصرية اللبنانية فى سلسلة أفاق تربوية، متجددة بعنوان، "أزمة الجامعات العربية، وعد عبارة عن ثلاث دراسات كبرى، تحيل بأبعاد أزمة التعليم الجامعى فى العالم العربى نظرياً من خلال البحث عن الأسباب المؤدية إلى تلك الأزمة، وعلاياً. فى القسم الثالث، عن عمليات الضراقة القائمة بين الجامعة فى المجتمع العربى، وبين المؤسسات التعليمية، فهل تراسى الجامعات حاجة هذه المؤسسات فى خروجهن، وبالتالى توهيكن لتلك الحاجة؟ أم أن العلاقة مفهودة بين المؤسسات؟

التمهيد الدراسة فى قسمها النظريون المنهج التاريخى، كما يقول د. حامد عمار فى تقديمه للكتاب، نظراً لأن كثيراً من كتابتنا ويحسون التزويى ذات المنهج الإيميريقى تنظر إلى التزويى المشاهدة للواقع والعطيات المعاشة، كما لو أنها ليست لها صلة بأهلها وأجنادها، ومنيت الصلة بأزماتها السالفة.

الأول: سيطرة الدولة على الجامعة وسريان روح الانترادى الذى أسألتها، مما أدى إلى عدم السماح للجامعة بالانطلاق لشأنها فضاء اجتماعية دقيقة ومحددة من خلال الميدان الواقع، مما جعل البحث الجامعى يأخذ الصفة الأكاديمية المطلقة ويميل فى معظمه للتظهير بعيداً عن مجريات الأحداث الواقعية، ويفقده هذا جانباً كبيراً من أهميته وجدواه. وكذلك افتقاد الباحث الجامعى هوية مهنية قوية كعضوية الروابط أو الجمعيات العلمية، تنكته من الوصول المنظم إلى الميدان أو الحصول على تعسول السلطات، وحتى إذا وجدت مثل هذه الهيئات فإنها تعمل من قبل الدور معاملة الجمعيات الخيرية وليس معاملة النقابات المهنية والتي تعطى نوعاً من الحماية أعزائها.

الثانى: اعتماد الدولة على ما أنشأته من أجهزة بحثية خارج نطاق الجامعات كالمراكز القومية للبحوث ومعهد التخطيط، والجانس القومى المتخصص، الأمر الذى يعنى تخلى الدولة الكلية عن التعليم الجامعى، وخلق كوادر تخدم الوزارات المختلفة والسياسات المالية حسب الوزارة التى يعملون فيها.

فى الكتاب العديد من القضايا المهمة المتعلقة بالجامعات والتعليم الجامعى، مركز البحث الثانى على كيفية تعامل جامعاتنا مع ظاهرة الصلة؟ وهل جامعاتنا قادرة على ذلك فى ظل التوجهات الفكرية خارجها وغلبة الصراع على التيارات الفكرية فى الحياة الثقافية العامة، وهو ما لحصه زكى نجيب محمود حين قال:

"إن العقل العربى يتعامل مع الأطفال أكثر مما يتعامل مع الفاضل، ولا يفكر إلا انطلاقاً من أصل أو انتهاء إليه أو يتوجه به من الأصل الذى يحمل من سلطة السلف إما فى نظفه أو منهارة أو ألية هذا العقل فى حصول المعرفة ولا تفكر فى إنشائها من الفارقة أو التفرق البنائى والمائلة أو القياس العرفائى، وأنه من كل ذلك يتعمد التجويز كميدي، فتقولان عام رئيس منهاج فى التفكير وقيته للعالم هذه الآية التى لها زكى نجيب محمود اسمته فى فقل النخب الثقافية بشكل عام كسبب ونسبة فى الوقت نفسه لانزاع التعليم الجامعى.

أخيراً يصدق الكتاب أمام الضجة القائدة بين الجامعة والمؤسسات التعليمية، والجمعية لكون الفصل الثالث تطبيقاً عاماً للفكر النظرى السابقة، ومحاولة اختبار مدى صحتها فى الواقع من عدمه، فريقة أصادلة الجامعة تتناقض بين ما يرى وأيضاً المؤسسات القديمة والانتاجية، والخلاصة أنه لا تزال علاقة مؤسسات التعليم التى يجمعها المحلى تقف

عند حدود الأمنيات والتي قد تحمل الوعى بأهميتها وضرورتها والحتم لإقامتها، فيما تشير نتائج الدراسة الميدانية إلى شكلة هذه العلاقة، حيث تقف عند حدود المشاركة فى تنظيم وتنفيذ بعض برامج التدريب وتقديم بعض الاستشارات أو تقديم تفسير وبث لأسباب بعض المشكلات أو الكوارث الطارئة كانهما العمارات، أو حوادث القطار، أما تلك القضايا المرتبطة بجوهر عملية التنمية وخصوصاً تلك التى تحتاج إلى مشاركات فى قضايا البحث والتطوير فتكاد تكون المشاركة حولها معدومة.

السودية، السياسى والقبيلية

معد بن مئينا
بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠٠٨، ١٥١ صفحة



وفرت القبائل مثلبة بأخوة ابن مسعود، وقد عسكريه وسياسية تكنت من توحيد فيه الجزيرة العربية بكان واحد خلال فترة متباعدة قصيرة، أعاد المركز إلى الجزيرة العربية التى فقدته منذ وفاة الخليفة الثالث عثمان بن عفان، فأطاحت شخصية الملك عبد العزيز التى شيرت بالعقيدة المحظ على تحويل القبائل المتناصرة التى يشرب بعضها بعضاً وإخادون الإزارة من بعضهم إلى إخوة فى الإسلام والنوطين على أصبحوا مادة الدولة، ومجتمعاً واحداً عوضاً عن قبائل متفرقة ومتقاتلة، فشكل المجتمع نسجاً كاملاً ووحدة جغرافية.

واستطاعت الدولة السعودية الثالثة فى نشأتها أن تجعل ابن القبيلة يتعالى على الشار والغزو، فأشاعت ثقافة جماعية موحدة بين الحضرس سكان الواحات والقبائل الرحالة، فقامت البهرقراطية القبلية بعد ثبات الدولة، كما قام البترودوال وتبعية القوة الخارجية بالردود البهل لغو القبيلة.

يتألف الكتاب من مقدمة وعشرة فصول، فى قسمين، يعالج القسم الأول موضوع مؤايرت المجتمع السعودى والقسم الثانى يعالج المحدث السياسى والعسكرى.

من الأرضي للمحمول أكيد الصوت أوضح
وكم ان السعر أوفر



٣٠ قرش
للدقيقة



المصرية للاتصالات
Telecom Egypt

شبكة واحدة .. بتقربنا كلنا

سعر جديد ٣٠ قرش للدقيقة
بدلاً من ٤٥ قرش

لكل المكالمات من
تليفونك الأرضي لأي محمول

للاستعلام اتصل بـ ١١١ بسعر المكالمات المحلية



عبد الوهاب المسيري

رحلتى الفكرية

في البذور والجذور والثمار

سيرة غير ذاتية غير موضوعية

دار الشروق

مدينة نصر، سيتي ستارز مول ت، ٢٥١٤ - ٢٤٨٠٢٥١٤ - ٠١٦٥٥٤٨٧٢٩
الجزيرة، فورست مول - ٣٥ شارع الجزيرة ت، ٣٥٧٣٥٠٣٥ - ٣٥٦٨٦١٨٧
الإدارة، ٨ شارع سيدي بيه المصري - مدينة نصر ت، ٢٤٠٢٣٣٩٩

www.shorouk.com email: dar@shorouk.com

وسط البلد، ١ ميدان طلعت حرب ت، ٢٣٩٢٢٤٨٠ - ٢٣٩٣٠٦٤٣
مصر الجديدة، ١٥ شارع بغداد - الكورية ت، ٢٤١٧١٩٤٥ - ٢٤١٧١٩٤٥
الإسكندرية، سان ستيفانو مول ت، ٠١٠١٦٣٣٩٨٥ - ٠٣/٤٦٩٠٣٧